كتاب الأسرة والطفل (١)

أطفال المسلمين

كيف رباهم النبي الأمين ﷺ ؟!



تأليف
جمال عبدالرحمن

دار طيبة الخضراء
مكة - ت: ٥٥٨٩٠٢٧

كتاب الأسرة والطفل (١)

أطفال المسلمين

كيف رباهم النبي الأمين ﷺ ؟

بقلم

جمال عبد الرحمن

الطفل من صلب أبيه حتى سن ٣ سنوات

الصبي من ٤ سنوات حتى سن ١٠ سنوات

الغلام من ١٠ سنوات حتى ١٤ سنة

الشاب من سن ١٥ سنة حتى ١٨ سنة

العناية بالشباب بعد البلوغ (التهيئة للزواج)

الطبعة السابعة
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

شهوان للطباعة
٠٠٢٠٥٥/٢٣٥٢٥٧٧

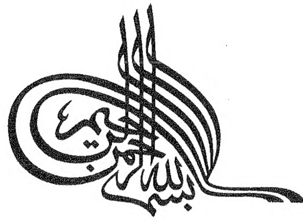
رقم الإيداع بدار الكتب

٢٠٠١/٩٩٣١

كمبيوتر : ربيع محمود
☎ : ٤٧٥٠٠٨٠

دار طيبة الخضراء
مكة المكرمة – العزيزية ت : ٥٥٨٩٠٢٧
ف : ٥٥٦٢٩٨٦

المركز العام لأنصار السنة المحمدية
القاهرة : ٨ شارع قوله - عابدين
ت : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦



مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ... وبعد .

فإن هذه الطبعة هي الرابعة من هذا الكتاب خلال عام واحد ، فللّه الحمد والمنّة ، فلما رأيته يلبي حاجات ورغبات في نفوس كثير من المربين ، آثرتُ أن أُوليه مزيدًا من الاهتمام والعناية بعدما استفدت كثيرًا من آراء القراء – حفظهم الله – وقبل أن أشير إلى الجديد في هذه الطبعة ، أنبه إلى أن المراحل التي حددتها من عمر الطفل تحريت أن أضع أعمار الأطفال طبقًا للمراحل التي حددتها ، وأحيانًا - للحاجة – أتحدث عن طفل في مرحلة لا توافق عمره ، كما يحدث أحيانًا أيضًا تداخل بين مرحلتين لعدم الوقوف تاريخيًّا على السن المضبوط لبعض الصبيان ، كما أن إطلاق لفظ الطفل على المرحلة الأولى ، ثم الصبي على المرحلة الثانية ، ثم الغلام على المرحلة الثالثة ، ثم الشاب على المرحلة الرابعة ، هو اجتهاد تقديري استقرائي من خلال النصوص فيما يغلب استخدامه من تسميات في كل مرحلة ، لكن في الحقيقة فإن أكثرها يقوم مقام بعضه البعض كثيرًا ، مثال . قال ﷺ : « **وُلد لي الليلة غلام فسميته إبراهيم** » . فانظر كم عمر الغلام هنا ؟ وقال ﷺ لابن عباس : « **يا غلام ، إني أعلمك كلمات ...** » وانظر كم عمر الغلام هنا ؟ ثم قال ﷺ لسعد بن أبي وقاص وهو يقاتل عنه في غزوة أحد : « **ارم أيها الغلام الحزوّر** » . وكان إذ ذاك رجلاً يافعًا ، فانظر إلى استخدام الوصف الواحد في مراحل شتى ، وفي الإجمال فكلها توصف بمراحل الطفولة والصِّبا ، فليُنتبه إلى ذلك .

أما الجديد في هذه الطبعة فهو مما تقرُّ به عيون الموحدين ، وتثلج له صدور المربين .

١- تحقيق جميع أحاديث الكتاب ، والاكتفاء بالصحيح ، ونفي الضعيف ، وتحري البديل الذي يقوم مقامه ، عدا بضعة أحاديث ضعيفة أبقيتها لأشير إلى ضعفها ، لاشتهارها عند الكثير بالصحة ، وليست كذلك ، أو لحاجة أخرى .

٢- فتح اللّه تعالى عليَّ بزيادات من الأحاديث الصحيحة التي تزيد الموضوعات بيانًا وتدليلاً ، فضلاً عن تعليقات وشروح لبعض العلماء على تلك الأحاديث .

٣- كنت قد أنهيت مراحل عمر الطفل بالمرحلة من ١٥ : ١٨ سنة من عمره وتركت الحديث عند ذلك ، فلم أتحدث عن مرحلة ما قبل الزواج (المراهقة) وتهيئة الشباب للزواج ، فرأيت لزامًا أن أتحدث عن بعض أحكام المراهقة والبلوغ ، ثم عن تعريف من يريد الزواج ببعض الأمور الجنسية الضرورية التي يفوّت الجهل بها بعض المصالح ، ولربما أتى أيضًا ببعض المفاسد ، ودللت على ما أقول من واقع سنة الرسول ﷺ ، فأضفت فصلاً كاملاً بهذا الصدد .

٤- دمجتُ بعض الفقرات التي كان بينها قُرب وتشابه، وأضفت فقرات جديدة مما رأيت الحاجة إليها شديدة ، وكان منها فقرة ترفيهية للأطفال هي الفقرة (٤٠) . واللّه وحده ولي التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .. أما بعد

فإن مرحلة الطفولة هي أخصب وأطول وأهم فترة يمكن للمربي أن يغرس فيها من المبادئ القويمة والتوجيهات السليمة في نفوس وسلوك أبنائه ، فالفرص متاحة ، والإمكانيات متوفرة ؛ من فطرة سليمة ، وطفولة ساذَجة ، وبراءة صافية ، وليونة ومرونة ، وقلب لم يُلَوَّث ، ونفس لم تُدَنَّس .

فإذا تمت الاستفادة الحسنة من تلك الفترة ؛ كان الرجاء فيما بعدها أقرب ، وعلى هذا كما قال العلماء : (فالصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة ساذَجة ، خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل نقش ، ومائل إلى كل ما يُمال به إليه ، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه ، وسعدَ في الدنيا والآخرة أبواه وكل معلم له ومؤدب . وإن عُوِّد الشر وأُهمل إهمال البهائم ؛ شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيِّم عليه والوالي له). وإن تربية الطفل وتعليمه ليست من فضول القول والعمل ، وليست من الكماليات ، وإنما هي من الأساسيات والواجبات المتحتمات على الأبوين خاصة والمربين عامة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] ، قال عليٌّ رضي الله عنه في تفسيرها : أدبوهم وعلموهم . راجع تفسير الآية . ابن كثير .

إذًا فالتعليم والتأديب والتربية معناها الجنة، وإهمال ذلك معناه النار، فلا

مجـال إذًا للـتفريط فـي هذه المهمة ، وإنما لا بد من التأديب والتعليم، والنبي ﷺ يقول: « علِّموا ، ويسرُّوا ولا تعسروا .. »[1]. فالتربية والتأديب والتعليم خير هدية وأعظم جميل يتجمل به الأب على ولده . وهو خير من الدنيا وما فيها .

فعلى المخلصين من هذه الأمة أن يُشمِّروا عن ساعد الجد ، ويعملوا بتفان وإخـلاص ، لتنشئة جيل على نمط الجيل الذي ربَّاه محمد ﷺ . ولن يكون هذا إلا باقـتفاء أثـره واتباع منهجه ﷺ، والله تعالى يقول : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ وليـس الهـدى فـي الهجمـات الإلحادية والتيارات الفكرية ، ولا الثقافات العربية والأطروحات العلمانية .

ولمـن أراد التأسي بسيد البشر ، والمربِّي الحق ، محمد ﷺ ؛ فإن في هذا الكـتاب شـيئًا مـن بحر فضله في التربية النبوية للأطفال ، والإعدادات الإسلامية للأجيـال ، يتـبين فيه مدى الاهتمام النبوي بالطفل ؛ في جميع مراحل طفولته ؛ بـدءًا مـن كونـه فـي صلب أبيه إلى أن يولَد ويشب ، وحتى يبلغ ويصير رجلاً مكـلَّفًا . والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا العمل ، ويغفر لي فيه الزلل ، إنه على كل شيء قدير ، وهو غفور رحيم .

جمال عبد الرحمن

---

(١) إسناده صحيح . أخرجه أحمد في مسنده ح ٥٥٦ بلفظ . « علِّموا ، ويسروا ولا تعسروا وإذا غضبتَ فاسكت ، وإذا غضبت فاسكت ، وإذا غضبت فاسكت » ، حققه حمزة الزين.

تمهيد

يقول الغزالي- رحمه الله[1] -: اعلم أن الطريقة في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها . والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ... فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة . وإن عُوِّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلَك .. وصيانته بأن يؤدبه أبوه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء ... ومهما رأى فيه مخايل التمييز فإنه ينبغي أن يُحسن مراقبته ، وأول ذلك ظهور أوائل الحياء ، فإنه إذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه ، حتى يرى بعض الأشياء قبيحًا ومخالفًا للبعض ، فصار يستحي من شيء دون شيء ، وهذه هدية من اللَّه تعالى إليه ، وبشارة تدل على الأخلاق وصفاء القلب ، وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ . فالصبي المستحي لا ينبغي أن يُهمَل ، بل يُستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه .. وإن الصبي إذا أُهمِل في ابتداء نشأته خرج في الأغلب رديء الأخلاق ، كذابًا حسودًا سروقًا ، نمامًا لحوحًا ، ذا فضول وضحك وكيد ومُجانة ، وإنما يُحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ، ثم يُشْغَل في المكتب ، فيتعلم القرآن وأحاديث الأخيار ، وحكايات الأبرار وأحوالهم ؛ لينغرس في نفسه حب الصالحين .. ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فإنه ينبغي أن يُكرم عليه ويجازَى عليه بما يُفْرِح ، ويُمدَح بين أظهر الناس . فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة ينبغي أن يُتغافَل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه .. ولاسيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه .. وإن عاد ثانية ينبغي أن يعاتَب سرًا .. ويقال له . إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا .. فتفتضح بين الناس .

ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين ؛ فإنه يهوِّن عليه سماع الملامة

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ج٣ ص ٦٢ .

وركوب القبائح ويُسقط وقع الكلام من قلبه . وليكن حافظًا هيبة الكلام معه ، فلا يوبِّخه إلا أحيانًا ، والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح .. ويعَوَّد في بعض النهار المشي والحركة والرياضة ، حتى لا يغلب عليه الكسل ، ويُمنع من أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والده .. بل يعوَّد التواضع ، وإكرام كل من عاشره ، والتلطف في الكلام معهم .. ويُعلَّم أن الرفعة في الإعطاء لا في الأخذ ، وأن الأخذ لؤم وخسة ودناءة ، وإن كان من أولاد الفقراء يُعلَّم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة ، وأن ذلك من دأب الكلب ، فإنه يبصبص في انتظار لقمة .. وينبغي أن يُعوَّد ألا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ، ولا يتثاءب بحضرة غيره ، ولا يستدبر غيره ، ولا يضع رِجْلاً على رِجل ، ولا يضع كفه تحت ذقنه، ولا يعمد رأسه بساعده؛ فإن ذلك دَليل الكسل ، ويُعلَّم كيفية الجلوس ويمنَع كثرة الكلام ، ويُبيَّن له أن ذلك يدل على الوقاحة ، ويُمنع الحَلف رأسًا ، صادقًا كان أو كاذبًا حتى لا يعتاد ذلك من الصغر .

ويُمنع أن يبتدئ بالكلام ، ويُعوَّد ألاَّ يتكلم إلا جوابًا ويقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنًا ، وأن يقوم لمن فوقه ، ويوسع له المكان ، ويجلس بين يديه ، ويُمنع من لغو الكلام وفحشه ، ومن اللعن والسب ، ومن مخالطة من يجرى على لسانه شيء من ذلك ، فإن ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء ، وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء ..

وينبغي أن يُعلَّم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنًا من قريب وأجنبي . ومهما بلغ سن التمييز ينبغي ألا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ، ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان . فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تُراعَى ، فإن الصبي بجوهره خُلِقَ قابلاً للخير والشر جميعًا ، وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين . قال ﷺ : « **كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه** »[1] .

---

(١) البخاري ج ١ ح١٢٩٢ . وابن حبان في صحيحه ج ١ ح١٢٩ . والبيهقي في سننه ج٦ ح ١١٩١٨ . وغيرهم .

حيرة أبوين

نظرًا لأن تربية الأبناء مسئولية في ذمة الوالدين ، وأمانة في أعناق المربين سيستوفيها الله تعالى منهم يوم القيامة ويسألهم عما استرعاهم ، وكلنا راع ومسئول عن رعيته ، فلذلك تجد كثيرًا من المربين دائمًا في حيرة تجاه هذه المسئولية ، بل يرهقهم التفكير أحيانًا ؛ كيف ينجحون في تربية الأبناء على اختلاف ميولهم ورغباتهم ، وعلى كثرة الفتن والعوائق في طريق التربية الصحيحة؟

وماذا يفعل الأبوان إذا لم يلتزم الابن أو البنت بتوجيهاتهما ؟ هل الضرب هو السبيل الصحيح ؟ وإذا كان هو السبيل الصحيح فما حجم هذا الضرب وما هو وقته وأداته ؟

وإن لم يُفِد الضرب ولم يكن هو الحل فما الحل والعلاج إذًا ؟ وإذا كان الضرب على الصلاة في سن العاشرة فهل يُضرَب الابن على أخطائه غير الصلاة قبل العاشرة ؟

والأهم من هذا كله ؛ ماذا لو تعدَّى الطفل مرحلة كبيرة من طفولته وهو بعيد عن الالتزام ولم يتعود الانضباط حتى بلغ ولم يرض أهله عن أحواله وأفعاله؟

وماذا لو كان الطفل عنيدًا أو جبانًا وخوافًا فيكذب ويُكثر من الكذب تبرعًا وتطوّعًا ، هل الشِّدة تزيده أم تفيده ؟

وما تأثير الليونة والحنان الزائد على سلوك الطفل ؟ وفي النهاية أقول : كيف تتأكد أيها المربِّي أنك على الطريق الصحيح في تربية أبنائك علميًا وخلقيًا واجتماعيًا ونفسيًا وبدنيًا وعقليًا، بل وجنسيًا ؟

وكيف تعرف أنك تمارس التربية بمنهج علمي دقيق ومدروس ، ليس فيه مجال للتجربة ؛ تنجح أو تفشل ، ولا للخبرة تكثر أو تقل ؟ خاصةً وأن الفشل

في مثل هذا الأمر يصعب تداركه إلا أن يشاء اللَّه تعالى شيئًا .

أخي المربِّي .. أختي المربية .

إن الجواب على هذه الأسئلة كلها وأكثر منها على صفحات هذا الكتاب ، حيث سترى فيه الهداية الربانية والتوجيهات النبوية ، وخلاصة جهد علماء الأمة الإسلامية قولاً وعملاً وسلوكًا ، بداية من كون الطفل في صُلب أبيه حتى يولَد ويشب ، ويبلغ ويلب ، ويصير رجلاً مكلفًا ، وذلك لتضمن لنفسك يا أخي تربية ناجحة لأولادك ، لا تخوِّفك عليهم الشدائد ، ولا تهددك نحوهم العواصف .

وإنَّ وليِّنا اللَّه الذي نزَّل الكتاب ، وهو يتولَّى الصالحين .

المؤلف

الفصل الأول

الطفل بدءاً من كونه في صلب أبيه

حتى سن ٣ سنوات

وفيه ٤٢ وقفة

(١) النبي ﷺ يدعو للأبناء وهم في أصلاب آبائهم :

لمَّا رد المشركون من أهل الطائف دعوة النبي ﷺ لهم للإسلام وآذَوْه ، وبالحجارة رمَوْه ، عرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين (جبلين بمكة) ، عندها قال النبي المشفق الرحيم ﷺ : « **أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا** »[١] . وقد حقق الله تعالى رجاء النبي ﷺ بإسلام أبنائهم .

كذلك يرشد النبي محمد ﷺ المسلمين لما فيه صلاح الابن مستقبلاً فيقول لهم : « **لو أن أحدكم إذا أتى أهله[٢] قال : باسم الله ، اللهم جنّبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا ، فيولَد بينهما ولد ، فلا يصيبه الشيطان أبدًا** »[٣] . وفي هذا توجيه إلى أن تكون البداية ربانية لا شيطانية ، فإذا ذُكر اسم الله تعالى في بداية الجماع أُسِّس ما بين الزوجين على التقوى فلا يضره الشيطان بإذن الله .

ولقد أمرنا المولى جل وعلا باختيار الصالحين والصالحات عند الزواج ليكونوا قادرين على تنشئة جيل صالح ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه . فقال : ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ [سورة النور : ٣٢] . وقال ﷺ في هذا المعنى : « **تخيروا لنُطَفكم ، وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم** »[٤] .

(٢) ويدعو لهم ﷺ وهم نطفة في رحم الأم :

كان أبو طلحة رضي الله عنه خارج بيته ، وابنه بالبيت مريض فمات ، فلم تخبره زوجته أم سليم بعد عودته ، ولم تُبد أي مظهر من مظاهر الحزن له ، بل تزينت

---

(١) البخاري ٢٩٩٢ كتاب بدء الخلق ، ومسلم وغيرهما .

(٢) عند الجماع .

(٣) متفق عليه .

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه ج٢ ح٢٦٨٧، وابن ماجه ج١ ح١٩٦٨، وحسنه الألباني رحمه الله تعالى .

وجهزت له عشاءه ، فتعشى ثم جامعها ، وبعد هذا كله أخبرته بوفاة ولده بطريقة إيمانية ذكية ، فقام فأخبر رسول الله ﷺ بما كان من زوجته ومنه ، فدعا لهما ﷺ بالبركة في جماعهما وقال : « بارك الله ليلتكما » فولدت بعدُ غلامًا سماه النبي ﷺ « عبد الله » ، ومن بركة دعاء النبي ﷺ له ؛ كبُر وتزوج ورزقه الله تعالى من الأولاد تسعة ، كلهم قد حفظ القرآن ، والقصة بطولها في البخاري .

❁ ومن مظاهر عناية الإسلام بالطفل وهو في رحم أمه ؛ ما أمر به الإسلام من النفقة للمرأة المطلقة ثلاثًا إذا كانت حاملاً ، وهذه النفقة لأجل جنينها وليس لأجلها حيث قد سقطت نفقتها بطلاقها ثلاثًا .

(فالمرأة التي يطلقها زوجها ثلاثًا تَبين منه ، وتصبح أجنبية عنه لا تجب لها عليه نفقة ولا سُكْنَى على القول الراجح من أقوال العلماء رحمهم الله : إلا إذا كانت حاملاً فإنها تجب لها النفقة بالإجماع[1] . قال تعالى : ﴿ **وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** ﴾ [سورة الطلاق : ٦] .

وإنما وجبت على الزوج النفقة للحامل التي بانت منه من أجل ولده الذي لا سبيل للإنفاق عليه إلا عن طريق الإنفاق على أمه التي يتغذى منها ، كما قال ابن قُدامة رحمه الله : « ولأن الحَمل ولدُه فيلزمه الإنفاق عليه ، ولا يمكنه النفقة عليه إلا بالإنفاق عليها ، فوجب كما وجبت أجرة الرضاع .. »[2] . هذا في العناية به من حيث النفقة .

❁ ومن العناية به ؛ وقايته مما قد يؤثر على صحته ، وهو في رحم أمه ، ولذا أُبيح للحامل إذا خافت على جنينها أن تفطر في رمضان ، كالمريض والمسافر . وقد أعفاها بعض العلماء من الكفارة دون المرضع ، قالوا : « لأن الحمل متصل بالحامل ، فالخوف عليه كالخوف على بعض أعضائها » ، أما

---

(١) المغني لابن قدامة ٢٣٢/٨ .

(٢) المغني كما مضى ، وراجع الجامع لأحكام القرآن ١٦٦/١٨-١٦٧ .

المرضع فيمكنها أن تسترضع لولدها[1] ، وأدخلوها في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [سورة البقرة : ١٨٤] .

❁ ومن العناية بالطفل وهو في رحم أمه تأجيل العقوبة التي تستحقها إذا كان ذلك قد يؤثر على الولد أو تَحقق أن العقوبة ستقضي عليه . فقد روى عمران بن حصين ﷺ أن امرأةً من جُهينة أتت النبي ﷺ ، وهي حُبلى من الزنا ، فقالت : يا نبي اللَّه أصبت حدًا ، فأقمه علي ، فدعى نبي اللّه ﷺ وليها ، فقال : « أحسن إليها ، فإذا وضعت فأتني بها » ففعل ، فأمر بها نبي اللَّه ﷺ فشُدَّت عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرُجمت ، ثم صلَّى عليها[2] .

وفي حديث آخر رواه مسلم أيضًا في قصة الغامدية التي اعترفت بالزنا وطلبت منه ﷺ أن يقيم عليها الحد قال لها : « فاذهبي حتى تلدي » فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة ، قالت : هذا قد ولدتُّه ، قال : « اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه » ، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز ، قالت : هذا يا رسول اللّه قد فطمتُه وقد أكل الطعام ، « فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر بها فحُفِر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها ... »)[3] .

(٣) ويعلمنا ﷺ أذكارًا لنزول أحدهم بالسلامة من رحم أمه :

ذكر ابن القيم رحمه اللّه في كتابه « الوابل الصيب من الكلم الطيب » أن فاطمة رضي اللَّهُ عنها بنت النبي ﷺ لما دنا ولادها ، أمر رسول اللَّه ﷺ أم سلمة وزينب بنت جحش أن تأتيا فتقرآ عندها آية الكرسي ، و : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] . و : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ

(١) المغني لابن قدامة ٣/١٤٩-١٥٠ .
(٢) مسلم ج ٣ ، ح ١٣٢٤ .
(٣) أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي ، للدكتور عبد اللّه بن أحمد باقادري ، ١٧٠- ١٧١ .

أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ٣] ويعوِّذاها بالمعوذتين .

ولضعف هذا الأثر كما أشار محقق الكتاب ومن قبله الشيخ الألباني رحمه اللَّه رأيت أن أورد الصحيح في نفس الباب ففيه كفاية، ولأن حال الولادة حال هم وكرب ؛ فقد أرشد رسول الله ﷺ أسماء بنت عميس رضي الله عنها قائلاً : « ألا أعلمكِ كلمات تقولينهن عند الكرب – أو في الكرب -؟ اللَّه ، اللَّه ربي ، لا أشرك به شيئًا »(١) .

وقال ﷺ : « دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت »(٢) .

وقال ﷺ : « ما أصاب عبدًا هم ولا حزن ، فقال : اللهم إني عبدك، وابن عبدك ، وابن أَمَتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حُكمك، عدل فيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدًا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ، إلا أذهب اللَّه همه وحزنه ، وأبدله مكانه فرجًا »(٣) .

(٤) ويبين ﷺ منزلته عند الله إذا سقط من بطن أمه قبل تمامه :

وهذا ما يسمى بالسقط ، وقد ورد بشأنه أحاديث تسرُّ السامعين ، فعن معاذ ابن جبل رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : « والذي نفسي بيده إن السقط ليجر أمه بِسَرَرِه(٤) إلى الجنة إذا احتسبته » أي صبرت على فقده .

---

(١) أبو داود (ح ١٥٢٥) بإسناد حسن .

(٢) صحيح الأدب المفرد (ص ٢٦١، ح٥٣٩) .

(٣) انظر صحيح الكلم الطيب لابن تيمية .

(٤) بسرره . أي الحبل السُّري . والحديث أخرجه ابن ماجه ، كتاب الجنائز ١٦٣٢، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم ١٣١٥ .

فانظر رحمك الله إلى اهتمام الإسلام حتى بالسقط .

(٥) وحين ولاداتهم ﷺ يؤذن في الأذن اليُمنى للطفل :

عن أبي رافع أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ أذّن في أُذُن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة[١] . قال ابن القيم رحمه الله : وسر التأذين والإقامة[٢]: أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلمات النداء العلوي المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته ، والشهادة التي أول ما يُدخَل بها في الإسلام ، فكان ذلك التلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا ، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها ، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه ، وتأثره به ، وإن لم يشعر[٣] . اهـ . ومعروف أن الشيطان يفر ويهرب من سماع كلمات الأذان ، فيسمع شيطانه ما يغيظه في أول لحظات حياته . وهذا يبين اهتمام النبي ﷺ بعقيدة التوحيد ومطاردة الشيطان في بداية حياة المولود الجديد .

كذلك فإن الشيطان يلكز المولود حين يولد، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان غير مريم وابنها** » : ثم يقول أبو هريرة : واقرأوا إن شئتم: ﴿ **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾[٤] .

وعن ابن عباس : ليس من مولود إلا يستهل ، واستهلاله . يعصر الشيطان

---

(١) أبو داود ، كتاب الأدب ٥١٠٥ ، والترمذي ، كتاب الأضاحي ١٥١٤ . وفي سنده عاصم بن عبد الله وهو ضعيف ، وباقي رجاله ثقات ، وله شاهد من حديث ابن عباس عند البيهقي في شعب الإيمان نقله المؤلف رحمه الله في تحفة المودود ص ٣١ . (قاله الأرنؤوط محقق زاد المعاد ج ٢) . وأخرجه الحاكم ج٣ ح ٤٨٢٧ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي . والعمل عليه أي في حديث أبي رافع في التأذين في أذن المولود عقيب الولادة لأنه يعتضد بحديث الحسن بن عليٍّ رضي اللهُ عنهما الذي رواه أبو يعلى الموصلي وابن السني .

(٢) حديث الإقامة موضوع ، انظر ضعيف الجامع للألباني ٥٨٨١ . .

(٣) تحفة المودود لابن القيم ص ٣٩-٤٠ .

(٤) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء ٣١٧٧ . ومسلم ، كتاب الفضائل ٤٣٦٣ ، وأحمد ، ٧٣٨٣ .

بطـنه فيصـيح إلا عيسـى ابـن مريم[١] . وعليه فيكون الأذان لكزة مضادة للشيطان الذي يسعى جاهدًا لإفساد الذرِّية وتدمير النشء .

وعـن أبـي هريـرة أن رسول اللّه ﷺ قال : « **صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان** »[٢] .

* * *

(١) الدارمي (٢٩٩٩) .

(٢) صحيح . انظر صحيح الجامع ح ٣٨٤٦ .

الإسلام يَعُدُّ الأولاد من البُشريات

إن الأولاد نعمة من اللَّه سبحانه وتعالى : يهبها لمن يشاء ويمسكها عمن يشاء ، ولمَّا كانت هذه النعمة تسر الوالدين بشرت الملائكة بهم رسل اللَّه من البشر وزوجاتهم ، قال تعالى : ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ﴾ [هود : ٧١]، وقال جلّ شأنه عن إبراهيم الخليل ﷺ : ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١] . وغير ذلك كثير من آيات القرآن التي تبشر الآباء من الرسل بالأبناء . ومن هنا كان الاستبشار بالولد والتبشير به من السنن الإلهية ، ولهذا ذم اللَّه تعالى مَن تبرم من الأنثى واستثقلها لأنه تعالى هو الذي وهبها كما وهب الذكر ، والحياة لا تستمر إلا بالذكر والأنثى معًا فقال : ﴿ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل : ٥٩] .

وعن أبي بكر بن المنذر أنه قال : روينا عن الحسن البصري : أن رجلاً جاء إليه وعنده رجل قد وُلد له غلام ، فقال : يَهنك الفارس ، فقال الحسن : ما يدريك أفارس هو أم حمار ؟ قال الرجل : فكيف نقول ؟ قال : قل : (بورك في الموهوب ، وشكرت الواهب ، ورزُقت بِرّه وبلغ أشُده)[1] .

فالتهنئة والهدايا تدخل السرور على أهل المولود ، وتشيع جوًا من البهجة والألفة ، والترابط بين المسلمين .

(٦) والنبي ﷺ يحنك المولود بالتمر ويدعو له ويبرِّك عليه :

(والتحنيك هو مضغ الشيء ووضعه في فم الصبي ، ودلك حنكه به ، يُصنع ذلك بالصبي ليتمرن على الأكل ويقوَى عليه)[2] .

وإنما المقصود ما شرع اللَّه تعالى بهدي رسوله ﷺ من تحنيك الطفل عند

---

(١) تحفة المودود لابن القيم ، ص ٣٨ .

(٢) فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني ٥٨٨/٦ .

ولادته بشيء من التمر بعد مضغه وترطيبه ، ولعل في ذلك مع كونه سنَّة ما يُطمئن الطفل ويجعله آمنًا على استمرار غذائه والعناية به وبخاصة تحنيكه بالتمر الذي ترتفع فيه نسبة الحلاوة التي يتلذذ بها الطفل ، وفيه كذلك تمرين على استعمال وسيلة غذائه الجديدة ، وهي المَصُّ بالفم ليألفها .

عن عائشة رضي اللَّهُ عنها أن (**النبي ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم**)[1] .

وفي الصحيحين أتت أسماء رضي اللَّهُ عنها رسول اللَّه ﷺ بمولود لها ، تقول : (حَنَّكه بالتمرة ثم دعا له وبرَّك عليه ...) أي دعا له بالبركة . وفي هذا بيان لمشروعية الذهاب بالمولود إلى أهل الصلاح لينال من دعائهم .

وفي الصحيحين أيضًا عن أنس رضي الله عنه قال : لمَّا ولدت أم سُليم غلامًا ، أرسلت به معي إلى النبي ﷺ ، وحملتُ تمرًا ، فأتيت به رسول اللَّه ﷺ وعليه عباءة ، فقال : « **هل معك تمر ؟** » قلت : نعم ، فأخذ التمرات فألقاهن في فيه ﷺ فلاكهنَّ[2] ، ثم جمع لعابه ثم فَغَرَ فاه ، فأَوْجَرَه إياه فجعل الطفل يتلمظ ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **حُب الأنصار التمر** » ، فحنَّكه وسمَاه عبد اللَّه ، فما كان في الأنصار شاب أفضل منه .

(٧) ويرشد ﷺ الأبوين إلى تحصينه بالذكر من الآفات ، وشكر اللَّه تعالى على موهبته :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **ما أنعم اللَّه على عبد نعمة من أهل أو ولد فيقول : الحمد لله رب العالمين ؛ إلا كان أعطى خيرًا مما أخذ** » . وفي لفظ آخر عن أنس أيضًا قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **ما أنعم اللَّه على عبد نعمة فقال الحمد لله رب العالمين إلا كان الذي أعطى اللَّه خيرًا**

---

(١) مسلم ، كتاب الآداب ٤٠٠٠ .

(٢) أي طحنهن ، ومعنى فغر فاه ، أي . فتح فم الطفل ، فأوجره أي أطعمه .

من الذي أخذ »(١) . فالحمد لله الذي له ما أعطى وله ما أخذ .

وكانت عائشة رضي الله عنها إذا وُلد فيهم مولود (يعني من أهلها) لا تسأل : غلامًا ولا جارية ، تقول : خُلق سويًّا ؟ فإذا قيل: نعم ، قالت : « الحمد لله رب العالمين »(٢).

وعن معاوية بن قرة قال : « لما وُلد لي إياس ، دعوت نفرًا من أصحاب النبي ﷺ ، فأطعمتهم ، فدعوا ، فقلت : إنكم قد دعوتم، فبارك الله لكم فيما دعوتم ، وإني إن أدعو بدعاء فأمِّنوا ، قال: فدعوت له بدعاء كثير في دينه وعقله وكذا ، قال : فإني لأتعرف فيه دعاء يومئذ »(٣) أي : وجد أثر دعاء ذلك اليوم فيه على مولده بعد.

ولاشك أن الدعاء مجلبة لكل خير ، وفيه شكر الرحمن الذي يزيد مَن شَكَرَه ، ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [سورة إبراهيم : ٧] .

(٨) ويقسم ﷺ للمولود ميراثه بمجرد ولادته :

فعن جابر بن عبد الله قال : قضى رسول الله ﷺ : « **لا يرث الصبي حتى يستهل صارخًا** ، قال : واستهلاله ، **أن يبكي ويصيح ، أو يعطس** »(٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا استهل المولود ورث** »(٥) .

وعن ابن سيرين أن سعد بن عبادة قسم ماله بين بنيه في حياته ثم مات ، فولد له ولد بعدما مات فلقي عمرو أبا بكر فقال : ما نمت الليلة من أجل ابن

---

(١) أخرجه ضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة ج٦ ح٢١٩٦ وقال : إسناده حسن ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح ٥٥٦٣ .

(٢) صحيح الأدب المفرد للألباني (ص ٤٨٥) . وقال : حسن الإسناد موقوفًا .

(٣) صحيح الأدب المفرد للألباني ص٤٨٥ ، وقال : صحيح الإسناد مقطوعًا .

(٤) صححه الألباني برقم ٢٢٤٠ بصحيح ابن ماجه . ومجمع الزوائد للهيثمي ج ٤، ص ٢٢٥ .

(٥) صحيح الجامع ح ٣٢٨ .

سعد هذا المولود ولم يترك له شيئًا ، فقال له أبو بكر : وأنا واللَّه ما نمت الليلة - أو كما قال - من أجله ، فانطلق بنا إلى قيس بن سعد نكلمه ، فأتياه فكلماه ، فقال قيس : أما شيء أمضاه سعد فلا أرده أبدا ولكن أشهدكما أن نصيبي له[1] .

(٩) ويأمر بإخراج الزكاة عنه بمجرد الولادة أيضًا :

عن ابن عمر رضي اللَّهُ عنهما قال : فرض رسول اللَّه ﷺ زكاة الفطر من رمضان على كل نفس من المسلمين ، حُر أو عبد ، أو رجل أو امرأة ، صغير أو كبير ، صاعًا من تمر ، أو صاعًا من شعير[2] .

(١٠) ويرحم ﷺ طفولته ولو كان ولد زنا :

من رحمة النبي ﷺ بالطفل وحرصه على أن يشب راضعًا من ثدي أمه ؛ أنه لما جاءته المرأة الغامدية التي زنت ، وأخبرته أنها حُبلى من الزنا ، قال لها : « **ارجعي حتى تلدي** » ، فلما ولدت أتت به تحمله ، قالت : يا نبي اللَّه ، هذا قد ولدته ، فقال لها ﷺ : « **فاذهبي فأرضعيه حتى تفطميه** » ، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز ، قالت : هذا يا رسول اللَّه قد فطمتُه وقد أكل الطعام ، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر بها فحُفِر لها حفرة إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها[3] . والناظر في هذا الحديث يرى أمورًا عجيبة .

١- أن النبي ﷺ لما تيقن أن المرأة حامل من الزنا ، لم يُشر أية إشارة إلى محاولة إسقاط هذا الجنين ناقصًا أو كاملاً . كما تفعل من تَزني وفوق زناها تقتل نفسًا بغير حق .

---

(١) قال الهيثمي ج ٥ ص ٢٢٥ . رواه الطبراني من طرق رجالها كلها رجال الصحيح ، إلا أنها مرسلة لم يسمع أحد منهم من أبي بكر .

(٢) مسلم ، كتاب الزكاة ١٦٣٩ .

(٣) مسلم ، كتاب الحدود ٣٢٩٨ .

٢- بل على العكس، فإنه ﷺ أمرها أن تذهب وتمكث حتى تلد .

٣- فلما ولدت أمرها ﷺ أن تذهب لترضعه حتى تفطمه ، فأرضعته ثم فطمته وقد أكل الخبز .

٤- أن النبي ﷺ دفع بالصبي إلى أحد المسلمين ليقوم على رعايته وتربيته .

تلك رحمة نبي الرحمة ﷺ بولد الزنا وحِرصه عليه من الضياع ، فما ذنبه أن يتحمل آثار جريمة غيره ؟!

(١١) ويحتفل ﷺ بالأطفال في صغرهم فيوصي بالعقيقة عنهم :

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **كل غلام مرتهن بعقيقته ، تذبح عنه يوم السابع ويسمَّى ويحلق رأسه** »[١] .

وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الغلام مرتهن بعقيقته فأهريقوا عنه الدم وأميطوا عنه الأذى** »[٢].

وقال المناوي في شرح فيض القدير : قال ابن القيم : المراد أن العقيقة تخليص للمولود من الشيطان ومنعه من سعيه في مصالح آخرته ... (وأميطوا) أزيلوا .. (عنه الأذى) أي شعر رأسه وما عليه من قذر ؛ طاهر أو نجس ليخلف الشعر شعر أقوى منه ، ولأنه أنفع للرأس مع ما فيه من فتح مسام الرأس ليخرج البخار بسهولة ، وفيه تقوية حواسه[٣]. اهـ .

---

(١) صحيح الجامع ح ٤١٨٤، وابن ماجة كتاب الذبائح ٣١٥٦، والترمذي ، كتاب الأضاحي ١٤٤٢ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند أهل العلم ، يستحبون أن يُذبح عن الغلام يوم السابع ، فإن لم يتهيأ يوم السابع فيوم الرابع عشر ، فإن لم يتهيأ عقَّ عنه يوم حادٍ وعشرين ، وقالوا . لا يُجزئ في العقيقة من الشاة إلا ما يُجزئ في الأضحية . والحديث صححه الألباني بصحيح سنن ابن ماجه برقم ٢٥٨٠ .

(٢) صحيح . صححه الألباني بصحيح الجامع ح ٤١٨٥ .

(٣) فيض القدير ج ٤ ص ٤١٦ .

وعن أم كُرْز رضي اللَّهُ عنها أنها سألت رسول اللَّه ﷺ عن العقيقة فقال : « **عن الغلام شاتان (مكافأتان) وعن الأنثى واحدة ، ولا يضرك ذكرانًا أو إناثًا** »[١].

قال ابن القيم رحمه اللَّه : وهذا وإن لم يكن إسناده متصلاً فحديث أنس وابن عباس يكفيان . والحديث هو « أن النبي ﷺ عق عن الحسن بكبش وعن الحسين بكبش وكان مولد الحسن عام أُحُد والحسين في العام القابل منه »[٢] ، ورواه النسائي[٣] بلفظ : « عق رسول اللَّه ﷺ عن الحسن والحسين رضي اللَّهُ عنهما بكبشين كبشين » وإسناده قوي ، ثم قال : أحاديث الشاتين عن الذكر والشاة عن الأنثى أَولَى أن يؤخذ بها لوجوه .

أحدها : كثرتها .

الثاني : أنها من فِعْل النبي ﷺ ، وأحاديث الشاتين من قوله ، وقوله عام ، وفعله يحتمل الاختصاص .. إلخ[٤] .

ومن فوائد العقيقة : ذكر العلماء منهم ابن القيم رحمه اللَّه في كتابه تحفة المودود : أنها قربان من اللَّه تعالى ، وفيها الكرم والتغلب على الشح ، وفيها إطعام الطعام وهو من القربات ، وهي تفك ارتهان المولود عن عدم الشفاعة لوالديه أو شفاعة والديه له ، ومنها أنها ترسيخ للسنن الشرعية ومحاربة خرافات الجاهلية ، وفيها إشاعة نسب المولود وغيره .

قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى : (فالذبيحة عن الولد فيها معنى القربان والشكران والفداء والصدقة وإطعام الطعام عند حوادث السرور العظام شكرًا لله

---

(١) الترمذي ، كتاب الأضاحي ١٤٣٥ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وصحيح الترمذي للألباني برقم ١٥١٦ .

(٢) أبو داود ، كتاب الأضاحي ٢٨٤١ ، وإسناده صحيح .

(٣) النسائي ، كتاب العقيقة ٤١٤٨ ، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ح٤٢٣٠ .

(٤) زاد المعاد ج٢ص ٢٩٩ - ٢٢٠ .

وإظهارًا لنعمته التي هي غاية المقصود من النكاح ، فإذا شُرع الإطعام للنكاح الذي هو وسيلة إلى حصول هذه النعمة ، فلأن يُشْرَع عند الغاية المطلوبة أَوْلَى وأحرى ... فلا أحسن ولا أحلى في القلوب من مثل هذه الشريعة في المولود ، وعلى نحو هذا جرت سُنة الولائم في المناكح وغيرها ، فإنها إظهار للفرح والسرور بإقامة شرائع الإسلام ، وخروج نسمة مسلمة يكاثر بها رسول اللَّه ﷺ الأمم يوم القيامة ، تعبد اللَّه ويراغم عدوه)[١] .

(١٢) ويغيِّر ﷺ عادات الجاهلية في الاحتفال بهم :

هذا أيضًا من اهتمام النبي ﷺ الشديد بالأطفال ، بحيث لا يدفع حب الآباء لأبنائهم أن يفعلوا معهم أي شيء ولو كان من سنن الجاهلية .

فعن عبد اللَّه بن بريدة قال : سمعت أبي بريدة يقول : « كنا في الجاهلية إذا وُلِد لأحدنا غلام ؛ ذبح شاةً ، ولطخ رأسه بدمها ، فلما جاء اللَّه بالإسلام ؛ كنا نذبح شاة ، ونحلق رأسه ، ونلطخه بزعفران »[٢] .

ومثله حديث يزيد بن عبد الله المزني أن النبي ﷺ قال : « يُعق عن الغلام ولا يمس رأسه بدم »[٣] .

فانظر أخي المربي ، أختي المربية إلى هدي النبي ﷺ عند استقبال المولود ، وتغييره ﷺ لعادات الجاهلية ؛ التي منها ذبح الذبيحة وتلطيخ رأس الصبي بدمها ، وكذلك ما يفعله الجهال عند ميلاد الأطفال ، وخاصة يوم سابعه ؛ مِن أخْذ دماء الذبيحة وتلطيخ الجدران والأبواب بها لمنع الحسد عن الطفل - بزعمهم – وكذا وضع قروش مخرمة على طاقيته وبعض ريش الدجاج على هيئة عرف الديك ، وشراء حصان المولد أو عروسة المولد النبوي كل سنة

(١) راجع تحفة المودود في أحكام المولود ص ٦٩ .
(٢) أبو داود ، كتاب الضحايا ٢٤٦٠ . انظر فتح الباري ج٩ ص ٥٩٤ ، وتحفة الأحوذي ج٥ ص ٨٨ .
(٣) السلسلة الصحيحة ٢٤٢٥ .

لتجديد عمر الطفل ، والحذر من كسرها أو أكلها قبل مرور السنة تشاؤمًا أن يحدث للمولود شيء من مرض أو وفاة ، فإذا انقضت السنة أكلوا حصان المولد « الحلوى » بعد شراء حصان غيره !! نعوذ بالله من سخف الجهل وجلافة التفكير ، وأين موقع ذلك من هدي الهادي البشير ؟!

(١٣) ويسميّهم ﷺ بأحسن الأسماء :

إن اللَّه جميل يحب الجمال ، ومن الجمال تحسين اسم الصبي أو الصبية والبُعد بهم عن الأسماء القبيحة. والإسلام دين يسر ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ [البقرة : ١٨٥] لذلك أراد اليسر حتى في الأسماء ، وكره العسر والعنف حتى في الأسماء أيضًا ، يظهر ذلك من نهيه ﷺ عن اسم (حرب) ، قال ﷺ : « **أحب الأسماء إلى اللَّه : عبد اللَّه ، وعبد الرحمن ، وأصدقها : حارث ، وهمام ، وأقبحهما: حرب ، ومرة** »[(١)] .

وعن ابن عمر رضي اللَّهُ تعالى عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن أحب أسمائكم إلى اللَّه : عبد اللَّه ، وعبد الرحمن** »[(٢)] .

وقد سمى النبي ﷺ ابن أبي طلحة « عبد اللَّه » وكذلك ابن عباس سماه ﷺ يوم ولادته « عبد اللَّه » ، وكذلك سمى ابنه « إبراهيم » على اسم أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ ، وسمى ابن أبي أسيد « المنذر » ، وغير ذلك .

ومن المهم أن ننبه هاهنا إلى أن بعض الناس يسمون بعض أبنائهم باسم قبيح ليمنع عنه الحسد ، أو ليعيش الولد ولا يموت وهو صغير ، وهذا الصنيع فيه جهل مركب ، ففوق قبح الاسم ، فهي عقيدة فاسدة لا تغني عن الولد شيئًا ،

---

(١) صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ح٦٢٥ . قال ابن حجر في فتح الباري ج١٠ ص ٥٧٨: فأما الأولان (أي عبد اللَّه وعبد الرحمن) فلما تقدم في باب أحب الأسماء إلى اللَّه ، وأما الآخران (أي حارث وهمام) فلأن العبد في حرث الدنيا أو حرث الآخرة ولأنه لا يزال يهم بالشيء بعد الشيء ، وأما الأخيران (حرب ومُرة) فلما في الحرب من المكاره ولما في مُرة من المرارة .

(٢) مسلم كتاب الآداب ٣٩٧٥ .

إضافة إلى أن العادة جرت أن يأخذ المسمى نصيبًا من اسمه ، فإذا كان اسمه كئيبًا كانت الكآبة فيه ، وإذا كان اسمه ذميمًا رأيت من ذلك فيه .

(١٤) وينهى ﷺ عن تسميتهم بأسماء قبيحة وغير جائزة :

عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسمين غلامك يسارًا ، ولا رباحًا ، ولا نجيحًا ، ولا أفلح ، فإنك تقول : أثمت هو[١]؟ فلا يكون ، فيقال : لا »[٢]. وفي رواية[٣] عن عمر عن النبي ﷺ قال : « لأنهين أن يسمَّى رافعًا وبركة ويسار » . وفي حديث جابر قال رسول الله ﷺ : « إن عشت زجرت أن يسمى بركة ويسار ونافع ». قال جابر : لا أدري ذكر رافعًا أم لا ، إنه يقال : هاهنا بركة ؟ فيقال : لا ، ويقال : هاهنا يسار ؟ فيقال : لا ، قال : فقُبِض رسول الله ﷺ ولم يزجر عن ذلك ، فأراد عمر رضي الله عنه أن يزجر عنه ثم تركه[٤] .

قال الخطَّابي رحمه الله : قد بيّن النبي ﷺ المعنى في ذلك ، وكراهة العلة التي من أجلها وقع النهي عن التسمية بها ، وذلك أنهم كانوا يقصدون بهذه الأسماء وبما فيها من المعاني ؛ إما التبرك بها أو التفاؤل بحسن ألفاظها ، فحذرهم أن يفعلوا ، لئلا ينقلب عليهم ما قصدوه في هذه الأسماء إلى الضد ، وذلك إذا سألوا فقالوا : أثَمَّ يسار ؟ أثَمَّ رباح ؟ فإذا قيل : لا ، تطيروا بذلك وتشاءموا به ، وأضمروا الإياس من اليسر والنجاح ، فنهاهم عن السبب الذي يجلب لهم سوء الظن بالله سبحانه ، ويورثهم الإياس من خيره[٥] . اهـ .

وقد غير النبي ﷺ أسماءً قبيحة ، وأسماءً غير قبيحة لكن لا يجوز

---

(١) يعني أهنا هو ؟ .

(٢) مسلم ، كتاب الآداب ٣٩٨٥ . وأبو داود ، كتاب الأدب ٤٣٠٧ . وأحمد ، مسند البصريين ١٩٢٤ .

(٣) الترمذي كتاب الأدب ٢٧٦١ ، وابن ماجة ، كتاب الأدب ٣٧١٩ ، وصححه الألباني برقم ٢٨٣٥، ٣٠٢٠ على الترتيب .

(٤) صحيح ابن حبان ج١٣ ح ٥٨٣٩ ، والحاكم ج٤ ص ٧٧٢٢ ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ح٣٠٢٠ عن عمر مع اختلاف يسير بغير زيادة « فقبِض رسول الله .. » .

(٥) زاد المعاد ج ٢ ص ٣٠٥ .

التسمي بها ، فمثلاً غير اسم « عاصية » إلى جميلة . وغير اسم « أصرم » إلى زُرعة . وغيّر اسم « حَزَن » إلى «سهل»[١]. وكذلك غير اسم « بَرَّة » إلى زينب ، وقال : « **لا تزكوا أنفسكم ، اللَّه أعلم بأهل البر منكم** »[٢]. وغير كُنية « أبي الحَكَم » إلى « أبي شُرَيْح » ، وقال له : « **إن اللَّه هو الحكم** » ، وكان شريح أكبر أولاد ذلك الرجل[٣]. كما غير اسم « شهاب » إلى « هشام »[٤].

ألا فليعلم المربون أن ثمة ارتباطًا بين معنى الاسم والمسمى ، فالاسم الجميل معه الفأل الجميل والعكس . قال الشاعر :

وقَلَّ ما أبْصَرَتْ عيناكَ ذا لَقَبٍ   إلا ومعناهُ إنْ فكَّرتَ في لَقَبِهْ

وقد ذكر مالك رحمه اللَّه في موطئه (٩٧٣/٢) أن رسول الله ﷺ قال لِلَقْحَةٍ : « **مَنْ يَحْلُبُ هذه ؟** » فقام رجل ، فقال : أنا ، فقال : « **ما اسمك ؟** » قال الرجل : مُرَّة ، فقال له : « **اجْلِسْ** » ، ثم قال : « **مَنْ يَحْلُبُ هذه ؟** » فقام رجل آخر ، فقال له : « **ما اسْمُكَ ؟** » قال : حرب ، فقال له : « **اجلس** » . ثم قال : « **من يحلب هذه ؟** » فقام رجلٌ ، فقال : أنا ، قال : « **ما اسمك ؟** » قال : يعيش ، فقال له رسول الله ﷺ : « **احْلِبْ** » . فكَرِهَ مباشرة المُسمى بالاسم المكروه لِحَلْب الشاة .

وقد كان النبي ﷺ يشتدُّ عليه الاسم القبيحُ ويكرهه جدًّا من الأشخاص والأماكن والقبائل والجبال ، حتى إنه مرّ في مسير له بين جبلين ، فسأل عن اسمهما ؟ فقيل له : فاضح ومُخْز ، فعدل عنهما، ولم يمرّ بينهما ، وكان ﷺ شديد الاعتناء بذلك . ومن تأمل السنة وجد معاني الأسماء مرتبطة بها ، حتى كأن معانيها مأخوذة منها، وكأنّ الأسماء مشتقة من معانيها ، فتأمل قوله ﷺ :

---

(١) البخاري ٥٧٢٢ ،

« [أسْلم] سَالمَها الله ، وغِفَارُ غَفَرَ اللَّه لها ، وعُصَيَّة عَصَتِ الله »[١] .

وقوله لما جاء سهيل بن عمرو يوم الصلح : « سَهُلَ أمركم » . وقوله لبريدة لما سأله عن اسمه ، فقال : بُريدة . قال : « يا أبا بكر، بَرُد أمرنا » . ثم قال : « مِمن أنت ؟ » قال : من أسلم ، فقال لأبي بكر : « سَلِمْنا » . ثم قال : « مِمن ؟ » قال : مِنْ سَهْم . قال : « خَرَجَ سَهْمُكَ » . ذكره أبو عمره في « استذكاره » ، حتى إنه كان يعتبر ذلك في التأويل ، فقال : « رأيتُ كأنا في دار عُقْبَةَ بن رافع ، فأتينا بِرُطَبٍ من رُطَبِ ابن طالب ، فَأَوَّلْتُ العاقبةُ لنا في الدنيا والرفعةُ ، وأنّ ديننا قد طابَ » .

وإذا أردت أن تعرف تأثير الأسماء في مسمياتها فتأمل حديث سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، عن جدَّه ، قال : أتيت إلى النبي ﷺ ، فقال : « ما اسمُك ؟ » قلت : حَزْنٌ ، فقال : « أنت سهلٌ » . قال : لا أغير اسمًا سمانيه أبي . قال ابن المسيب : فما زالت تلك الحُزُونةُ فينا بعد[٢] .

وتأمل ما رواه مالك في « الموطأ » (٩٧٣/٢) عن يحيى بن سعيد : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال لرجل : ما اسمك ؟ قال : جَمْرَة ، قال : ابنُ مَن ؟ قال : ابن شهاب ، قال : مِمن ؟ قال : من الحُرْقَةِ ، قال : أين مَسْكَنُكَ ؟ قال : بحَرَّةِ النار ، قال : بأيتها ؟ قال : بذات لَظَى ، قال عمر : أدْرِكْ أهلك فقد احترقوا ، فكان كما قال عمر : هذه رواية مالك .

ومن البلاء الحاصل بالقول : قول الشيخ البائس الذي عادهُ النبي ﷺ ، فرأى عليه حُمى ، فقال : « لا بأس ! طهورٌ إن شاء اللَّه » . فقال : بل حمى تفور على شيخ كبير ، تُزيرهُ القبور . فقال رسول الله ﷺ . « فنعمْ إذًا » .

وقد رأينا من هذا عبرًا فينا وفي غيرنا ، والذي رأيناه كقطرة في بحر .

---

(١) البخاري ، رقم (٣٥١٣) ، ومسلم (٢٥١٨) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦١٩) . والحزونة . الغِلْظَةُ ، ومنه أرض حَزنة ، وأرض سهلة.

وفي « جامع ابن وهب » أن رسول الله ﷺ أُتي بغلام ، فقال : « **ما سَمَّيْتُمْ هذا ؟** » قالوا : السائب ، فقال : « **لا تُسموهُ السائبَ ، ولكن عبدَ اللّهِ** » . قال : فغُلِبُوا على اسمه ، فلم يَمُتْ حتى ذَهَبَ عقلُهُ .

فَحِفْظ المنطق وتخير الأسماء من توفيق اللّه للعبد ، وقد أمر النبي ﷺ مَن تمنى أن يحسن أمنيته ، وقال : « **إن أحدكم لا يدري ما يُكتب له من أمنيته** » . أي : ما يقدر له مِنها ، وتكون أمنيته سبب حصول ما تمناه أو بعضه ، وقد بلغك أو رأيت أخبار كثير من المتمنين أصابتهم أمانيهم أو بعضها ، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يمثل بهذا البيت .

احْذَرْ لسانك أنْ يَقولَ فَتُبْتَلى ... إن البلاءَ مُوكَّل بالمنطقِ

ولما نزل الحسين وأصحابه بكربلاء ، سأل عن اسمها ؟ فقيل : كَرْبلاء ، فقال : كَرْبٌ وَبَلاءٌ .

ولما وقفت حليمة السعدية على عبد المطلب تسأله رضاع رسول الله ﷺ ، قال لها : مَن أنتِ ؟ قالت : امرأةٌ من بني سعد ، قال : فما اسمك ؟ قالت : حليمة ، فقال : بخٍ بخٍ ، سَعْدٌ وحِلْمٌ ، هاتان فيهما غناء الدهر[1] .

(١٥) ويأمر بحلق رأس الطفل يوم سابعه وتنظيفه وإزالة الأذى عنه :

شرع الإسلام أن يُحلَق رأس الطفل يوم سابعه إيذانًا بالعناية به وإزالة ما يؤذيه ، بل وشرع التصدق عنه بوزن شعر رأسه فضة . وكأن في ذلك إشارة إلى فدائه بالمال وعدم التفريط فيه ، وأنَّ شعر رأسه الذي يؤذيه بقاؤه فيحلقونه ليس رخيصًا عند أسرته ، بل يوزن بالمال الذي يحرص عليه الناس ، كما شرع ختانه ، وهو من خصال الفطرة التي حث عليها رسول اللّه ﷺ .

قال ابن القيم رحمه اللّه ، بعد أن ذكر نصوص خصال الفطرة : (وقد اشتركت خصال الفطرة في الطهارة والنظافة وأخذ الفضلات المستقذرة ، التي

---

(١) تحفة المودود ص ١٠٥ - ١٠٧.

يألفها الشيطان ويجاورها من بنى آدم ، وله بالغرلة اتصال واختصاص)[١] . والغرلة هي الجلدة التي تُقطع من ذكر الطفل عند الختان، وتسمى القُلْفة. كما في النهاية لابن الأثير .

وقد مر بنا في حديث بريدة قال : فلما جاء الإسلام كنا نذبح شاة ، (أي عن الطفل) ونحلق رأسه ونلطخه بالزعفران[٢] .

وعن عليٍّ قال : عقّ رسول اللَّه ﷺ عن الحسن شاة ، وقال : « **يا فاطمة ، احلقي رأسه ، وتصدّقي بزنة شعره فضة** » ، فوزنته فكان وزنه درهمًا أو بعض درهم[٣] .

وهنا تنبيه : وهو أن بعض الناس يعجبهم جُمة الطفل وكثافة الشعر عليه ، فيترددون في الحلق لأن رأسه سيصير أجلح أقرع ، والبعض يزيدهم ترددًا بقوله : رأس الولد طريٌ لا يتحمل الحلاقة ! ومما لا شك فيه أن هذا إما جهل بالشرع ، وإما ضعف في الالتزام بالشرع .

(١٦) وينهَى ﷺ عن تشويه رأس الصبي بالقزع :

والقَزَع : هو أن يُحلق رأس الصبي ويُترك منه مواضع متفرقة غير محلوقة تشبيهًا بقَزَع السحاب[٤] بفتح القاف والزاي .

عن ابن عمر أن رسول اللَّه ﷺ نهى عن القزع ، قال : قلت لنافع : وما القزع؟ قال : يُحلق بعض رأس الصبي ويُترك بعض[٥] .

---

(١) تحفة المودود ص ١٣٤ .

(٢) سبق تخريجه بالفقرة (١٢) .

(٣) الترمذي ، كتاب الأضاحي ١٤٣٩ . وأحمد ، مسند القبائل ٢٥٩٣٠ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ، وقال : إسناده حسن ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ح١٥١٨ .

(٤) النهاية لابن الأثير ، باب . قزع .

(٥) البخاري ، كتاب اللباس ٥٤٦٥ . مسلم ، كتاب اللباس والزينة ٣٩٥٩ . وابن ماجه كتاب اللباس ٣٦٢٧ . وأحمد ، مسند المكثرين ٤٩٢٨ . وهذا اللفظ لمسلم .

والمقصود والمطلوب أن يكون الحلق من جميع الرأس ، لأن حلق البعض وترك البعض الآخر ، يتنافى مع الشخصية الإسلامية التي يتميز بها المسلم عن بقية الملل والمعتقدات ، وعن سائر أهل الفسوق والميوعة والانحلال . وقد يكون في هذا القزع تشبهُ بالكفار .

(١٧) ويداعب ﷺ الصبي الصغير بلسانه وفمه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان لَيَدلَع (يخرج) لسانه للحسن بن عليٍّ ، فيرى الصبي حُمرة لسانه ، فيبهش إليه ، أي يعجبه ويسرع إليه[١] . وهذا من حنانه ﷺ مع الأطفال .

وعنه أيضًا رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى سوق بني قينقاع متكئًا على يدي فطاف فيها ثم رجع فاحتبى (أي جلس على مقعدته وهو يشبِّك ذراعيه حول ركبتيه) في المسجد ، وقال : « **أين لَكَاع ؟ ادعوا لي لكاع** » ، فجاء الحسن عليه السلام فاشتد حتى وثب في حبوته ، فأدخل ﷺ فمه في فمه ، ثم قال : « **اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه** (ثلاثًا) » . قال أبو هريرة : ما رأيت الحسن إلا فاضت عيني[٢] . (ولَكَاع ولُكَع هو الصغير قليل الجسم ، وتطلق على قليل العلم الغبي الأحمق)[٣] .

(١٨) ويكنِّي النبي ﷺ أهل الطفل باسمه :

عن أبي شريح أنه كان يُسمَّي أبا الحكم ، فقال له النبي ﷺ : « **إن الله هو الحَكَم ، وإليه الحُكْم** » . فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني ، فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين ، فقال ﷺ : « **ما أحسن هذا ، فما لك من الولد ؟** » فقلت : شُرَيْح ومسلم وعبد الله ، قال : « **مَن أكبرهم ؟** »

---

(١) السلسلة الصحيحة (٧٠) .

(٢) البخاري ، كتاب اللباس ٥٤٣٤ . ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ٤٤٤٦ . وأحمد ، باقي مسند المكثرين ١٠٤٧١ واللفظ له . والترمذي وابن ماجه .

(٣) النهاية لابن الأثير ، باب . لكع .

قلت : شريح ، قال : « أنت أبو شريح »(١) . وشريح من الشرح ، وهو الانبساط وانشراح الصدر ، قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ .

(١٩) ويهتم ﷺ بختان الطفل (سُنة الفطرة) :

يسمِّيه البعض : الطُّهار .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونتف الآباط** »(٢) .

ولكن متى يكون الختان ؟

قال ابن عباس : كانوا لا يختنون الغلام حتى يُدرك . قال الميموني : سمعتُ أحمد يقول : كان الحسن يكره أن يُختَن الصبي يوم سابعه ، وقال حنبل : إن أبا عبد اللَّه قال : وإن خُتِن يوم السابع فلا بأس ، وإنما كره الحسن ذلك لئلا يتشبه باليهود ، وليس في هذا شيء . قال مكحول : خَتَن إبراهيم ابنه إسحاق لسبعة أيام ، وختن إسماعيل لثلاث عشرة سنة ، ذكره الخلاَّل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فصار ختان إسحاق سُنَّة في ولده ، وختان إسماعيل سُنَّة في ولده ، وقد تقدم الخلاف في ختان النبي ﷺ متى كان ذلك(٣) .

قُلْتُ : قد ذكر ابن القيم هذا الخلاف وخلاصته أنه قيل إن النبي ﷺ وُلد مختونًا ، وليس في ذلك حديث ثابت ، القول الثاني أنه خُتن يوم شق الملائكة قلبه عند مرضعته حليمة ، القول الثالث : أن جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه ، وصنع له مأدبة وسماه محمدًا . وكل ذلك لم يثبت بالدليل ، ثم ختم

---

(١) أبو داود ، كتاب الأدب ٤٣٠٤ ، والنسائي آداب القضاة ٥٢٩٢ . وابن حبان في صحيحه ج٢ ح ٥٠٤ ، والحاكم ج١ ح٦٢، وصحيح الأدب المفرد ح٦٢٣ .

(٢) البخاري ، كتاب اللباس (٥٤٤١) ، ومسلم .

(٣) زاد المعاد ج٢ ص ٣٠٤ .

ابن القيم بقول كمال الدين بن العديم أنه ﷺ خُتِن على عادة العرب ، وكان عموم هذه السنة للعرب قاطبةً مُغْنيًا عن نقل معين فيها ، والله أعلم[١] .

هذا مع ما في الختان من الطهارة والنظافة والتزيين وتحسين الخلقة وتعديل الشهوة ، التي إذا أُفرطت ألحقت الإنسان بالحيوانات ، وإن عَدمت بالكلية ألحقته بالجمادات ، فالختان يعدِّلها ، ولهذا تجد الأقلف من الرجال والقلفاء من النساء لا يشبعان من الجماع .. ولا يخفى على ذي الحس السليم قبح الغُرلة ، وما في إزالتها من التحسين والتنظيف والتزيين)[٢] .

(٢٠) ويُجلسهم على حجره ﷺ وعلى فخذه ويشفق على مرضاهم :

من الأخلاق الكريمة في رسولنا ﷺ أنه كان يُؤتى بالصبي الصغير فيُجلسه في حجره ﷺ حتى أن الصبي لَيبول في حجر النبي فلا يرفعه إلى أهله حتى لا يظنوا أنه تضجر من ذلك .

عن أم قيس بنت محصن قالت : دخلت على رسول الله ﷺ بابن لي لم يأكل بعد ، فبال عليه ، فدعا بماء فرشَّه[٣] . متفق عليه .

وعن أم كُرز الخزاعية قالت : أُتِيَ النبي ﷺ بغلام فبال عليه ، فأمر به فنُضح ، وأُتِيَ بجارية فبالت عَليه فأمر به فغُسل[٤] .

وعن أسامة بن زيد رضي اللَّهُ عنهما قال : كان نبي الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويُقعد الحسن بن عليٍّ على فخذه الأخرى ثم يضمنا ثم

(١) زاد المعاد ، جـ١ ص ٨٠ - ٨١ .

(٢) تحفة المودود ، ص ١٥٤ .

(٣) قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم : باب حكم بول الرضيع : ثم إن النضح (الرش) إنما يُجزي ما دام الصبي يقتصر به على الرضاع ، أما إذا أكل الطعام على جهة التغذية فإنه يجب الغَسل بلا خلاف . والله أعلم .

(٤) أحمد ، مسند القبائل ٢٦١٠٤ ، والهيثمي في مجمع الزوائد جـ١ ص٢٨٥ وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ح٣٠٣ عن أبي السمح مرفوعًا بلفظ : « يُغسل من بول الجارية ويرش من بول الغلام » .

يقول : « **اللهم ارحمهما فإني أرحمهما** »[١] .

وعن يوسف بن عبد الله بن سلام قال : سماني رسول الله ﷺ يوسف وأقعدني على حجره ومسح رأسي[٢] .

وعن أم قيس بنت محصن أنها أتت رسول الله ﷺ بابن لها لم يبلغ أن يأكل الطعام وقد أعلقت عليه[٣] من العُذرة قالت : فقال رسول الله ﷺ : « **علامَ تدغَرْنَ** (الضغط باليد على مكان الألم) **أولادكن بهذا الإعلاق ؟ عليكم بالعود الهندي** (يعني به الكُسْت وهو عود يُجعَل في البخور والدواء) **فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب** » (السُّل أو ذبول الجسم أو قرحة في البطن) قال عبيد الله : وأخبرتني أن ابنها ذاك بال في حَجر النبي ﷺ فدعا رسول الله ﷺ بماء فنضحه ولم يغسله غسلاً[٤] .

فرسول الله ﷺ رحيم بالأطفال ، ومرشد لنا إلى ما يرحم الأطفال وينأى بهم عن تعذيبهم ، حتى أنه يقول أيضًا فيما رواه عنه أنس بن مالك رضي الله عنه : « **إن أفضل ما تداويتم به ؛ الحجامة والقسط البحري ، فلا تعذبوا صبيانكم بالغمز** »[٥] .

* * *

(١) البخاري ، كتاب الأدب ٥٥٤٤ . وأحمد ، مسند الأنصار ٢٠٧٨٨ .

(٢) صحيح الإسناد ، وانظر صحيح الأدب المفرد للألباني ح٢٨٢ .

(٣) الإعلاق . هو معالجة عذرة الصبي ، وهي الوجع والورم الذي في حلقه ، تدفعه الأم بالضغط عليه بأصبعها . وقيل هي قرحة تخرج في الخرم الذي بين الأنف والحلْق تعرض للصبيان فتعمد المرأة إلى خرقة فتفتلها فتلاً شديدًا وتدخلها في أنفه فتطعن ذلك الموضع فينفجر منه دم أسود وربما أقرحه ، وذلك الطعن يسمّى الدَّغْر ، يقال عذرت المرأة الصبي ، إذا غمزت حلْقه من العُذرة . النهاية لابن الأثير باب . علق ، عذر ، دغر . والحديث أخرجه مسلم .... باب التداوي بالعود الهندي ، وقال النووي في الشرح . وافقه البخاري ٥٦٩٢/١٠، وأبو داود وابن ماجه .

(٤) البخاري ج ٥ ح ٥٣٨٣ .

(٥) صحيح الجامع ح ١٥٧٢ .

من اهتمام الإسلام بالطفل أنه يوجب إرضاعه وكفالته حتى يستغني بنفسه كما يوجب السعي على رزقه وكسوته

قال الله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

لقد كان غذاء الطفل في رحم أمه يأتيه بلا اختيار منها ولا اختيار منه ، عن طريق سرته التي ربط الله له بها حبلاً يوصل إليه به ذلك الغذاء ، وإذا كان على أمه حق له في فترة الحمل ؛ فهو أن تتناول الغذاء المناسب ولا تهمل نفسها إهمالاً يؤدي إلى الإضرار به ، كما أن على أبيه أن ينفق عليها نفقة تكفيها .

ولكنه عندما يتيسر سبيله فيخرج من رحلة الرحم ليبدأ رحلة الأرض ، ينقطع عنه ذلك الغذاء الاضطراري ، ويجب على أبويه أن يقوما بإرضاعه . الأم ترضعه من لبنها الذي حوّله الله إلى ثدييها ليسهل على الطفل تناوله ، والأب ينفق عليها ويكفيها بما تحتاج إليه ، فإن فقد أبويه أو أحدهما وجب ذلك على من يقوم مقامهما ، إما من الأقارب ، وإما من وُلاة أمور المسلمين .

فالرضاعة حق للمولود على والدته في المقام الأول ، أي حقه عليها أن ترضعه لبنها من ثديها ، والأم أحق بإرضاع ولدها مِن سواها مطلقًا ، لقوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

ولكن لا تُجبر الأم على إرضاع ولدها إلا إذا تعيَّنت ؛ بأن لم يقبل طفلها غير ثديها ، أو كان وليه فقيرًا لا يستطيع استئجار مرضع له ، أو تأمين بديل عنها ولو عن طريق تغذيته بالحليب المجفف ، ويجوز للأب أن يسترضع ولده ويطلب له أية مرضع له غير أمه ، وقد كان ذلك معروفًا عند العرب قبل الإسلام ، وكانت حليمة السعدية مرضعة لرسول الله ﷺ .

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

وعلى والد الطفل نفقة الوالدات وكسوتهن بالمعروف من غير إسراف ولا إقتار ، كما قال تعالى : ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق : ٧] .

وقد بات معروفًا مشهورًا مدى المنافع والفوائد التي تعود على المرضع والرضيع على السواء من فوائد صحية ونفسية .

أيتها الأم ، امنحي طفلك حنانك ، وأرضعيه لبنك لتستكملي معنى الأمومة ولتحظَيْ بالأجر والمثوبة ، وتولّي أنت أيتها الأم تربية طفلك بنفسك وَفْق المنهج النبوي ، ولا تلقيه إلى الخادم وإلى دور الحضانة ، وتذكري أن الأمومة مسئولية كبيرة فلا تتخلي عنها . ثم هل رأيت أيتها الأم طائرًا أو حيوانًا أو أي أم من سائر المخلوقات تركت طفلها في مهده وتخلت عنه في صغره ؟ إنه من الجفاء ألا تتخلى الأم العجماء من الحيوانات والطيور عن صغارها ، وتتخلى الأم الآدمية صاحبة العقل والإدراك !!

وتجب كفالة الطفل حتى يبلغ أشده ويقدر على القيام بمصالحه ، قال ابن قدامة رحمه الله : « كفالة الطفل وحضانته واجبة ، لأنه يهلك بتركه ، فيجب

حفظه عن الهلاك ، كما يجب الإنفاق عليه وإنجاؤه من المهالك »[١] .

فإن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين ، ورأيا المصلحة في ذلك وتشاورا فيه وأجمعا عليه فلا جناح عليهما ، ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك أو ينفرد به دون مشورة الآخر ، والواجب عليهما أن يأتمرا بينهما بمعروف .

ثم إن الأم أحق بحضانة الولد ، سواء كانت الزوجية قائمة أم قاعدة !! ولا يقدم على الأم غيرها ، إلا إذا فقدت حقها في الحضانة ، كأن تتزوج غير محرم للمحضون ، أو فعلت ما يسقط حقها في الحضانة ، عندها ينتقل حق الحضانة إلى أمها وإن علت ، ثم إلى أم الأب ، ثم الأخت .

روى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عن الجميع أن امرأة قالت : يا رسول الله ، إن ابني هذا كانت بطني له وعاءً ، وثديي له سقاءً ، وحجري له حواءً ، وإن أباه طلقني وأراد أن ينزعه مني ، فقال رسول الله ﷺ : « **أنتِ أحق به ما لم تنكحي** » أي : ما لم تتزوجي .

ولا يسقط حق الحضانة بتنازل صاحبتها عنها ، بل لها العودة عن تنازلها ، لأن في الحضانة حقين ؛ حقًّا للحاضنة ، وحقًّا للمحضون . وحق المحضون لا يملك أحد إسقاطه إذا توفرت شروط الحضانة في الحاضنة .

* * *

عمر رضي الله عنه يهتم بأطفال المسلمين منذ ولادتهم

كان عمر رضي الله عنه في خلافته لا يفرض لمولود علاوة وزيادة من بيت المال حتى يُفطَم ، ثم تراجع عن ذلك القرار ، وفرض لكل مولود بمجرد ولادته ، لسبب بسيط رآه عمر سببًا خطيرًا ، فقد سمع ذات ليلة بكاء صبي ، فقال لأمه : أرضعيه، فقالت – وهي لا تعرفه –: إن أمير المؤمنين لا يفرض لمولود حتى

---

(١) المغني ٨/٢٣٧ .

يُفطَم ، وإني فطمته ، فقال عمر : إنْ كدتُ لأن أقتله ؛ أرضعيه ، فإن أمير المؤمنين سوف يفرض له ، ثم فرض رضي الله عنه بعد ذلك للمولود حين يولد[١] . رحم الله عمرَ . كان من الله خوَّافًا ، وعند حدوده وقَّافًا فخرج من الدنيا سالمًا معافًى .

(٢١) ويبكي ﷺ على الأطفال عند موتهم ويعزِّي فيهم أهلهم :

عن أسامة بن زيد قال : أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه أن ابنًا لي قد قُبض (مات) فأْتنا ، فأرسل يقرئ السلام ويقول : « **إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكلٌ عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب** ». فأرسلت إليه تُقْسِم عليه لَيَأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ورجال من أصحابه ، فرُفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفْسُه تَقعقَع (صوت الحشرجة) كأنها شَنَّة (القربة القديمة) ، ففاضت عيناه ﷺ ، فقال سعد : يا رسول الله ، ما هذا ؟ فقال : « **هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء** »[٢] .

وعن أنس قال : دخلنا مع رسول الله ﷺ فأخذ إبراهيم ابنه فقبَّله وشمَّهُ ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان (تدمعان) فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ (أي تبكي) ، فقال : « **يا ابن عوف** » ، ثم أتبعها بأخرى (أي بكى ثانية) فقال ﷺ : « **إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يَرضَى ربنا ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون** »[٣] .

وعن أسماء بنت يزيد رضي اللهُ عنها قالت : لما توفي ابن رسول الله ﷺ

---

(١) مجمع الزوائد ج٦ ص ٧ وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . وصححه الألباني في صحيح النسائي ح١٨٦٧ .

(٢) البخاري ١٢٠٤ ، ومسلم ١٥٣١ ، والنسائي ١٨٤٥ . وأبو داود ٢٧١٨ . وابن ماجة ١٥٧٧ . وجميعهم في كتاب الجنائز . وأحمد مسند الأنصار ٢٠٧٧٧ .

(٣) البخاري ، كتاب الجنائز ١٢٢٠ . ومسلم ، كتاب الفضائل ٤٢٧٩ . وأبو داود ، كتاب الجنائز ٢٧١٩ وأحمد ، باقي مسند المكثرين ١٢٥٤٤ . وهذا لفظ البخاري .

إبراهيم ، بكى رسول الله ﷺ ، فقال له المُعَزِّي إمَّا أبو بكر وإما عمر : أنت أحق مَن عظَّم الله حقه ، قال رسول الله ﷺ : « **تدمع العين ، ويحزن القلب ولا نقول ما يُسخط الربَّ ، لولا أنه وعد صادق ، وموعود جامع ، وأن الآخر تابع للأولَ ؛ لوجدنا عليك[١] يا إبراهيم أفضل مما وجدنا ، وإنا بك لمحزونون** »[٢] .

وعن أبي هريرة ﷺ أن امرأة أتت النبي ﷺ بصبي فقالت: ادع الله له فقد دفنتُ ثلاثة ، فقال : « **احتظرتِ من النار بحظار شديد من النار** »[٣] .

ويبيّن ﷺ ثقل ميزان من مات له ولد فاحتسبه ، فيقول : « **بَخٍ بَخٍ لخمس ما أثقلهن في الميزان ؛ لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، والحمد لله، والله أكبر، والولد الصالح يُتوفَّى للمرء المسلم فيحتسبه** »[٤] .

و« بخ بخ » . كلمة تقال للمدح والرضا ، وتُكرر للمبالغة ، فإن وُصِلت جُرَّت ونونت .

(٢٢) ويخصهم بدعاء وهو يصلي عليهم ﷺ :

قال سعيد بن المسيب رحمه الله : صليتُ وراء أبي هريرة على صبي لم يعمل خطيئة قط ، فسمعته يقول : « **اللهم أعذه من عذاب القبر** »[٥] .

وكان الحسن يقرأ على الطفل بفاتحة الكتاب ويقول : « **اللهم اجعله لنا فرَطًا[٦] وسلفًا وأجرًا** »[٧] . وإن قال : اللهم اجعله فرطًا وذخرًا لوالديه ، وشفيعًا

---

(١) أي حَزِنًا عليك .

(٢) إسناده صحيح . ابن ماجه ، كتاب الجنائز ١٥٧٨ . والسلسلة الصحيحة ح ١٧٣٢ .

(٣) صحيح الأدب المفرد للألباني ح ١٠٧ .

(٤) صحيح الجامع ح ٢٨١٧ عن ثوبان .

(٥) موطأ مالك ، كتاب الجنائز ٤٨٠ . وعون المعبود ج٨ ص ٣٦٢ ، وليس المراد بعذاب القبر هنا عقوبته ولا السؤال ، بل مجرد الألم بالغم والهم والحسرة والوحشة والضغطة وذلك يعم الأطفال وغيرهم . قاله الزرقاني في شرحه ج٢ص ٨٥ .

(٦) أي سابقًا ومتقدمًا .

(٧) البخاري ، كتاب الجنائز ، باب . قراءة الفاتحة على الجنازة ج١ ص ٤٤٨ .

مجابًا ، اللهم ثقِّل به موازينهما ، وأعظم به أجورهما ، وألحقه بصالح المؤمنين ، واجعله في كفالة إبراهيم ، وقه برحمتك عذاب الجحيم ، وأبدله دارًا خيرًا من داره ، وأهلاً خيرًا من أَهله ، اللهم اغفر لأسلافنا ، وأفراطنا ، ومَن سبقونا بالإيمان فحسن[1] .

(٢٣) ويبشرهم ﷺ بالجنة إذا ماتوا صغارًا :

عن عائشة رضي اللَّه عنها أم المؤمنين قالت : دُعي رسول الله ﷺ إلى جنازة غلام من الأنصار ، فقلت : يا رسول الله ، طوبى لهذا ، عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل السوء ولم يدركه . قال: « **أوَ غير ذلك يا عائشة ؟ إن اللَّه خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم** »[2] .

فانظر يا أخي عَلاَم يربي كثير من الناس الآن صِغارهم ، إنهم يعطونهم الفرصة بقصد أو بغير قصد ليدركوا قول السوء وفعله وهم لا يزالون صغارًا ، فترى الطفل وهو صغير مشبعًا بالرذائل ولا يعرف شيئًا عن الفضائل ، وتراه يتكلم بأفحش الكلام ، ويأتي سيئ الأسقام، ويسب ويلعن ويشتم بألفاظ العورات ، ولا يوقر الصالحين ولا الصالحات ، فإذا مات الواحد من أمثال هؤلاء ، فهل أمثالهم عصافير الجنة ؟!! وإذا عاشوا فماذا يُنتظر أن يصنع هؤلاء ؟! اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون .

وقال ﷺ : « **رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة ...** » إلى أن قال : « **قالا : انطلق ، فانطلقتُ ، فإذا روضة خضراء ، وإذا فيها شجرة عظيمة ، وإذا شيخ في أصلها حوله صبيان** » إلى أن قال : « **إنكما طوفتماني منذ الليلة ، فأخبراني عما رأيت . قالا . نعم ... قال : وأما**

(١) المغني لابن قدامة ٤١٦/٣ ، وعون المعبود ج ٨ ص ٣٦٣ .
(٢) صحيح سنن ابن ماجه للألباني ح ٦٧ .

الشيخ الذي رأيت في أصل الشجرة فذاك إبراهيم عليه السلام ، وأما الصبيان الذين رأيتْ فأولاد الناس »[١] .

إذَن فأولاد المسلمين الذين ماتوا ولم يبلغوا الحلم ؛ يكفلهم الخليل إبراهيم ﷺ وزوجته سارة رضي اللَّه عنها ، ويقومان على مصالحهم حتى يردوهم إلى آبائهم يوم القيامة .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **أطفال المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردوهم إلى آبائهم يوم القيامة** »[٢] .

لذلك كان من الدعاء في صلاة الجنازة على الطفل أن يقال : « **... وألحقه بصالح المؤمنين ، واجعله في كفالة إبراهيم ، وقِهِ برحمتك عذاب الجحيم ...** »[٣].

بل أخبر النبي ﷺ أن اللَّه سبحانه جعل مرضعًا لابنه إبراهيم تقوم عليه وتكمل رضاعه .

فعن البراء رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن له مرضعًا في الجنة** » – يعني ولده إبراهيم[٤].

أما أطفال المشركين : فقد أخبر نبينا ﷺ بأنهم في الجنة يكونون فيها خدمًا لأهلها .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **أطفال المشركين خدم أهل الجنة** »[٥] .

قال النووي في شرح صحيح مسلم : وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة

---

(١) صحيح الجامع ٣٤٦٢ عن سمرة .
(٢) صحيح الجامع ١٠٢٣ .
(٣) سبق تخريجه بالفقرة السابقة .
(٤) صحيح الجامع ح ٢١٨٨ .
(٥) صحيح الجامع ١٠٢٤ .

مذاهب ؛ الأكثرون قالوا : هم في النار تبعًا لآبائهم ، وتوقفت طائفة فيهم ، والثالث وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون ؛ أنهم من أهل الجنة ، ويستدل له بأشياء منها حديث إبراهيم الخليل ﷺ حين رآه النبي ﷺ في الجنة وحوله أولاد الناس ، قالوا : يا رسول الله ، وأولاد المشركين ؟ قال : « **وأولاد المشركين** » . رواه البخاري في صحيحه .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥] ولا على المولود التكليف حتى يبلغ، وهذا متفق عليه والله أعلم(١). اهـ.

هذا ، وقد نهى النبي ﷺ عن قتل صبيان الأعداء في الحروب ، فعن عبد الله رضي الله عنه أن امرأة وُجِدت في بعض مغازي رسول الله ﷺ مقتولة ، فأنكر ﷺ قتل النساء والصبيان(٢).

(٢٤) ويبشِّر ﷺ بشفاعتهم لأبويهم إذا صبروا على فقْدِهم :

عن أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة : إنه قد مات لي ابنان ، فما أنت محدِّثي عن رسول الله ﷺ بحديث تُطيِّب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال: « **نعم . صغارهم دعاميص الجنة (صغار أهل الجنة) يتلقَّى أحدهم أباه ، أو قال : أبويه ، فيأخذ بثوبه ، أو قال : بيده ، كما آخذ أنا بِصَنِفَةِ (طرف) ثوبك هذا ، فلا يتناهى ، أو قال : فلا ينتهي (فلا يتركه) حتى يُدخِله الله وإيَّاه الجنة** »(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **ما من مسلمَيْن يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنْث(٤) ، إلا أدخلهما الله وإياهم بفضل رحمته الجنة ، وقال : يقال لهم : ادخلوا الجنة ، قال فيقولون : حتى يجيئ أبوانا ،**

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ج ١ ص ٩ . وانظر صحيح الجامع ح ١٠٢٤ .
(٢) البخاري ح٣٠١٤ .
(٣) مسلم ، كتاب البر والصلة ٤٧٦٩ ، وأحمد .
(٤) سن البلوغ .

قال : ثلاث مرات فيقولون مثل ذلك ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم »[١] .

بل يخبر ﷺ بتلقيهم لأهلهم على أبواب الجنة يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ : « **ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل** »[٢].

قال العلماء : الإخبار بمن بلغ الحنث أي سن التكليف الذي يُكتب فيه الإثم ؛ لأن حب الصغير أشد والشفقة عليه أعظم ، وهو يلائمه بلا شك قوله ﷺ في رواية : « **بفضل رحمته إياهم** » ، إذ الرحمة للصغير أكثر .

قال المناوي في « فيض القدير » :

ولموت الأولاد فوائد :

١- كونهم حجابًا عن النار كما في عدة أخبار .

٢- يثقلون الميزان .

٣- يشفعون في دخول الجنة .

٤- يسقون أصولهم (آباءهم وأمهاتهم) يوم العطش الأكبر من شراب الجنة .

٥- يخففون الموت عن الوالدين لتذكر أفراطهم الماضين الذين كانوا لهم قرة أعين ... وغير ذلك . اهـ .

وقال ﷺ : « **من دفن ثلاثة من الولد ، حرم الله عليه النار** »[٣].

(٢٥) ويبشر ﷺ من حُرِم الأولاد في الدنيا بهم في الآخرة :

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **المؤمن إذا اشتهى الولد**

---

(١) البخاري ، كتاب الجنائز (١١٧١) . والنسائي ، وأحمد وهذا لفظه .

(٢) حديث حسن . صحيح الجامع ٥٧٧٢ عن عتبة بن عبد .

(٣) صحيح الجامع ح ٦٢٣٨ عن واثلة .

في الجنة كان حمله ووضعه وسِنُّه في ساعة واحدة كما يشتهي»[(١)].

قال المناوي في « فيض القدير » : ولا تعارض بينه وبين خبر العقيلي بسند صحيح : « إن الجنة لا يكون فيها ولد » ؛ لأن ذلك لمن لم يشتهِ ، فلا يولد له ، أما إذا اشتهى فكما بين الحديث .

قُلْتُ : وهذا مصداق قول الله سبحانه : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف : ٧١] .

(٢٦) وكان ﷺ يرحم بكاء الطفل في الصلاة فيخففها ، ويحث أئمة المساجد على تخفيف الصلاة لأجلهم :

عن أنس رضي الله عنه قال : ما صليت وراء إمام قَط أخف صلاة ولا أتم من النبي ﷺ ، وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف عنه مخافة أن تُفتَن أمه[(٢)] . ويؤكد ﷺ ذلك بنفسه فيقول : « إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجاوز في صلاتي مما أعلم من شدة وَجْد أمه من بكائه »[(٣)] . الوَجْد : الشوق .

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « إذا أَمَّ أحدكم الناس فليخفف فإن منهم الصغير والكبير والضعيف والمريض ، فإذا صلى وحده فليصل كيف يشاء »[(٤)] .

(٢٧) ويناديهم ﷺ بكنيتهم تكريمًا لهم :

وهذا الصنيع من كريم أخلاقه ﷺ يقول أنس رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا وكان لي أخ يقال له أبو عمير ، قال : أحسبه فطيمًا ،

---

(١) صحيح الجامع ح ٦٦٤٩ .

(٢) البخاري ، كتاب الأذان ٦٦٧ .

(٣) البخاري ، كتاب الأذان ٦٦٧ . ومسلم ، كتاب الصلاة ٧٢٣ . وأحمد ، وهذا لفظه .

(٤) مسلم ،كتاب الصلاة ٧١٤ .

وكان إذا جاء (أي النبي) قال : « **يا أبا عمير ...** »[١] .

إن النداء للطفل بكنيته يرفع معنوياته ، ويجعله أشد حبًّا لمعلمه ومربيه ، وكلما كانت العلاقة بين الطفل ومؤدبه حسنة كانت النتائج إيجابية وسريعة وعظيمة ، فلنقتد بخير الخلق محمد ﷺ .

(٢٨) ويُحسن النداء ﷺ للصغار حتى من الخدم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : « **لا يقولن أحدكم : عبدي ، وأَمَتي كلكم عبيد اللّه ، وكل نسائكم إماء اللّه ، وليقل : غلامي ، وجاريتي ، وفتاي ، وفتاتي** »[٢] . لو يعمل الناس بهذا الأدب لارتاحت البشرية ، فكلنا عبيد اللّه ، وكل نسائنا إماء الله ، ولكن الحمقى لا يفهمون !

(٢٩) ويحملهم ﷺ في صلاته :

عن عبد اللّه بن شداد رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول اللّه ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسنًا أو حسينًا ، فتقدم رسول اللّه ﷺ فوضعه ثم كبَّر للصلاة فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها ، قال أبي : فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول اللّه ﷺ وهو ساجد ، فرجعتُ إلى سجودي ، فلما قضى رسول اللّه ﷺ الصلاة قال الناس : يا رسول اللّه ، إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر وأنه يوحَى إليك ، قال : « **كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته** »[٣] .

وعن أبي قتادة الأنصاري أن رسول اللّه ﷺ كان يصلي وهو حامل لأمامة

---

(١) البخاري ، كتاب الأدب ح٥٣٧٥ .

(٢) مسلم ، كتاب الألفاظ من الأدب ، وأحمد ٩٥٨٥ .

(٣) أخرجه النسائي ، كتاب التطبيق (١١٢٩) ، وأخرجه الحاكم ج ٣ ص ٤٧٧٥، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وصحح إسناده حمزة الزين في تحقيق مسند الإمام أحمد ح ١٥٩٧٥، ح٢٧٥١٩ .

بنت زينب بنت رسول الله ﷺ ، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها[١] .

ولمسلم والنسائي[٢]: كان رسول الله ﷺ يؤم الناس وهو حامل أمامة بنت أبي العاص على عاتقه ، فإذا ركع وضعها ، وإذا رفع من سجوده أعادها[٣] .

(٣٠) ويأمر ﷺ بتلقين الطفل كلمة التوحيد :

عن جندب بن عبد الله قال : « كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا »[٤] .

فعلمهم النبي ﷺ الإيمان قبل أن يعلمهم القرآن ، والإيمان كما بالحديث . « **بضع وسبعون شعبة ، أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول : لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان** »[٥].

وأنت يا أخي ترى الطفل الصغير وهو لم يتعلم النطق بعد ، كلما سمع كلمات الأذان أخذ يمد بها صوته مقلدًا ومحاكيًا صوت المؤذن ، بل وينتبه لذلك كثيرًا عند كل أذان في غفلة الحاضرين ، فيسرع من تلقاء نفسه إلى محاولة نطق كلمة التوحيد ، والشهادة برسالة نبي التوحيد ، فعليك أيها المربي أن تتعاهد ذلك البرعم الصغير النضيد ، وتلقنه النطق الحسن بكلمة التوحيد « **لا إله إلا الله** »[٦].

أخي المربي ؛ لو عرفت عظمة كلمة التوحيد « **لا إله إلا الله** » لألزمت نفسك بها ، ولأمرت بنيك بترديدها ، فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ : « **أن نوحًا عليه السلام قال لابنه عند موته : آمرك بلا إله إلا**

---

(١) البخاري ، كتاب الصلاة ٤٨٦ ، ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٨٤٤ .

(٢) مسلم كتاب المساجد ح ٥٤٣ .

(٣) توضح رواية مسلم والنسائي أن حمله ﷺ لأمامة كان في صلاة الفريضة . وقد قال ذلك أيضًا الحافظ في الفتح ج١ ح ٤٩٤ .

(٤) صحيح . انظر صحيح سنن ابن ماجه للألباني ح ٥٢ .

(٥) حديث صحيح . أخرجه أحمد ١٦٩/٢ ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

(٦) معنى كلمة « حزاورة » (جمع حَزَوَّر) هو الغلام إذا اشتد وقوي وحزم .

الله ، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وُضعت في كِفة ، ولا إله إلا الله في كِفة ، رجحت بهن لا إله إلا الله ، ولو أن السماوات السبع كن حلقة مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله »[1] .

وعن ابن عباس رضي اللَّهُ عنهما أن النبي ﷺ قال : « افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا اللَّه ، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا اللَّه .. »[2] . والمقصود في هذا إنما يكون أول ما يفصح الطفل ، ويبدأ في تعلُّم الكلام ، فيُلقَّن ما يستوعبه من شعب الإيمان التي أولها وأعلاها « لا إله إلا الله » . وقد قرأتُ في إحدى الصحف تحت رسم كاريكاتوري عبارة ؛ يقول المُغَنِّي لزوجته وهو ينظر بإعجاب إلى ولده : (أول ما نطق لم يقل يا بابا ، قال يا ليل !!) وليس غريبًا أن يصدُر مثل هذا من أهل الغناء والموسيقى ، ولكن البلوى أن تعم البلوَى ، فيمن ساروا خلفهم من المنتسبين إلى الإسلام فصاروا يلقنون أبناءهم ما قاله المُغَنِّي الكاريكاتوري لزوجته : والأمثلة كثيرة ومريرة وسأذكر مثالاً واحدًا : رأيتُ رجلاً معه طفل صغير أربع سنوات ، ورجلاً آخر يسأل الطفل عن اسمه فذكر الطفل اسمه على اسم أحد المغنين ، فقال له الرجل : وهل تستطيع أن تغني مثله ؟ فقال أبوه : نعم ، وأمر ابنه بالغناء ، فأخذ الطفل يغني وهو لم يُكمِل بعدُ نطق بعض الحروف ، فكان ينطق الكاف تاءًا فيقول :

حلو وتَدَّاب ، ليه سَدّأْتَـتْ؟ الحـأّ عليَّهْ اللي طـاوعتَـتْ

والكلام لا يحتاج إلى تعليق ، وعلى كل مَن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ؛ أن يتساءل معي : إلى أين نسير بمثل هؤلاء الأطفال ؟ وأين هؤلاء الأطفال من أطفال سلفنا الذين كان أهلوهم يصطحبونهم إلى ميادين

(١) حديث صحيح . أخرجه أحمد ١٦٩/٢، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

(٢) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمباركفوري ج٤ ص٤٦ .

الحروب يركبونهم الخيل ويوكلون بهم من يقوم على أمرهم حتى تنتهي الحرب ؟

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أن يَهْدِيَهُ يَشْرَح صَدْرَهُ للإسلامِ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥].

(٣١) ويقطع ﷺ خطبته ويترك منبره ليرحم عثرتهم :

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ، ثم قال : « صدق الله ﴿ إنَّما أمْوالُكُمْ وأولادُكُم فِتْنةٌ ﴾ » [التغابن : ١٥] ، **فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما** »[١] . صلى الله عليك يا رسول الله .

(٣٢) ويهتم ﷺ بتهذيب مظهرهم وحلاقتهم :

عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ رأى صبيًا قد حُلق بعض شعر رأسه وتُرك بعضه ، فنهاهم عند ذلك وقال : « احلقوه كله أو اتركوه كله »[٢].

إن رسولنا ﷺ لا يحب تشويه منظر الطفل ، ولا تشبيه مظهره بمظهر أبناء الكفار ، ولا أن يكون حبنًا لأطفالنا دافعًا لنا أن نفعل معهم الأفاعيل ، وإنما أراد لأبناء المسلمين أن يكون لهم مظهرٌ مميز وشخصية مستقلة ، غير مقلدة ولا محاكية لشخصيات غير مسلمة كما يُرى في واقع كثير من الناس اليوم إلا من عافاه الله .

---

(١) صحيح الترمذي للألباني ، كتاب المناقب ٣٧٧٤، والنسائي، كتاب صلاة العيدين ١٥٦٧، وأحمد ٢١٩١٧، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ج ٢ ، ح ١٤٥٦، ح ٦٠٣٩ على الترتيب . وانظر صحيح الجامع ح ٣٧٥٧ .

(٢) (صحيح) أبو داود ، كتاب الترجل ٣٦٦٣، وابن حبان في صحيحه ج ١٢ ح ٥٥٠٨، والنووي في شرح صحيح مسلم ، وقال : ثبت في سنن أبي داود بإسناد على شرط البخاري ومسلم ، وذكر الحديث ج ٧ ، ص ١٦٧ ، وصحيح النسائي للألباني ح٥٠٦٣ .

(٣٣) ويشرف بنفسه ﷺ على حلاقتهم :

عن عبد الله بن جعفر - رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثًا أن يأتيهم – يعني بعد موته – ثم أتاهم فقال : « لا تبكوا على أخي بعد اليوم » يريد إنهاء الحِداد عليه ، ثم قال : « ادعوا لي بني أخي » . فجيء بنا كأنا أفرخ ، فقال : « ادعوا لي الحلاق » . فأمره فحلق رءوسنا(١) . وهذا فيه هَدْيٌ وإرشاد للآباء أن يُشرفوا بأنفسهم على حلاقة أبنائهم ، ويقرروا متى يحلقونه ومتى يتركونه ، ولا يتركوا للأبناء الحرية في ذلك ، فربما قلدوا أصحاب « القُصَّة » وصنعوا مثل أرباب « الشوشة » !! وتركوا هَدْي المصطفى ﷺ ، وأعرضوا عن سُنَّته .

(٣٤) ويحملهم ﷺ على عاتقه وعلى دابته :

عن البراء قال : رأيت النبي ﷺ والحسين – صلوات الله عليه- على عاتقه وهو يقول : « اللهم إني أحبه فأحبه »(٢) .

وعن عبد الله بن جعفر أيضًا قال : كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلُقِّيَ بصبيان أهل بيته ، قال : وإنه جاء من سفر فسُبِق بي إليه فحملني بين يديه ، ثم جيء بأحد ابني فاطمة الحسن والحسين رضي الله عنهم فأردفه خلفه ، قال : فأُدخلنا المدينة ثلاثة على دابة(٣) وحمل ﷺ الحسن والحسين على عاتقيه (كتفيه) ، وقال : « نِعم الراكبان هما ، وأبوهما خير منهما »(٤) .

وعن عمر رضي الله عنه قال : رأيت الحسن والحسين على عاتقي النبي ﷺ ،

---

(١) (صحيح) أبو داود ، كتاب الترجل ٣٦٦٠، والنسائي ، كتاب الزينة ، وأحمد ، والأحاديث المختارة للمقدسي ج ٩ ، ح ١٣٩ ، وصحيح النسائي ح٥٢٤٢ .

(٢) السلسلة الصحيحة ٢٧٨٩، وصحيح الأدب المفرد للألباني ح ٦٣ .

(٣) مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ٤٤٥٥ ، وفيض القدير ج ٥ ص ١٥٥ .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج ٣ ، ح ٢٦٧٧ ، وأخرجه الحاكم بلفظ : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما » وقال : هذا حديث صحيح بهذه الزيادة ولم يخرجاه ج ٣ ح ٤٧٧٩ .

فقلت : نِعْم الفرس تحتكما ، فقال النبي ﷺ : « ونِعم الفارسان »[١] .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يصلي ، فجاء الحسن والحسين أو أحدهما ، فركب على ظهره ، فكان إذا سجد رفع رأسه قال بيده فأمسكه أو أمسكهما وقال : « نِعم المطية مطيتكما »[٢] .

إنه التواضع من سيد البشر ، والاهتمام بالنشء لبناء شخصيتهم وربطهم بمعلِّمهم الأعظم وقُدوتهم الأكرم ؛ محمد ﷺ .

(٣٥) ويبحث عنهم ﷺ إذا فقدهم :

إن الأطفال نعمة من الله سبحانه وتعالى ، والذي يعيش هذه النعمة ويحس بها ويرى أثرها يجد نفسه في لهفة لرؤية الأطفال ومداعبتهم ، والبحث عنهم عند فقدهم ، وهكذا كان سيد ولد آدم ؛ محمد ﷺ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ إلى سوق بني قينقاع متكئًا على يدي فطاف فيها ثم رجع فاحتبى (أي جلس على مقعدته وهو يشبِّك ذراعيه حول ركبتيه) في المسجد ، وقال : « أين لَكَاع ؟ ادعوا لي لكاع » ، فجاء الحسن عليه السلام فاشتد حتى وثب في حبوته ، فأدخل ﷺ فمه في فمه ، ثم قال : « اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه (ثلاثًا) » . قال أبو هريرة : ما رأيت الحسن إلا فاضت عيني[٣] . ولَكَاع ولُكَع هو الصغير قليل الجسم ، وتطلق على قليل العلم الغبي الأحمق[٤] .

(٣٦) ويعلمهم ﷺ أدب اللباس :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : رأى النبي ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين – أي مصبوغين بلون أصفر – فقال: « أمك أمرتك بهذا ؟ »

---

(١) رواه أبو يعلى في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح ، وانظر مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩، ص ١٨٢.
(٢) رواه الطبراني في الأوسط ٣٩٨٧ ، وإسناده حسن .
(٣) سبق تخريجه بالفقرة (١٧) .
(٤) النهاية لابن الأثير ، باب . لكع .

قلت : أغسلهما ؟ قال : « **بل أحرقهما** »[١] ، وفي رواية قال : « **إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها** »[٢] .

فكيف لو رأى النبي ﷺ مَن يُلَبِّسون أطفالهم ملابس عليها شعارات الكفر وراياته ، كعَلَم اليهود ، أو عليها صورة داعرة ، أو امرأة كافرة ، أو وثني لاعب كرة ، وغير ذلك مما حرمته الملة الآخرة - الإسلام -، وقد قال عُمر لعتبة : إياكم والتنعم وزِيّ أهل الشرك ، ولبوس الحرير ، فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير[٣] ، وقال عليُّ بن أبي صالح السوَّاق : كنا في وليمة فجاء أحمد بن حنبل ، فلما نظر إلى كرسي في الدار عليه فضة ؛ فخرج، فلحقه صاحب الدار فنفض يده في وجهه وقال رحمه الله : زِي المجوس[٤] ، وكذلك حذيفة بن اليمان ، دُعِي إلى وليمة فرأى شيئًا من زِيّ العجم خرج وقال : من تشبَّه بقوم فهو منهم[٥] .

(٣٧) ويرحمهم ﷺ بالبشاشة والقُبلة ويُرغّب الآباء في رحمتهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا** »[٦] .

وعنه أيضًا قال : قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن عليّ رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس جالسًا ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحدًا ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ، ثم قال : « **مَن لا يَرحَم ، لا يُرحَم** » . وفي رواية عائشة : قال النبي ﷺ للأعرابي : « **أوَ أملك لك أن نزع الله من**

---

(١) مسلم ، كتاب اللباس والزينة ٣٨٧٣ .

(٢) مسلم كتاب اللباس والزينة ٣٨٧٢، والنسائي وأحمد .

(٣) مسلم ج ٣ ح ٢٠٦٩ ، اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ١٢٦.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٣٧ .

(٥) المصدر السابق ص ١٣١ .

(٦) صحيح . صحيح الأدب المفرد للألباني ح ٢٧١ .

قلبك الرحمة ؟! »[١] . وقال ثابت عن أنس : أخذ النبي ﷺ إبراهيم فقبّله وشمّه[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال : « كان النبي ﷺ أرحم الناس بالعيال ، وكان له ابن مسترضع في ناحية المدينة ، وكان ظئره قيْنًا، وكنا نأتيه، وقد دخن البيت بإذخر ، فيقبله ويشمه »[٣] .

ومن ترغيبه ﷺ للآباء في رحمة الأبناء ما قاله أنس أن امرأة جاءت إلى عائشة رضي اللّه عنها فأعطتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل صبي لها تمرة ، وأمسكت لنفسها تمرة ، فأكل الصبِيّان التمرتين ونظرا إلى أمهما ، فعمدت الأم إلى التمرة فشقتها فأعطت كل صبي نصف تمرة ، فجاء النبي ﷺ فأخبرته عائشة رضي اللّه عنها ، فقال : « **وما يعجبك من ذلك ؟ لقد رحمها اللّه برحمتها صبيَّيْها** »[٤]. وفي الصحيح أن امرأة كان معها بنتان ، إلى نهاية القصة ، فلما أخبرته عائشة قال : « **مَن ابْتليَ بشيء من هذه البنات فأحسن إليهن كنَّ له سترًا من النار** »[٥].

(٣٨) ويعانقهم ويمازحهم ويداعبهم ﷺ بشتى الأساليب اللطيفة:

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: إن كان رسول اللّه ﷺ لَيُخالطنا حتى يقول لأخٍ لي صغير : « **يا أبا عُمير، ما فعل النغير ؟** » طائر يشبه العصفور كان يلعب به فمات[٦].

---

(١) صحيح . صحيح الأدب المفرد للألباني ح ٦٧ .

(٢) البخاري ، كتاب الأدب ٥٥٣٨ .

(٣) صحيح . السلسلة الصحيحة ح٢٠٨٩، وصحيح الأدب المفرد ح ٢٨٩.

ومعنى ظئره . أي زوج المرضعة ، قيْنًا . أي حداد .

(٤) البخاري ، في الأدب المفرد ، كتاب الولدات رحيمات ج ١ ح ٨٩ . وانظر السلسلة الصحيحة ٣١٤٣ .

(٥) البخاري ، كتاب الزكاة ١٣٢٩ .

(٦) البخاري ، كتاب الأدب ٥٦٦٤، والترمذي ، كتاب البر والصلة ١٩١٢.

أخي المربي ، هل تتخيل أن النبي ﷺ ، وهو سيد البشر كان يتواضع للأطفال عامة ولأولاده خاصة ؟ فكان يحمل الحسن رضي الله عنه على كتفه - كما تقدَّم - ويضاحكه ويفتح فمه ويقبِّله ، ويلاعب الحسين ، ويريه أنه يريد أن يمسك به وهو يلعب ، فيفر الحسين هنا وهناك ، ثم يمسكه النبي ﷺ .

عن يعلى بن مرة قال : خرجنا مع النبي ﷺ ودعينا إلى طعام ، فإذا حسين يلعب في الطريق ، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه ، فجعل الغلام يفر هاهنا وهاهنا ويضاحكه النبي ﷺ ، حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه ، ثم اعتنقه ، ثم قال النبي ﷺ : « **حسين مني وأنا من حسين ، أحب اللَّه من أحب حسينًا ، الحسين سِبْط من الأسباط** »[1] . وكان يضطجع ﷺ فيأتي الحسن والحسين فيلعبان على بطنه .

وكان ﷺ يصلي فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره ، فإذا أرادوا أن يمنعوهما أشار إليهم أن دعوهما[2] .

وهذا من سماحة الإسلام ، ويُسر هذا الدين ورحمة هذا النبي الذي يهتم بالأطفال هذا الاهتمام العظيم مراعاةً لنفسية الطفل ، وميوله ورغباته .

بهذه المداعبة والملاطفة للطفل والتصابي معه ومحاكاته ومجاراته ؛ كان يفيض ﷺ حنانًا وعطفًا وعاطفة صادقة يغذي بها نفوس الأطفال ، بعيدًا عن الجفاء والقسوة ، والشدة والغلظة . وصدق الله تعالى فيه : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم : ٥] .

(٣٩) ويهاديهم ﷺ بالهدايا ويعطيهم ويمسح رءوسهم :

عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالصبيان والعيال[3] .

---

(١) حديث حسن . السلسلة الصحيحة (١٢٢٧) ، والبخاري في الأدب المفرد للألباني ح٢٧٩. ومعنى « سبط » : أي أمة من الأمم في الخير .

(٢) السلسلة الصحيحة ٣١٢ .

(٣) صحيح الجامع ٤٧٩٧ .

وانظر إلى رحمته ﷺ في الحديث الآتي .

عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : كان ﷺ إذا أُتي بباكورة الثمرة وضعها على عينيه ثم على شفتيه وقال : « **اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره** » . ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان[١] .

والباكورة: أول ما يُدرَك من الفاكهة . قال العلماء: وخص النبي ﷺ الصبي بالإعطاء لكونه أرغب فيه ، ولكثرة تطلعه إلى ذلك، ولما بينهما من المناسبة ؛ فإن الصبي ثمرة الفؤاد وباكورة الإنسان .

وعن أبي هريرة قال : كان الناس إذا رأوا أول الثمر ، جاءوا به رسول اللّه ﷺ ، فإذا أخذه قال : « **اللهم بارك لنا في ثمارنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ومُدِّنا** » إلى أن قال : « **بركة مع بركة** » . ثم يدعو أصغر وليد يراه فيعطيه ذلك التمر[٢] .

وعن سلمة بن وردان قال : رأيت أنس بن مالك يصافح الناس ، فسألني : من أنت ؟ فقلت : مولى لبني ليث ، فمسح على رأسي ثلاثًا ، وقال : « بارك اللّه فيك »[٣] . وقد سبق حديث يوسف بن عبد اللّه بن سلام قال : « ... وأقعدني في حجره ومسح رأسي »[٤] .

(٤٠) ويؤكد ﷺ على الصدق معهم وعدم الكذب عليهم :

عن عبد اللّه بن عامر قال : دعتني أمي ، ورسول اللّه ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت : ها تعال أعطيك ، فقال ﷺ : « **ما أردت أن تعطيه ؟** » قالت : أعطيه تمرًا . فقال لها : « **أمَا إنك لو لم تعطيه شيئًا كُتِبت عليك كذبة** »[٥] .

---

(١) صحيح الجامع ح ٤٦٤٤ .

(٢) مسلم ، كتاب الحج ٢٤٣٨، وابن ماجه كتاب الأطعمة ٣٣٢٠، والدارمي .

(٣) صحيح الأدب المفرد للألباني ، وقال : حسن الإسناد ح ٧٤٣ .

(٤) سبق تخريجه في الفقرة ٢٠ .

(٥) أحمد ، مسند المكيين ١٥١٤٧، وأبو داود كتاب الأدب ٤٣٣٩، والسلسلة الصحيحة ح٣٧٣ .

إن الأطفال يراقبون سلوك الكبار ويقتدون بهم ، فلا يجوز خداعهم بأي حال . قال أبو الطيب : وفي الحديث أن ما يتفوّه به الناس للأطفال عند البكاء مثلاً بكلمات هزلاً أو كذبًا بإعطاء شيء أو بتخويف من شيء حرام داخل في الكذب(١) .

كذلك يراعى الصدق معهم في الحديث عند تسليتهم أو إضحاكهم أو سرد قصص وحكايات عليهم، وينبغي ألا يدخل الكذب في هذا كله .

وهذه قصة حقيقة واقعية حدثت معي ونحن بالسعودية وكنا نسكن في بيت وسط الجبال ونبيت في ظلمة الليل بلا كهرباء ، فكان يأتينا في جوف الليل قط متوحش من قطط الجبل ، ويفترس ما يجده من الحمام الذي لنا ، وكان يسبب لنا إزعاجًا شديدًا بسبب ما نستيقظ عليه من أصوات الحمام واستغاثاته ، وبقية الحكاية تجدونها أعزائي من خلال عرض النشيد التالي الذي تعبر كلماته بواقعية صادقة عما حدث ، حتى أن أطفالنا الصغار كنا ننيمهم على أنغام هذا النشيد ليناموا بدون بكاء ، وهاكم النشيد :

حكايةُ القطِّ مع الحمام

يحكون قطًّا يأكلُ الحمائمْ ... قد أكثرَ مِنْ لَحْمِها الولائمْ
أسودَ مثلَ ليله البَهيمِ ... يا ويلَهُ مِنْ خائنٍ لئيمِ
كلّما جنَّ ليلُهُ يأتينا ... منتهزًا رُقودَ النائمينَا
ويصعدُ لتوِّه مُخْتالاً ... مُلتَفِتًا يمينًا وشمالاً
ويخطفُ من معشرِ الحمائمْ ... مَنْ كانَ مِنهمْ غافلاً أو نائم
وذاتَ يوم أصبحَ الجميعُ ... مِنَّا على أمر كادَ يُريعُ
قد هَالَنا المبعثرُ مِنْ ريشٍ ... هُنا في كل جانبٍ للحُوشِ
فانتابنا خوفُ على الحمام ... فماذا قد جَنى رمزُ السَّلام

---

(١) شرح عون المعبود ج١٣، ص٢٢٨

ومـا مضـتْ دقـائقُ معـدودة ... حتى جاءَتْنَا الأخبارُ الأكيدةْ
جاءت مِن غُرفةِ البدوِ صفية ... بالجَناحَيْنِ والدِّمَا الزَّكِيَّةْ
قد أَكَلَ الحمامةَ المزَرْكَشَةْ ... وكانتْ فوق بَيْضِها مُعَشِّشَةْ
وكانَ لها ابنةٌ صغيرةْ ... فأصبحتْ يَتيمةً كسيرةْ
ثم لو تَنْظُرُوا إلى الحمامِ ... بالليلِ مُرْتاعًا على الدَّوَامِ
كأنَّهُ قد أبصرَ العِفْريتَ ... فما استطاعَ مِنهُ أن يبيتَ
وكُلُّنا عَلَى الحمامِ أشْفَقَ ... هيَّا اقْتُلُوا القِطَّ ولو بالمطْرَقَةْ
ومَنْ أشارَ بالسُّمِّ الزُّقُّومِ ... كَيْ نَسْتَرِيحَ مِنْ أَذَى الظَّلُومِ
وقد أفتى شيخُنَا العُثيمينُ ... أنْ يُقْتَلَ القِطُّ الذي يَخُونُ
ثُم أَتَتْنَا لَيْلَةٌ طَويلَةْ ... وَدُونَ جَدْوَى مَا وَجَدْنَا حِيلَةْ
إلا اللُّجوء لِلَّهِ العظيمِ ... نَقرأُ مِنْ كِتابهِ الكريمِ
نُحَصِّنُ الحمامَ بالأذكارِ ... ونستعينُ باللَّهِ الجبارِ
داعينَ يا ربِّ وأنتَ الرَّامِي ... ارْمِ القِطَّ نَجَاةً للحمامِ
وَنِمْتُ تِلكَ اللّيلَةَ بالحوشِ ... نومًا خَفيفًا كَنَومِ الوُحُوشِ
فَجاءَ القِطُّ يَمْشِي في الظلامِ ... مِنْ أَعْلى سُورِ البَيْتِ بانْتِظامِ
أَلْقى بنَفْسِهِ عَلى أَقدامِهْ ... فاسْتَيْقَظْتُ على صَوْتِ ارْتِطَامِهْ
وَقُمتُ مَفْزُوعًا إلى الخُرطُومِ ... مُحاولاً قَتْلَ هذا الغَشُومِ
فحاولَ القَفْزَ مِنْ فَوقِ السُّورِ ... فما استطاعَ تحقيقَ العُبُورِ
فَفَرَّ مُسرِعًا إلى الحَمَّامِ ... مُخْتَبِئًا هناكَ في الظلامِ
فَقُلْتُ الآنَ قد حانَتْ وَفَاتُكْ ... وتنتهي نهائيًّا حياتُكْ
فأوقدتُ الكشّافَ في الحمّامِ ... فإذا القطُّ واضحٌ أمامِي
فقلت يا أبا هِرٍّ تَعالَى ... إنّ قَتْلَكَ قد أَمْسَى حَلالا
وَفَوْقَ رأسِهِ هَوتْ حَديدَةْ ... حتى انْتَهَى نِهَايةً أَكِيدَةْ
فألقَيْناهُ خارجَ الأَسْوارِ ... وهكذا مَصَائرُ الأشرارِ

وَأَصبحَ الحمامُ في أمَانِ والفضلُ لإلهِنا المَنَّانِ
هذه يا مَعَاشِرَ الكرامِ حكايةُ القطِّ مع الحمامِ
لَكُمْ يَحْكِيها عَمُّكُمْ جمالُ ليس بها نَقْصٌ ولا إخْلالُ

* * *

(٤١) ويترك للصغير فرصة يتلَهَّى معه ﷺ :

ربما يمزح الطفل الصغير مع الرجل الكبير ، وربما يعبث في ثوبه أو في لحيته ، وزجْرُه في هذه الحالة كسرٌ لنفسه وجَرْحٌ لشعوره ، وتعويدٌ له على الانطواء والوحدة ، لكن مقابلة ذلك بالابتسامة والإعجاب ، يُدخل السرور على الطفل ، ويشجعه على مخالطة الكبار والاستفادة منهم ، كما يربي فيه الشجاعة الأدبية . وقد حدث مثل هذا مع النبي ﷺ ؛ فعن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص قالت : أُتِيَ النبي ﷺ بثياب فيها خميصة[١] سوداء صغيرة ، فقال : « مَن ترون أن نكسوَ هذه؟ » فسكت القوم، قال: « ائتوني بأم خالد » ، فأُتِيَ بها تُحمل فأخذ الخميصة بيده فألبسها[٢] . وفي الرواية الأخرى: ثم قال ﷺ : « سَنَه سَنَه » . وهي باللغة الحبشية بمعنى : حَسَنة ، قالت : فذهبتُ ألعب بخاتم النبوة (بين كتفيه) فزبرني (فزجرني) أبي ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « دعها » . ثم قال رسول اللَّه ﷺ : « أبلي وأخلقي ، ثم أبْلي وأخْلقي ، ثم أبلي وأخلقي » . قال عبد اللَّه : فبقيت حتى ذَكَرَ ، يعني من بقائها[٣] . يعني طال عمرها بدعوة النبي « أبلي وأخلقي » ثلاث مرات ، والثوب الخَلِق : هو البالي ، وكانت الطفلة الصغيرة أم خالد مع أهلها في هجرة الحبشة ، فلذلك داعبها النبي ﷺ بلهجة أهل الحبشة التي تفهمها : « سَنَه سنه » .

---

(١) ثوب مخطط من حرير أو صوف .
(٢) البخاري ، كتاب اللباس ٥٣٥٧ .
(٣) البخاري ، كتاب الأدب ٥٥٣٤ .

(٤٢) ويتوعد ﷺ من يدلُّهم على فِعل المنكرات :

من رحمة اللَّه تعالى بالأطفال أنه رفع عنهم التكليف في صغرهم، بل عافاهم من المؤاخذة على الذنوب من لدن علام الغيوب ؛ حتى ينضج الطفل ببلوغه الحلم ، فإذا بلغ سجل القلم عليه ما يقول ويعمل .

فعن علي وعمر رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ قال : « **رُفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم** »[1].

ومهما كان الطفل صغيرًا ولم يبلغ الحلم بعد ، فإنه لا يجوز لأحد أبدًا أن يدله على فعل ما هو معصية - نهى عنها الإسلام - أو يغريه بها ، كأن يعلمه شرب المسكرات وفعل المنكرات ، أو شرب الدخان وفعل القبائح ، أو السب والشتم والبذاءة وسيء القول والعمل .

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **كل مُخْمِر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومن شرب مسكرًا نجست صلاته أربعين صباحًا ، فإن تاب تاب الله عليه ، فإن عاد الرابعة كان حقًّا عليَّ أن يسقيه من طينة الخبال ، ومن سقاه صغيرًا لا يعرف حلاله من حرامه كان حقًّا على اللَّه أن يسقيه من طينة الخبال** »[2]. وطينة الخبال هي عصارة أهل النار وصديدهم .

كذلك فإن من ألبس الطفل الصغير حريرًا أو ذهبًا فلا إثم على الطفل لارتفاع التكليف عنه ، وإنما الإثم على من ألبسه .

قال ابن القيم رحمه الله : والحذر كل الحذر من تمكينه من تناول ما يزيل عقله من مُسكر وغيره ، أو عِشْرة من يُخشى فساده ، أو كلامه له ، أو الأخذ في يده ، فإن ذلك الهلاكُ كلُّه ، ومتى سَهُلَ عليه ذلك فقد استسهل الدِّياثَة ، ولا

(١) صحيح الجامع ح ٣٥١٢ .
(٢) صحيح الجامع ح ٤٥٤٨ .

يَدْخُلُ الجنة دَيُّوث ، فما أفسدَ الأبناء مثل تَغَفُّل الآباء وإهمالهم ، واستسهالهم شَرَرَ النار بين الثياب ، فأكثر الآباء يعتمدون مع أولادهم أعظم ما يعتمد العدوّ الشديد العداوة مع عدوه وهم لا يشعرون ، فكم من والدٍ حَرَمَ ولده خير الدنيا والآخرة ، وعرَّضه لهلاك الدنيا والآخرة ، وكلّ هذا عواقب تفريط الآباء في حقوق الله ، وإضاعتهم لها ، وإعراضهم عما أوجب الله عليهم من العلم النافع والعمل الصالح ، فحَرَمَهم الانتفاع بأولادهم ، وحرم الأولاد خيرهم ونفعهم لهم ، وهو من عقوبة الآباء .

وينبغي على الأب أن يجنب ابنه لبس الحرير ، فإنه مفسدٌ له ، ومُخَنِّثٌ لطبيعته كما يُخَنِّثه اللواط ، وشرب الخمر ، والسرقة والكذب ، وقد قال النبي ﷺ : « **يَحْرُمُ الحرير والذهب على ذكور أمتي ، وأُحل لإناثهم** »(١). والصبي وإن لم يكن مُكلفًا ، فوليه مكلفٌ لا يحلُّ له تمكينه من المحرم ، فإنه يعتاده ، ويعسر فطامه عنه ، وهذا أصح قولي العلماء .

واحتجَّ من لم يره حرامًا عليه بأنه غير مكلف ، فلم يحرم لبسه للحرير كالدابة ، وهذا من أفسد القياس ، فإن الصبي وإن لم يكن مكلفًا ، فإنه مستعد للتكليف ، ولهذا لا يمكن من الصلاة بغير وضوء ، ولا من الصلاة عُرْيانًا ونجسًا ، ولا من شرب الخمر والقمار واللواط(٢).

* * *

---

(١) الترمذي (١٧٧٤) .
(٢) تحفة المودود ص١٩٥ – ١٩٦ .

الفصل الثاني

الطفل من ٤ سنوات وحتى ١٠ سنوات

وفيه ٢٢ وقفة

(٤٣) ويصحبهم ﷺ في الطريق واعظًا ومعلمًا على قدر عقولهم:

الطفل من حقه أن يصحب الكبار ليتعلم منهم ، فتتغذى نفسه ، ويتلقح عقله بلقاح العلم والحكمة ، والمعرفة والتجربة ، فتتهذب أخلاقه ، وتتأصل عاداته . وقد كان النبي ﷺ قدوة في ذلك ، فعلِمْنا أنه صحب أنسًا ، وكذلكم صحب أبناءَ جعفر ابنِ عمه ، والفضلَ ابنَ عمه ، وها هو عبد الله بن عباس ؛ ابن عمه ﷺ يسير بصحبته ﷺ على دابته ، فيستفيد النبي ﷺ من تلك الصحبة في الهواء الطلق ، والذهن خالٍ ، والقلب منفتح ، فيعلِّمه كلمات ، على قدر سنِّه واستيعابه ، في خطاب مختصر ومباشر وسهل ، مع ما يحمله من معان عظيمة يسهلُ على الطفل فهمها واستخلاصها ، يقول : « **يا غلام ، إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف** »[(١)].

إن النبي ﷺ وهو المعلم الأول ؛ يراعي عمر الطفل وقدراته العقلية ؛ فيعطيه الجرعة العلمية التي يستوعبها فهمه ، ويدركها عقله، فيعتقدها قلبه ، وتظهر على سلوكه ؛ فيجتمع فيه العلم والعمل .

(٤٤) ويستخدم ﷺ العبارات الرقيقة في محادثتهم لاستمالة قلوبهم:

من عوامل بناء الثقة في نفس الطفل ، ورفع روحه المعنوية وحالته النفسية ؛ أن يُنادَى باسمه ، بل بأحسن أسمائه ، أو بكنيته ، أو بوصف حسنٍ فيه . وقد كان رسول الله ﷺ قدوةً في ذلك ؛ فتارة ينادي الصبي بما يتناسب مع صغره ، فيقول: « **يا غلام ، إني أعلمك كلمات** » . و« **يا غلام سم الله ، وكُلْ بيمينك** » . و« **يا غلام أتأذن لي أن أعطي الأشياخ ؟** » وهكذا . وتارة يناديه بقوله : « يا

---

(١) صحيح سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة ح ٢٥١٦ ، وأحمد ح ٢٥٣٧، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي ج ١٠ ، ح ١٢، ١٣ .

بنيَّ » . كما قال لأنس لمَّا نزلت آية الحجاب : « **وراءك يا بني** » . وقال ﷺ عن أبناء جعفر ابن عمه أبي طالب : « **ادعوا لي بني أخي** » . وسأل أمهم عن صحتهم فقال : « **ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة**(١) **تصيبهم الحاجة ؟** »(٢) . وقد بوَّب أبو داود بابًا في ذلك قال : باب في الرجل يقول لابن غيره : يا بني .

وتارةً أخرى يناديهم ﷺ بالكُنية ، فالكنية تكريم وتعظيم ، فكان يقول للطفل الصغير الفطيم : « **يا أبا عمير ، ما فعل النغير ؟** » لطائر صغير كان يلعب به فمات الطائر .

وقد كان أصحاب النبي ﷺ ينادُون مَن وُلِد في الإسلام من أب مسلم بقولهم : يا ابن أخي ، فقد مدح المسيب البراء بن عازب بصحبة النبي ﷺ وبيعته فقال له : « **يا ابن أخي ، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده** »(٣) .

وأيضًا فإن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال للشاب الذي سأله عن أبي جهل . يا ابن أخي ، وما تصنع به ؟ وكان الشاب يريد أن يقتل أبا جهل في غزوة بدر ، وقد كان(٤) .

(٤٥) ويقدِّر ﷺ للصغار لعبهم :

ماذا تقول أيها المربي حينما تعلم أن الحسين بن عليّ وهو طفل ؛ كان عنده جِرْو (كلب صغير) يتسلَّى به ، وأن أبا عمير بن أبي طلحة كان عنده عصفور يلعب به ، وأن عائشة رضي الله عنها كان عندها لُعَب (بنات) تلعب بها ؟ وغيرهم كثير !

والجواب . أن هذا إقرار من النبي ﷺ بحاجة الطفل إلى اللعب والترفيه ، والتسلية وإشباع الرغبة .

---

(١) أي : نحيفة .

(٢) أي : المرض . والحديث أخرجه مسلم ، كتاب السلام ، ح ٤٠٧٥ .

(٣) البخاري ، كتاب المغازي ٣٨٥٢ .

(٤) البخاري ، كتاب المغازي ح ٣٩٨٨ .

وماذا تقول يا أخي أيضًا حينما تعلم أن النبي ﷺ لما تزوج عائشة أخذت معها لعبها إلى بيت النبي ﷺ لتلعب بها عنده ، بل كان هو يسرِّب إليها صديقاتها لتلعب معها ، ولما امتنع جبريل عليه السلام عن دخول بيت النبي ﷺ بسبب وجود كلب (جرو للحسين)، ولم يكن النبي ﷺ عالمًا بوجود الجرو بالبيت ؛ مع هذا لم يعنف الحسين أو يزجره أو يحرمه من لعبته ، وكذلك طائر أبي عمير ؛ لم يمنعه النبي ﷺ من التلهِّي به مادام أنه لا يعذبه ولا يؤذيه .

ماذا تقول يا أخي حين تعلم هذا كله وأكثر منه في سلوك نبينا نحو احترام كيان الطفل ؟!

لا شك أن هذا تقرير منه ﷺ للعب الصبي وحاجته إلى التسلية ؛ لأن اللعب ينمّي عقله ، ويوسع مداركه ، ويشغِّل حواسه وأحاسيسه . وأن توفير اللعبة المفيدة له يرفع عنه الحرمان ، ويعينه على بر الأبوين ، ويُدخِل السرور في نفسه ، ويستجيب لميوله ويرضيه ، فينشأ طفلاً سويًا .

* * *

مضار منع الأطفال من اللعب

نصح الغزالي رحمه الله أن يُسمَح للطفل باللعب اليسير - لا باللعب الشاق - بعد الانتهاء من دروسه لتجديد نشاطه ، بشرط ألاَّ يُتعب نفسه . قال : وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكُتَّاب أن يلعب لعبًا جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب ، فإنْ منع الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعليم دائمًا يميت قلبه ، ويبطل ذكاءه ، وينغص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسًا[1] . وقال : ويعوِّد الصبي في بعض النهار المشي والحركة والرياضة ، حتى لا يغلب عليه الكسل . اهـ .

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ، ص ١٦٣ .

إن اللعب للأطفال كالعمل للرجال ، والطفل الصحيح الجسم لا يستطيع أن يجلس ساكنًا خمس دقائق ؛ فتراه ينقب في كل شيء تقع عليه عينه ، ويقلِّبه ويضعه في فمه ، وقد يفكه ويحله ليبحث عما في داخله . وقد ثبت في علم النفس أن هناك صلة كبيرة بين الجسم والعقل ، فما يؤثر في الجسم يؤثر في العقل ، وما يؤثر في العقل يؤثر في الجسم ، ولكي يستطيع الإنسان القيام بأعباء الحياة يجب أن يكون قويًا في جسمه ، سليمًا في عقله .

(٤٦) ولا يفرق ﷺ جماعتهم وهم يلعبون :

يحدث أحيانًا أن يمر البعض منا على الصبيان وهم يلعبون فيقول لهم : أمَا عندكم شغل ؟ أو : ما لكم بيوت تأويكم ؟ إلخ .. خاصةً إذا لم يعجبه شيء من لعبهم ، لكنَّ رسولنا محمدًا ﷺ لم يكن كذلك أبدًا ، فكيف كان إذن؟

يقول أنس ﷺ : خدمتُ رسول اللَّه ﷺ يومًا حتى إذا رأيت أني قد فرغت من خدمتي ، قلت : يقيل[1] رسول اللَّه ﷺ ، فخرجت إلى صبيان يلعبون ، فجئت أنظر إلى لعبهم ، فجاء رسول اللَّه ﷺ فسلم على الصبيان وهم يلعبون ، فدعاني فبعثني إلى حاجة له ، فذهبت فيها وجلس ﷺ في فيء (ظل) حتى أتيته ... الحديث[2].

وفي رواية : أتاني رسول اللَّه ﷺ ذات يوم وأنا ألعب مع الغلمان - أو قال : مع الصبيان – فسلم علينا ، ودعاني ، فأرسلني في حاجة ، فلما رجعت ، قال : « **لا تخبر أحدًا** » . واحتبست على أمي ، فلما أتيتها قالت : يا بني ، ما حبسك ؟ قلت . أرسلني رسول اللَّه ﷺ في حاجة له ... الحديث[3].

وهنا فائدة : أن الأم ينبغي أن تتفقد أحوال ابنها ، فإذا تأخر عن مواعيده

---

(١) يعني : يرتاح وقت القيلولة .

(٢) (إسناده صحيح) أحمد ح ١٢٩٥٦ تحقيق حمزة الزين .

(٣) مسند أحمد ١٢٧٢٠ ، وقال محققه : إسناده صحيح .

سَأَلَتْه أين ذهب وماذا صنع وما الذي أخره ... ؟ إلخ .

والنبي ﷺ يراعي ظروف الطفل وتلبية رغباته النفسية بعيدًا عن الكبت الذي يُولد الانفجار ، فسلَّم أولاً على الصبيان ، وهذا تقدير منه لهم ، وتعويد على إلقاء السلام وإفشائه ، فضلاً عن تربيتهم على الفضائل ومكارم الأخلاق ، ثم جلس في الظل عندهم ينتظر أنسًا ، وكلما رأوه وهو يتابعهم وينظر إليهم ويعجب ببهجتهم وحركتهم ؛ فيزدادون فرحة وسرورًا ، فينشأون على حبه ، وهذا الذي يريد أن يغرسه فيهم ﷺ .

(٤٧) وينهى ﷺ عن التفريق بينهم وبين أهليهم :

عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي أن أيوب كان في جيش فَفُرِّق بين الصبيان وبين أمهاتهم ، فرآهم يبكون ، فجعل يرد الصبي إلى أمه ويقول : إن رسول اللَّه ﷺ قال : « **من فرَّق بين الوالدة وولدها فرَّق اللَّه بينه وبين الأحباء يوم القيامة** »(١).

وفي رواية ابن ماجه **٢٢٤١** كتاب التجارات ، عن أبي موسى قال : لعن رسول اللَّه ﷺ من فرَّق بين الوالدة وولدها وبين الأخ وأخيه . بل إن النبي ﷺ يمنع الجلوس بين الطفل وأبيه في المجالس ، وهذا لا شك أدب هام وعظيم من آداب مجالس الأطفال مع الكبار ؛ لأن أهل الطفل هم أعرف الناس بميوله وعاداته ، وإيجابياته وسلبياته ، وخطئه وصوابه ، وهم الأقدر على توجيهه وإرشاده ، كما أن الطفل إذا فرِّق بينه وبين أبيه في المجلس فإنه يشعر بالخجل والحرج ويظل شاردًا بذهنه ، منتظرًا متى ينتهي هذا المجلس ، فلا يستفيد من جلسته مع الكبار شيئًا ، لذلك رحم الرسول ﷺ شعور الطفل ونفسيته من تلك

---

(١) (صحيح). أخرجه الترمذي ، وقال : حديث حسن، قال الزرعي في حاشية ابن القيم ج٧ ص ٢٥٩: قال ابن القيم: وفي صحيح الحاكم من حديث عبادة بن الصامت قال : نهى رسول اللَّه ﷺ أن يفرق بين الأم وولدها ، فقيل . يا رسول اللَّه ، إلى متى ؟ قال: « حتى يبلغ الغلام وتحيض الجارية » . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وانظر صحيح الجامع ح ٦٤١٢ .

المعاناة ، فقال : « **لا يجلس الرجل بين الرجل وابنه في المجلس** »[١].

(٤٨) ويبتعد ﷺ كثيرًا عن لومهم وعِتابهم :

إن كثرة الملامة تجر إلى الندامة ، والإسراف في التوبيخ والتأديب يزيد من فِعل القبيح المعيب ، وقد كان رسول الله ﷺ أبعد الناس عن ذلك ، فما كان يكثر العتاب للطفل واللوم على تصرفاتٍ ما ، وهو بهذا المسلك ﷺ إنما يغرس في نفس الطفل روح الحياء ، وينمي فيه فضيلة الانتباه والملاحظة ، والارتباط بذلك الخلق العظيم ، وكل هذا ظهر في أنس ﷺ الذي يصف التربية العالية التي رباه عليها الرسول ﷺ فيقول : خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين ، والله ما قال لي : « **أُفٍ** » ، ولا : « **لِمَ صنعت ؟** » ولا : « **ألاَ صنعت ؟** »[٢] . وفي رواية . فما أمرني بأمر فتوانيت عنه أو ضيعته فلامني ، فإن لامَني أحد من أهل بيته قال : « **دَعُوه فلو قُدِّر أو قُضِيَ أن يكون كان** »[٣] . وقد يقول قائل : ونحن لو فعلنا هكذا فإن الولَد سيتجرأ ولن نستطيع أن نسيطر عليه أو نرشده ! ولكني أقول : فلِمَ لَمْ يتجرأ أنس ، أو ابن عباس ، أو زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زَيد وأبناء جعفر ، وأبناء العباس ، وغيرهم ممن تربَّوْا على يده ﷺ وصاروا أعلامًا في الناس وأئمة للهدى ؟ لماذا لم يتجرأ هؤلاء أو بعضهم ؟ ! إن الذي لا يعجبه الأسلوب النبوي ، أو يرى أن غيره أفضل ، أو يُدخِل عليه تحسينات أو تعديلات ؛ لو كان مربيًا لابن عباس أو لأسامة أو لأنس لفشل في تربيتهم ، وغيَّر توجهاتهم ، فإن قال : (لا . لا . معاذ الله ، أسلوب النبي هو

---

(١) الطبراني في الأوسط ج ٤ ، ح ٤٤٢٩، والمناوي في فيض القدير ج ٦، ص ٤٤٦، ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٦١ . ونظيره الحديث الحسن الصحيح عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يحل للرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما** » . صحيح سنن الترمذي للألباني ح ٢٧٥٢ .

(٢) البخاري ، كتاب الأدب . ومسلم ، كتاب الفضائل ٤٢٦٩ . وغيرهما .

(٣) (إسناده صحيح) أخرجه أحمد ، باقي مسند المكثرين ١٢٩٣٨ . وذكره المقدسي في الأحاديث الصحيحة المختارة ج٥ ح١٨٣٤ عن أنس قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما أرسلني في حاجة قط فلم تتهيأ إلا قال : « لو قُضي كان أو قُدِّر كان » ، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر ح ١٣٣٥١ .

الأحسن ؛ وَ . وَ الخ... لكن الشباب تغير، والجيل كما ترى، ونحن لسنا مثل النبي ﷺ)، أقول : فقد تعامل النبي ﷺ مع غرائب الشباب ؛ فتعامل مع الشاب الذي جاء يستأذن في الزنى ؛ باللين والحكمة حتى أخذ بيده إلى النجاة والتوبة ، وتعامل مع المشاغبين الذين كانوا يرمون نخل الناس ليأكلوا البلح ، وكذلك مع الغلام اليهودي لآخر لحظة من عمره يدعوه إلى الإسلام فأسلم بعد استشارة بالعين لأبيه اليهودي ، وتعامل ﷺ مع كثير من أصحاب الأخطاء والمعاصي والخمَّارين - كما نسمِّيهم - ويخرجون من عنده راشدين ، وله شاهدين بأنهم ما رَأوا معلمًا ألْين ولا أحسن تعليمًا منه ، كلهم عاملهم ﷺ باللين والحكمة وكانت النتيجة إيجابية ، ولكنَّ الفارق فعلاً أننا نتعجل ونستعجل النتائج ولا نصبر ، والنبي ﷺ يقول : « **فصبر عليهن** » ، « **فأحسن صحبتهن** » .

وشرط تحقيق التربية الصحيحة أن نلتزم مع الطفل من البداية بدون ترك ثغرات أو فعل مخالفات أو السكوت على محظورات ، فإذا أردنا أن نعالج وجدنا الوقت قد فات .

نصيحة الغزالي : وللإمام الغزالي رحمه الله هنا نصيحة غالية يوجهها إلى المربين : يقول : « ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين ؛ فإنه يُهوِّن عليه سماع الملامة ، وركوب القبائح ، ويسقط وقْع الكلام من قلبه ، وليكن الأب حافظًا هيبة الكلام معه ؛ فلا يوبخه إلا أحيانًا ، والأم تخوفه بالأب ، وتزجره عن القبائح »[1] .

(٤٩) وبحنان الأبوة يرشدهم ﷺ إلى مكارم الأخلاق :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا بني ، إذا قدَرْت أن تُصبح وتُمسي ، ليس في قلبك غش لأحد فافعل** » ثم قال لي : « **يا بني ، وذلك من**

---

(١) إحياء علوم الدين ج٣ .

سنتي ، ومَن أحيا سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة »[1] .

انظروا رحمكم الله ، على أي شيء يربي النبي ﷺ الأطفال حين يمسون وحين يصبحون ؟ إنه يربيهم على قول الله جل وعلا : ﴿ **فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨** ﴾ [الروم : ١٧ ، ١٨] . فيصبحهم ويمسيهم ﷺ على طهارة القلب ونظافة السريرة وسلامة الصدر ، استعدادًا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

فما بالنا معاشر المسلمين نربي أبناءنا هذه الأيام مساءً وصباحًا على : مِسا التماسي : ويا حلو صَبّح ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

معاشر المسلمين ، هل تعلمون معنى تربية الجيل على أن يُصبح ويُمسي ليس في قلبه غش لأحد ؟ اقرءوا الحديث التالي تعرفوا .

عن أنس بن مالك قال : كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال « **يطلع عليكم رجل من أهل الجنة** » ، فطلع رجل من الأنصار تنطف (تنقط) لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال (ثلاث مرات في ثلاث أيام) فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص (واستأذنه أن يبيت عنده ثلاث ليال فأذن له) ، قال أنس ، وكان عبد الله يحدِّث أنه بات عنده تلك الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعارَّ وتقلب على فراشه ذكر الله تعالى وكبَّر حتى يقوم لصلاة الفجر ، قال عبد الله : غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا ، فلما مضت الثلاث ليال وكدتُ أن أحتقر عمله ، قلتُ : يا عبد الله ، سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مِرار : « **يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة** ». فطلعت أنت الثلاث مِرار ، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك

---

(١) الترمذي ، كتاب العلم ٢٦٠٢ . والحديث ضعفه المنذري وقال : ولكن للحديث شواهد . انظر تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمباركفوري ج٧ ص ٣٧١ . وذكر لفظًا آخر : « من أحب سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة » .

فأقتدي بـه ؛ فلم أرك تعمل كثير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول اللَّه ﷺ؟ فقال : ما هو إلا ما رأيت ، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا ، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه اللَّه إياه . فقال عبد اللَّه : هذه التي بَلَغَتْ بك ، وهي التي لا نطيق[1] . فهل نعلم أبناءنا مثل هذا الحديث ، ومثل هذه الآداب ؟! أين نحن من هؤلاء ؟!

وقال ابن القيم رحمه الله : ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خُلُقِهِ ، فإنه ينشأ على ما عودهُ المربي في صغره ، من : حَرَدٍ ، وغضبٍ ، ولَجَاجٍ ، وعَجَلَة ، وخِفَّة مع هواه ، وطيش ، وحِدَّة ، وجَشَع ؛ فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك ، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له ، فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولا بد يومًا ما ، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم ، وذلك من قِبل التربية التي نشأ عليها ، وكذلك يجب أن يجتنب الصبي إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء ، فإنه إذا علق بسمعه ، عسر عليه مفارقته في الكبر ، وعز على وليه استنقاذه منه ، فتغيير العوائد من أصعب الأمور ، يحتاج صاحبه إلى استجداد طبيعة ثانية ، والخروج عن حُكم الطبيعة عسر جدًا .

وينبغي لوليه أن يجنبه الأخذ من غيره غاية التجنب ، فإنه متى اعتاد الأخذ صار له طبيعة ، ونشأ بأن يأخذ لا بأن يعطي ، ويعوده البذل والإعطاء ، وإذا أراد الولي أن يعطي شيئًا أعطاه إياه على يده ليذوق حلاوة الإعطاء ، ويجنبه الكذب والخيانة أعظم مما يجنبه السم الناقع ، فإنه متى سَهَّل له سبيل الكذب والخيانة أفسد عليه سعادة الدنيا والآخرة ، وحرمهُ كل خير .

ويجنبه فضول الطعام ، والكلام ، والمنام ، ومخالطة الأنام ؛ فإنَّ الخسارة

---

(١) أورده المقدسي في الأحاديث المختارة ج٧ ص ١٨٧ ، وقال : إسناده صحيح . والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٨ ص ٧٩ وقال : رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح . وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ١٢٦٣٣، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

في هذه الفضلات ، وهي تفوت على العبد خير دنياه وآخرته ، ويجنبه مضار الشهوات المتعلقة بالبطن والفرج غاية التجنب ، فإن تمكينه من أسبابها والفسح له فيها يفسده فسادًا يعزُّ عليه بعد صلاحه ، وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه وإعانته له على شهواته ، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه ، وأنه يرحمه وقد ظلمه وحرمه ، فَفَاتَهُ انتفاعُهُ بولده، وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة ، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء[(١)].

وقال الغزالي : « وينبغي أن يُعَوَّد ألاَّ يبصق في مجلسه ، ولا يتمخط ، ولا يتثاءب بحضرة غيره ، ولا يستدبر غيره ، ولا يضع رِجْلاً على رجل ، ولا يضع كفه تحت ذقنه ، ولا يعمد رأسه بساعده ؛ فإن ذلك دليل الكسل ، ويُعلم كيفية الجلوس ، ويُمنع كثرة الكلام ، ويُبين له أن ذلك يدل على الوقاحة ، وأنه فِعل اللئام ، ويُمنع اليمين رأسًا ، صادقًا كان أو كاذبًا ، حتى لا يعتاد ذلك من الصغر .

ويمنع أن يبتدئ بالكلام ، ويُعود ألاَّ يتكلم إلا جوابًا وبقدر السؤال ، وأن يُحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سِنًا ، وأن يقوم لمن فوقه ، ويُوسِّع له المكان ، ويجلس بين يديه ، ويُمنع من لغو الكلام وفحشه ، ومن اللعن والسب ، ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك ؛ فإن ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء . وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء »[(٢)] .

(٥٠) ويدعو لهم ﷺ وينهى الآباء عن الدعاء عليهم :

عن أنس رضي الله عنه قال : جاءت أمي أم أنس إلى رسول الله ﷺ وقد أزَّرتني (ألبستني إزارًا) بنصف خمارها (غطاء يوضع على رأس المرأة) وردَّتني

---

(١) تحفة المودود ص١٩٤ – ١٩٦ .

(٢) الإحياء ، ج ٣ ، ص ٦٢ .

(ألبستني رداءً) بنصفه فقالت : يا رسول اللّه ، هذا أُنيس ابني أتيتك به يخدمك فادع اللّه له ، فقال : « **اللهم أكثر ماله وولده** » . وفي رواية[١]: « **وبارك له فيما أعطيته** ». قال : أنس : فواللّه إن ولدي وولد ولدي ليتعادّون على نحو المائة اليوم[٢] ، ولننظر هنا كيف أسست أم أنس لابنها مستقبلاً عظيمًا .

وكان من دعائه ﷺ في السفر : « ... **اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل** »[٣]، فالنبي ﷺ يحب ألاَّ يُفجَع في ماله وأهله وهو عائدٌ من سفره، فيأخذ بالأسباب فيدعو اللّه تعالى ألاَّ يحدث شيء من ذلك. ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [سورة غافر : ٦٠].

وعن جابر بن عبد اللّه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على خدمكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من اللّه تبارك وتعالى ساعة نَيْل فيها عطاء فيستجيب لكم** »[٤] .

ويقول ﷺ : « **ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن ، دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده** »[٥] .

وقد يغضب الأب أو الأم على الولد فيدعو عليه ، وهذه غاية الخطورة ، فقد تُستجاب الدعوة فيفسد الولد أكثر ، ويظن الأهل أن الولد لا يزال مشاغبًا ولا يريد أن يتراجع عما هو فيه من الفساد ، ناسين أنهم دعَوْا عليه فأفسدوه ، ولا بد من الدعاء له مرة أخرى لتزيل الدعوةُ له ؛ الدعوة عليه . قال ﷺ :

---

(١) رواية البخاري . ج٥ ح ٦٠١٨ .
(٢) مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ٤٥٣١ .
(٣) مسلم ، كتاب الحج ٢٣٩٢ ، وأصحاب السنن .
(٤) مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ٥٣٢٨ . وأبو داود ، كتاب الصلاة ١٣٠٩ .
(٥) الترمذي ، كتاب البر والصلة ١٨٢٨ . وابن حبان في صحيحه ج٦ ح ٢٦٩٩ وغيرهم ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ح ١٩٠٥ .

« ... **ولا يرد القدر إلى الدعاء ...** »[١] . وقد جاء رجل إلى عبد اللَّه بن المبارك يشكو له عقوق ولده ، فقال له ابن المبارك : هل دعوتَ عليه ؟ فقال : نعم ، فقال ابن المبارك : أنت أفسدته[٢] . فلا ييأس المربي من روح اللَّه ، ولا يقول : دعوت للولد ، ولا فائدة ، بل يستمر في الدعاء والرجاء ، واللَّه إن شاء لن يخيِّب الرجاء ، وسيهدي الأبناء .

(٥١) ويستأذنهم ﷺ فيما هو من حقوقهم :

إن إعطاء الطفل حقه يشعره بقيمته في الحياة ، ويؤهله مستقبلاً أن ينضبط ، فلا يفرط في حقوق الآخرين. وهذا النبي القدوة ﷺ يستأذن غلامًا جالسًا عن يمينه أن يتنازل عن حقه في الشراب للشيخ الكبير الجالس عن يسار النبي ﷺ ، وإذا بالطفل يرفض التنازل عن حقه لأي أحد إلا للنبي فقط ، فأعطاه النبي ﷺ الإناء ليشرب ويستأثر بحقه ؛ ولو كان قبل الشيوخ .

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ أُتِيَ بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ ، فقال للغلام : « **أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟** » فقال الغلام : لا ، واللَّه لا أوثر بنصيبي منك أحدًا ، قال : فتلَّه (وضعه) رسول اللَّه ﷺ في يده[٣] . سبحان اللَّه ! محمد سيد الخلق ، وأعظمهم منزلة ، وأعلاهم مكانة ؛ يستأذن صبيًا !!

وقد يسأل سائل ويقول : كيف أعطى النبي ﷺ الجالس عن يمينه ، وهو الذي أمر بإعطاء الكبير أولاً كما في قوله ﷺ : « **كبِّر كبِّر** » . وما نقل عنه أنه ﷺ إذا سقى قال : « **ابدءوا بالكبير ؟** » .

والجواب : أن هذا إشكال يحتاج إلى توضيح ، وتوضيحه كما قال ابن

---

(١) ابن ماجه ، كتاب المقدمة ٨٧ . وابن حبان في صحيحه ج٣ ح ٨٧٢ . وانظر السلسلة الصحيحة ح ١٥٤ .

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ٢/٢١٧ .

(٣) البخاري ، كتاب الهبة ٢٤١٥ . ومسلم ، كتاب الأشربة ٣٧٨٦ .

حجر رحمه الله :

ويُجمع بأنه محمول على الحالة التي يجلسون فيها متساوين ؛ إما بين يدي الكبير أو عن يساره كلهم أو خلفه أو حيث لا يكون فيهم فتخص هذه الصورة (وهي البدء بالكبير) من عموم تقديم الأيمن ، أو يُخص من عموم هذا الأمر بالبداءة بالكبير ما إذا جلس بعضٌ عن يمين الرئيس وبعض عن يساره ، ففي هذه الصورة يُقدَّم الصغير على الكبير والمفضول على الفاضل .

ويظهر من هذا أن الأيمن ما امتاز بمجرد الجلوس في الجهة اليمنى ؛ بل بخصوص كونها يمين الرئيس ، كالفضل إنما فاض عليه من الأفضل[1] .

وقال أيضًا في نفس الصفحة : إن تقديم الأيمن سنة عامة في كل موطن ، وإن تقديم الذي على اليمين ليس لمعنى فيه ، بل لمعنى في جهة اليمين وهو فضلها على جهة اليسار .

قلت : وعليه يكون البدء بمن هو على يمين الرئيس أو يمين الساقي ، وليس يمين المكان أو أي يمين آخر . والله أعلم .

وهذا أبو بكر الصدّيق ﷺ يضرب أروع المثل في الاقتداء بالنبي ﷺ في استئذان الصغير في حقه ؛ فكان أبو بكر فوق الستين من عمره حين استأذن أسامة بن زيد البالغ من العمر ثماني عشرة سنة أن يترك له عمر الفاروق ليساعده في شئون الخلافة وذلك بعد وفاة النبي مباشرة ، وكان الرسول ﷺ قد بعث أسامة أميرًا على جيش لغزو الروم ، وكان عمَر أحد جنود هذا الجيش بقيادة أسامة ، وتأخر خروج ذلك الجيش بسبب وفاة النبي ﷺ ، ثم بعد دفن النبي ﷺ أمر أبو بكر ﷺ بأن يمضي جيش أسامة لغزو الروم .

قال الإمام الذهبي : قال أبو بكر : امض يا أسامة في جيشك للوجه الذي أُمِرتَ به ، ثم اغزْ حيث أمرك رسول الله ﷺ من ناحية فلسطين ..... ولكن إن

---

(١) فتح الباري ج١٠ ص٨٧ .

رأيت أن تأذن لعمر فأستشيره وأستعين به فافعل، ففعل أسامة[١]. الله أكبر، ونعم الشباب، شباب محمد ﷺ.

(٥٢) ويعلمهم ﷺ حفظ الأسرار :

فعن عبد الله بن جعفر رضي اللهُ عنهما قال : أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسر إليَّ حديثًا لا أحدِّث به أحدًا من الناس[٢].

ولا شك أن ائتمان النبي ﷺ الطفل على السر يبني جسور الثقة في نفسه، فيشعر بأهميته وأهمية ما يحمله من أسرار، فيحفظ السر كما حفظه أنس عندما أرسله رسول الله ﷺ فتأخر على أمه، فقالت له : ما حبسك ؟ أي ما أخرك، قال : بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت : ما حاجته ؟ قال : إنها سر، فقالت له : لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدًا. وأخفى أنس السر عن أمه، وكذلك أخفاه عن ثابت الذي سمع منه الحديث، وقال له : والله لو حدَّثتُ به أحدًا لحدثتك يا ثابت[٣].

(٥٣) ويأكل معهم ويوجههم ويصحح أخطاءهم أثناء الأكل :

كثيرًا ما كان النبي ﷺ يأكل مع الأطفال، وهي فرصة بلا شك أن يتعلم هؤلاء من معلمهم الأعظم آداب الأكل، فلم يكن ثمة معلم أحسن تعليمًا ولا أحرص على تربية النشء منه ﷺ.

يقول عمر بن أبي سلمة رضي اللهُ عنهما : كنت غلامًا في حَجْر النبي ﷺ فكانت يدي تطيش في الصحفة (الصحن)، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام، **سَمِّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك** » فما زالت تلك طعمتي بعد[٤].

ولا بد من وقفة ها هنا لننظر إلى التوجيهات العملية السريعة ؛ وما يقابلها

---

(١) سير أعلام النبلاء - سير الخلفاء ص ٣٣.

(٢) مسلم، كتاب الحيض ٥١٧. وأبو داود كتاب الجهاد ٢١٨٦. وأحمد، مسند أهل البيت ١٦٥٤.

(٣) مسلم، كتاب فضائل الصحابة ٣٤٥٣ وأحمد، باقي مسند المكثرين ١٣١٦١.

(٤) البخاري، كتاب الأطعمة ٤٩٥٧. وأحمد، مسند المدنيين ١٥٧٤٠.

من سرعة الاستجابة ، ودوام الاستقامة (فما زالت تلك طعمتي بعد) ، فهذا كله ما أتى من فراغ ؛ ولكنه نتيجة خطوات صحيحة ، وتربية سليمة ، بُذِلت مع أمثال هؤلاء الأطفال في جميع نواحي حياتهم ، في فرحهم وحزنهم ، في لعبهم وجدهم ، في تنويمهم وإيقاظهم ، في نصحهم ومداعبتهم ، في إعطائهم حقوقهم والاعتراف بكيانهم ، في الصدق معهم وعدم إهمالهم ، في مأكلهم في مشربهم في ملبسهم ... وهكذا . فكانت النتيجة كما رأينا ؛ ثمرة حلوة نضيجة (فما زالت تلك طعمتي بعد) .

ومثله الغلام عبد الله بن عمر ، كان لا يقوم الليل ، فقال له النبي ﷺ : « **نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل** » . فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً[1] .

فهذه أيضًا من الثمار السريعة ، هل جاءت هي الأخرى من فراغ ؟ وهل عرفتَ يا أخي المربي أن الأسلوب النبوي في التربية هو خير أسلوب ؛ وهو أقصر طريق للوصول إلى الثمرة النضيجة ؛ وهي أبناؤنا ثمرات أفئدتنا وفلذات أكبادنا ؟

وعن أبي هريرة قال : أخذ الحسن بن عليٍّ رضي اللَّهُ عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه (فمه) ، فقال رسول اللَّه ﷺ بالفارسية : « **كِخْ كِخْ**[2] ، **ارْمِ بها ، أمَا علمتَ أنَّا لا نأكل الصدقة** »[3] ؟ وهنا ينهاه النبي ﷺ بكلمة زجر لطيفة ، ثم يعلل ﷺ للطفل سبب النهي أن النبي صلى عليه وآله وسلم لا تحل لهم الصدقات ، لتكون قاعدة عامة في حياته مستقبلاً .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده ، وإنا حضرنا معه مرَّة طعامًا فجاءت جارية

---

(١) مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ٤٥٢٨ .

(٢) كلمة زجر معرَّبة .

(٣) البخاري ، كتاب الجهاد والسير ٢٨٤٣. ومسلم كتاب الزكاة ١٧٧٨ ، وهذا لفظ مسلم .

كأنها تُدْفَع لتضع يدها في الطعام ، فأخذ رسول اللَّه بيدها .. ثم قال : « **إن الشيطان يستحل الطعام ألا يُذكر اسم اللَّه تعالى عليه ، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذْتُ بيدها ...** »[(١)] .

قال ابن القيم رحمه اللَّه : ومن سوء التدبير للأطفال ، أن يمكنوا من الامتلاء من الطعام وكثرة الأكل والشرب ، ومن أنفع التدبير لهم أن يُعْطوا دون شبعهم ليجودَ هضمهم وتعتدل أخلاطهم ، وتقل الفضول في أبدانهم ، وتصح أجسادهم ، وتقل أمراضهم لقلة الفضلات في المواد الغذائية .

قال بعضُ الأطباء : وأنا أمْدح – قومًا ذكرهم – حيث لا يُطْعِمُون الصبيان إلا دون شبعهم ، ولذلك ترتفع قاماتهم ، وتعتدل أجسامهم ، ويقلُّ فيهم ما يعرضُ لغيرهم من الكُزاز Tetanus ووجع القلب ، وغير ذلك .

قال : فإن أحببت أن يكون الصبي حسن الجسد ، مستقيم القامة ، غير منحدب ، فقه كثرة الشبع ، فإن الصبي إذا امتلأ وشبع ، فإنه يكثر النوم من ساعته ويسترخي ويعرضُ له نفخةٌ في بطنه ورياحٌ غليظة[(٢)] .

ومن آداب الأكل التي ينبغي تعليمها للطفل :

١- ألا يأخذ الطعام إلا بيمينه .

٢- وأن يقول عند أخْذه : بسم اللَّه الرحمن الرحيم[(٣)] ، وفي نهايته : الحمد لله .

٣- وأن يأكل مما يليه ، ويصغّر اللقمة، عملاً بقول المصطفى ﷺ : « **وكُلْ مما يليك** » .

٤- وألاَّ يبادر (يسرع) إلى طعام قبل غيره .

---

(١) مسلم ، كتاب الأشربة . وأحمد ، باقي مسند الأنصار ٢٢١٦٥ .

(٢) تحفة المودود ص ١٩١ .

(٣) الصحيح المأثور « بسم اللَّه » لقوله S: « إذا أكل أحدكم طعامًا فليقل بسم اللَّه ، فإن نسي في أوله؛ فليقل : بسم اللَّه في أوله وآخره ». صحيح سنن ابن ماجه للألباني ح١٨٥٨.

٥- وألاَّ يُحَدِّق النظر إليه ولا إلى من يأكل .

٦- وألاَّ يسرع إلى الأكل ، وأن يجيد المضغ .

٧- وألا يوالي بين اللقم .

٨- وألا يلطخ وجهه ولا ثوبه .

٩- وألا يذم أي طعام ، فإذا أعجبه أكله. وإلا تركه من غير ذمٍّ .

١٠- وأن يُعَوَّد الخبز القفار (بغير إدام) في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأُدْمَ حَتما ، وأن يُقبَّح عنده كثرة الأكل ؛ بأن يشبه كل من يُكثر الأكل بالبهائم ، وبأن يُذم بين يديه الصبي الذي يُكثر الأكل ، ويُمدح عنده الصبي المتأدب ، القليل الأكل ، وأن يُحبب إليه قلة المبالاة بالطعام ، والقناعة بالطعام الخشن .

(٥٤) ويأمر ﷺ بالعدل بينهم ذكورًا وإناثًا :

يقول الحبيب ﷺ : « **اتقوا اللَّه واعدلوا في أولادكم** »[(١)] ، لأن العدل يمنع الحسد والكراهية ، ويورث المحبة والألفة بين الإخوة ، ويعينهم على بر الوالدين والدعاء لهما .

وهذا أثر عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فجاءه ابن له فقبَّله وأجلسه على فخذه ، وجاءت بنت له فأجلسها بين يديه ، فقال النبي ﷺ : « **ألا سوَّيت بينهم ؟** »[(٢)] . فلا بد من التسوية بين الأبناء حتى في القُبلة .

وكذلك يجب التسوية بينهم في العطاء ، فقد جاء النعمان بن بشير إلى رسول اللَّه ﷺ فقال : إني أعطيتُ ابني من عمرة بنت رواحة عطيةً ، فأمرَتْني أن أُشهدك يا رسول اللَّه ، قال « **أعطيتَ سائر ولدك مثل هذا ؟** » قال : لا ، قال :

---

(١) مسلم ، كتاب الهبات ٣٠٥٥ .

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج٨ ص١٥٦ وقال : رواه البزار ، وقال : حدثنا بعض أصحابنا ولم يُسَمِّه وبقية رجاله ثقات . وانظر فتح الباري ج٥ ص ٢١٤ .

« **فاتقوا اللَّه واعدلوا بين أولادكم** » فرجع في عطيَّته[1] .

وفي رواية مسلم (٣٠٥٦) قال له النبي ﷺ : « **فلا تُشهدني إذَن فإني لا أشهد على جَوْر** » . وفي رواية النسائي (٣٦٢٠) أن النبي ﷺ قال له : « **أليس يسرُّك أن يكونوا لك في البر سواءً ؟** » قال : بلى ، قال : « **فلا إذًا** » . وفي رواية أحمد (١٧٦٤٦) قال ﷺ : « **إني لا أشهد على جور ، إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم** » .

فالواجب على الآباء العدل بين أبنائهم في الأمور الظاهرة المحسوسة التي يعرفها الأبناء ويحسونها حتى في الحب الظاهر ، أما إن كان في القلب ميل لأحدهم أكثر من غيره فلا حرج ، بشرط ألا يظهر له أثر في المعاملة الظاهرة ، قياسًا على ما جاء في حديث عائشة رضي اللَّه عنها في بيان عدم المؤاخذة على الميل القلبي إذا تم العدل في الأمور الظاهرة ، سواءً مع الأبناء أو الأزواج .

فعن عائشة رضي اللَّهُ عنها قالت : كان رسول اللَّه ﷺ يقسم فيعدل ويقول : « **اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلُمْني فيما تملك ولا أملك** » . قال أبو داود : يعني : القلب[2] .

وقد علمنا أن إخوة يوسف ﷺ لمَّا رأَوْا ميلاً وحبًا زائدًا من أبيهم ليوسف كادوا له كيدًا عظيمًا بلغ إلى محاولة قتله والتخلص منه ليخلو لهم وجه أبيهم . واللَّه المستعان . فاعتبروا أيها المربون .

(٥٥) ويفصل ﷺ بين المتقاتلين من الأطفال :

عن جابر بن عبد اللَّه قال : اقتتل غلامان ، غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار ، فنادى المهاجر : يا للمهاجرين ، ونادى الأنصاري : يا للأنصار ،

---

(١) البخاري ، كتاب الهبة ٢٣٩٨ .

(٢) أبو داود ، كتاب النكاح ١٨٢٢ . وابن حبان في صحيحه ج١٠، وفتح الباري ج٩ ص ٣١٣، فصححه البعض وأعله البعض بالإرسال منهم الشيخ الألباني في ضعيف سنن الترمذي ح١١٤١ .

فخرج النبي ﷺ فقال : « **ما هذا ؟ دعوى أهل الجاهلية ؟** » قالوا : لا يا رسول الله ، إلا أن غلامين اقتتلا ، فكسع أحدهما الآخر (ضربه على مؤخرته) ، فقال ﷺ : « **لا بأس ، ولينصر الرجل أخاه ظالمًا أو مظلوما ، إن كان ظالمًا فلينهه فإنه نصر له ، وإن كان مظلومًا فلينصره** »(1) . بهذه الروح الرشيدة ، والتوجيهات السديدة ، يفصل النبي ﷺ بين المتقاتلين الصغار ، ويصحح لهم الأفكار ويدعو إلى دفع الظلم الكبار .

(٥٦) ويحرك ﷺ المنافسة فيهم ليفجِّر طاقاتهم المخزونة :

عن ابن عمر رضي اللَّهُ عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **إن من شجر البوادي شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم ، فحدِّثوني ما هي ؟** » فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبد اللَّه : ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت . ثم قالوا حدِّثْنا ما هي يا رسول اللَّه ؟ قال : « **هي النخلة** »(2) . وفي رواية مسلم (٥٠٢٧) قال عبد اللَّه : فذكرت ذلك لعمر قال : لأن تكون قلت هي النخلة أحَبُّ إليَّ من كذا وكذا . وهذا تحريك للمنافسة في عبد اللَّه من أبيه وتشجيع له أن يتحدث في مجالس الكبار ما دام سيتحدث بعلم ليس عندهم .

بل إن عمر نفسه رضي الله عنه ، يشجع الأطفال على تقديم ما لديهم من العلم في مجالس الكبار ، فيسألهم قائلاً : فيم ترون أُنزلت هذه الآية : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ [البقرة : ٢٦٦]. فقالوا : اللَّه أعلم ، فغضب عمر فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم ، فقال ابن عباس – وكان أصغرهم – : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك ، فقال ابن عباس : ضُربت مثلاً لعمل ، فقال عمر : أي عمل ؟ فقال : لعمل ،

(١) مسلم ، كتاب البر والصلة ٤٦٨١ .

(٢) البخاري ،كتاب العلم ٥٩ . ومسلم ،كتاب صفة القيامة والجنة ٥٠٢٧ .

فقال عمر : لرجل غني يعمل بطاعة اللَّه عز وجل ، ثم بعث اللَّه له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله[١] .

(٥٧) ويكافئ ﷺ الفائزين منهم ليشجعهم :

كان رسول اللَّه ﷺ يصُفُّ عبد اللَّه ، وعبيد اللَّه ، وكُثَيْرًا[٢] بَني عمه العباس رضي اللَّهُ عنهم ثم يقول : « **من سبق إليَّ فله كذا وكذا** » فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره ، فيُقَبِّلُهم ويلتزمهم[٣] .

وما فعل رسول اللَّه ﷺ ذلك إلا لأن المنافسة تنشط عقول الأطفال ، وتنمِّي مواهبهم ، وترفع هِمَّتهم .

(٥٨) ويواسي ﷺ اليتامَى ويبكي من أجلهم :

لقد وعد رسولنا الكريم ﷺ كافل اليتيم بالرفقة في الجنة ، فقال ﷺ : « **أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا** » وأشار بالسبَّابة والوسطى ، وفرَّج بينهما شيئًا[٤] .

ومن مواساته لليتامى بنفسه ﷺ ؛ لمَّا أُصيب (قُتِل) جعفر بن عمه وأصحابه رضي اللَّه عنهم في غزوة مؤتة ؛ وكانت أسماء بنت عميس زوجة جعفر ؛ تقول رضي اللَّه عنها : لما أصيب جعفر وأصحابه ؛ دخلْتُ على رسول اللَّه ﷺ وقد دبغت أربعين منيئة (جلد) وعجنتُ عجينتين ، وغسلتُ بَنِيَّ (أولادي) ، ودهنتهم ونظَّفتهم ؛ فقال رسول اللَّه ﷺ : « **ائتيني ببَنِيِّ جعفر** » قالت : فأتيته بهم ، فشمَّهم وذرفت عيناه ، فقلت : يا رسول ، بأبي أنت وأمي ،

---

(١) البخاري ، كتاب تفسير القرآن ٤١٧٤ عن عبيد بن عمير .

(٢) أحد أبناء عمه العباس رضي اللَّهُ عنهم .

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩ ص١٧ : رواه أحمد وإسناده حسن . وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده ضعيف ح ١٨٣٦ مسند أحمد .

(٤) البخاري ، كتاب الطلاق ٤٨٩٦ ، وكتاب الأدب ٥٥٤٦ . والترمذي ، كتاب البر والصلة ١٨٤١ ، وأحمد ، باقي مسند الأنصار ٢١٧٥٤ . ومالك في الموطأ ، كتاب الجامع ، وفيه « أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنة كهاتين إذا اتقى » .

ما يُبْكيك ؟ أَبَلغَكَ عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : « **نعم أُصيبوا هذا اليوم** » ، فخرجْتُ أصيح ، واجتمع إليَّ النساء ، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : « **لا تُغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامًا فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم** »[١] . حتى فاطمة رضي الله عنها .

وعن عبد اللَّه بن جعفر رضي اللَّهُ عنهما أن النبي ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثًا أن يأتيهم (يعني لم يدخل عليهم ثلاثة أيام) ثم أتاهم ﷺ فقال : « **لا تبكوا على أخي بعد اليوم أو غد ، ادعوا له ابنَيْ أخي** » . فجئ بالحلاق فحلق رؤوسنا ، ثم قال ﷺ : « **أما محمد**[٢] **فشبيه عمنا أبي طالب ، وأما عبد الله فشبيه خَلْقي وخُلُقي** » ، ثم أخذ بيدي فأشالها فقال : « **اللهم اخلف جعفرًا في أهله ، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه** » ، قالها ثلاث مرار ، قال: فجاءت أمُّنا فذكرت له يُتْمَنا وجعلت تُفْرِحُ له (أي تذكر ثقل همِّها)، فقال: « **العَيْلَة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة** »[٣] .

(٥٩) ويتوعد ﷺ من يعتدي على حق اليتيم :

قال ﷺ : « **اللهم إني أُحَرِّج حق الضعيفين ؛ اليتيم والمرأة** »[٤] .

أُحَرِّج : أضَيِّق وأحرِّم على مَن ظلمهما[٥] . وهل هناك أعظم تهديدًا ووعيدًا من قول اللّه تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي**

---

(١) (حسن) أحمد ، باقي مسند الأنصار ٢٥٨٣٩، وابن ماجه عن أسماء أيضًا قالت : لما أصيب جعفر رجع رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: « إن آل جعفر قد شغلوا بشأن ميتهم ، فاصنعوا لهم طعامًا » . حسنه الألباني بصحيح سنن ابن ماجه ح١٣١٧ . وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ح ١٧٥٠ ، تحقيق مسند أحمد .

(٢) ابن جعفر . ومعنى العَيْلة : أي الفقر .

(٣) (إسناده صحيح) أحمد ، مسند أهل البيت ١٦٩٥ ، وصححه الأرناءوط والمقدسي في المختارة ج٩ ح١٣٧ . وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر ح ١٧٥٠ .

(٤) ابن ماجه كتاب الأدب ٣٦٦٨، وأحمد ، باقي مسند المكثرين ٩٢٨٩ ، والحاكم ج١ ح٢١١ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وانظر السلسلة الصحيحة ح١٠١٥ .

(٥) النهاية لابن الأثير .

بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ [سورة النساء: ١٠]؟

(٦٠) ويأمر ﷺ بكفهم عن اللعب وقت انتشار الشياطين :

قال ﷺ : « إذا استجنح الليل[1] أو قال : كان جَنحُ الليل فكفوا صبيانكم ، فإن الشياطين تنتشر حينئذ ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلُّوهم وأغلق بابك واذكر اسم الله (فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا) ، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله ، وأَوْكِ سقاءك واذكر اسم الله ، وخمِّرْ إناءك[2] ولو تَعْرِض عليه شيئًا »[3] .

وعن جابر عن النبي ﷺ قال : « كفوا صبيانكم حتى تذهب فحمة – أو فورة – العشاء ساعة تهب الشياطين »[4] . وفي رواية عنه أيضًا ﷺ: « اكفتوا صبيانكم عند المساء فإن للجن انتشارًا وخطفة »[5] .

واكفتوا صبيانكم أي : ضموهم ، وفورة العشاء أو فوعة العشاء هي شدة سوادها وظلمتها ، ولذلك قال في الرواية الأخرى : « فحمة العشاء » ، وهي شدة السواد ، والمراد هنا أول الليل ، فإنها « ساعة تخترق فيها الشياطين » وتنتشر ، وهي مردة الجن ، فإن أول الليل محل تصرفهم ، وحركتهم في أول انتشارهم أشد اضطرابًا .

وقال ابن الجوزي : إنما خيف على الصبيان منهم تلك الساعة لأن النجاسة التي تلوذ بها الشياطين موجودة فيهم غالبًا ، والذكر الذي يحترز به منهم مفقود من الصبيان غالبًا ، والسواد أجمعُ للقسوة الشيطانية من غيره ، والجن تكره النور وتتشاءم به ، وإن كانت خُلقت من نار – وهي ضياء -، لكن الله تعالى أظلم

---

(١) أظلم ، ومعنى خلوهم أي : اتركوهم .

(٢) أَوْكِ سقاءك : أي اربط فم الراوية . وتخمير الإناء أي : تغطيته .

(٣) البخاري ،كتاب بدء الخلق ٣٠٣٨ . وأبو داود ، كتاب الأشربة ٣٢٤٣ . وأحمد ١٣٩١٢.

(٤) (صحيح) . السلسلة الصحيحة (٤٠) .

(٥) صحيح الجامع ح ١٨٢ .

قلوبها ، وخلق الآدمي من طين ونوَّر قلبه ، فهو محب للنور بالطبع ، وعبَّر بالاختراق عن الانتشار لأنه إشارة إلى أنه انتشار لابتغاء الفساد ، فإن الخرق في الأصل – كما قال الراغب – قطع الشيء على سبيل الفساد بغير تفكر وتدبر . اهـ . قاله المناوي في شرح الحديث . (ج١ ص١٨٠).

وعنه أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والسمر [والسير] بعد هدوء الليل فإن أحدكم لا يدري ما يبث اللَّه من خلقه ، غلقوا الأبواب ، وأوكوا السقاء وأكفئوا الإناء وأطفئوا المصابيح »[(١)] .

وعنه أيضًا ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **أقلوا الخروج بعد هدوء الليل ، فإن لله دواب يبثهن ، فمن سمع نباح كلب أو نهاق حمار** [من الليل] **فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم فإنهم يرون ما لا ترون** »[(٢)] .

وما هذه الوصايا إلا انسجام مع ما عرفناه من ديننا عن نبينا ﷺ بالضرورة أنه ما ترك شيئًا فيه خير إلا دلَّنا عليه وأرشدنا إليه ، ولا ترك شيئًا فيه شر إلا نهانا عنه وحذَّرنا منه .

(٦١) ويعوِّذهم ﷺ من الشياطين والعين :

إن العلاج بالأذكار والطب النبوي ركن أساسي وأصيل في التداوي والمحافظة على صحة الطفل وقوته .

فعن ابن عباس قال كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول : « **إن أباكما**[(٣)] **كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات اللَّه التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامَّة** »[(٤)] . والعين اللامة : أي المؤذية بالحسد .

---

(١) السلسلة الصحيحة ح١٧٥٢، وهو حسن .

(٢) صحيح لغيره ، وانظر السلسلة الصحيحة ح١٥١٨ .

(٣) أي إبراهيم عليه السلام ، والهامة هي الحيوانات الخطيرة السامة .

(٤) البخاري ،كتاب أحاديث الأنبياء ٣١٢٠ . وغيره .

وعـن عُـرْوَة بن الزبير قال : دخل النبي ﷺ بيت أم سلمة وفي البيت صبي يـبكي ، فقـال : « **ألاَّ استرقيتم لـه مـن العيـن ؟** »[(١)] يعني تطلبون مَن يرقيه من الحسد .

وعن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ رأى صبيًا يبكي ، فقال : « **ما لصبيكم هذا يبكي ؟ هلا استرقيتم له من العين ؟** »[(٢)] .

(٦٢) ويعلمهم ﷺ الأذان والصلاة :

قـال أبو محذورة : خرجتُ في عشرة فتيان مع النبي ﷺ وهو أبغض الناس إلينا فأذَّنوا ، فقمنا نؤذن نستهزئ بهم، فقال النبي ﷺ : « **ائتوني بهؤلاء الفتيان** » فقال : أذِّنوا فأذَّنوا ، فكنت أحدهم ، فقال النبي ﷺ : « **نِعْم هذا الذي سمعت صـوته ، اذهب فأذِّن لأهل مكة** » فمسح على ناصيَته ، ثم علَّمه الأذان وقال له : « **أَسمِعْتَ ؟** » قال : وكان أبو محذورة لا يجز ناصيته ولا يفْرقها لأن رسول الله ﷺ مسح عليها[(٣)] . وقد اختاره رسول الله ﷺ مؤذنًا لحلاوة صوته التي أعجب بها رسول الله ﷺ حتى قبل أن يُسلم أبو محذورة .

أمـا الصلاة فقد أمر ﷺ الآباء بتعليمها للأبناء عند سبع سنين ، وضربهم عـلى تـركها عـند عشـر ، قـال ﷺ : « **عـلِّموا الصـبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر** »[(٤)] .

وكـان ﷺ يأمـرهم بتسوية الصفوف ، قال ابن مسعود ﷺ كان رسول الله ﷺ يمسـح مناكبـنا فـي الصـلاة ويقـول : « **اسـتووا ولا تختـلفوا فتختـلف**

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ج٢٣ ح٥١٧ وقال : هذا حديث مرسل عند جميع الرواة عن مالك في الموطأ وهو حديث صحيح يستمد معناه من طرق ثابتة .

(٢) (حسن) . صحيح الجامع ح ٥٦٦٢ .

(٣) أحمد ، مسند المكيين ١٥٣١٢ . وابن خزيمة في صحيحه ج١ ح٢٨٥، وأصله في مسلم ٣٧٩ .

(٤) الترمذي ، كتاب الصلاة ٣٧٢ ، وأبو داود ، كتاب الصلاة ٤١٨ ، وابن خزيمة في صحيحه ج٢ ح١٠٠٢ ، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود : حسن صحيح .

قلوبكم .. »[١] . وكان يحذرهم ﷺ من الالتفات في الصلاة فيقول : « **هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد** »[٢] . وكذلك يعلمهم ما يحتاجونه في الصلاة ، كما قال الحسن رضي الله عنه علَّمني رسول اللَّه ﷺ كلمات أقولهن في الوتر : « **اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت ، وصلَّى اللَّه على النبي محمد** »[٣] .

وكان ﷺ يصحبهم للصلاة ويمسح خدودهم رحمة وإعجابًا بهم . فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : صليت مع رسول اللَّه ﷺ صلاة الأولى (الظهر) ثم خرج إلى أهله وخرجتُ معه ، فاستقبله وِلْدان فجعل يمسح خدَّيْ أحدهم واحدًا واحدًا ، قال : وأمّا أنا فمسح خَدِّي ، فوجدتُ ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها ﷺ من جؤنة عطَّار[٤] .

بل كان يصفهم ﷺ عن يمينه بجواره في الصلاة رغم صغر سنهم، قال أنس بن مالك رضي الله عنه : دخلت على النبي ﷺ يومًا وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي ؛ إذ دخل علينا النبي ﷺ فقال : « **ألا أصلي بكم ؟** » وذاك في غير وقت صلاة ، فقال رجل من القوم: فأين جعل أنسًا منه ؟ فقال: جعله عن يمينه، ثم صلى بنا ، ثم دعا لنا – أهل البيت – بكل خير من خير الدنيا والآخرة ، فقالت أمي : يا رسول الله ، خويدمك ؛ ادع اللَّه له ، فدعا لي بكل خير ، كان في آخر دعائه أن قال : « **اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له** »[٥].

---

(١) مسلم ح ٦٥٤ .

(٢) البخاري ح ٧٠٩ .

(٣) صحيح سنن الترمذي للألباني ح ٤٦٤، والنسائي كتاب قيام الليل ١٧٢٦ . وابن ماجة كتاب إقامة الصلاة . وقال الترمذي : حديث حسن .

(٤) مسلم ، كتاب الفضائل ٤٢٩٧ . وجؤنة العطار ، هي كيس العطر .

(٥) صحيح ، السلسلة الصحيحة ١٤٠، ١٤١، ٢٢٤١ .

(٦٣) ويعلمهم ﷺ الجرأة الأدبية والشجاعة :

وقد مر بنا موقف الطفل الذي كان في المجلس عن يمين النبي ﷺ وأشياخ عن يساره ، فاستأذن النبي ﷺ الصبي في أن يسقي الأشياخ قبله فرفض وتمسك بحقه لأنه على اليمين ، ولم يعنفه النبي ﷺ أو يعاتبه ، رغم أن هذا الموقف ربما يتهم كثير من المربين من يفعله من الصغار في أيامنا هذه أنه لا يستحي أو عند سوء أدب وقلة احترام ! لكنْ هل يكفينا سيد الخلق ﷺ معلمًا ومربيًا ؟

إنه يعلمهم الجرأة الأدبية ما دامت ليس فيها تجاوز لحقوق الآخرين . وأيضًا فإن عمر رضي الله عنه تمنى لو تكلم ولده عبد اللَّه في مجلس الكبار وحضرتهم حينما عرف إجابة سؤال سأله النبي ﷺ ولم يعرفه أحد غيره ، ولم يعجبه سكوت ابنه عبد اللَّه لمَّا رأى أبا بكر وعمر لا يتكلمان[١] . إنه يريد أن يزيل عنه ظاهرة الخجل وأن يعلمه الجرأة الأدبية ، ما دامت في حق وعلم ، ولم يُتَعدَّ بها على حقوق الآخرين .

ومن الشجاعة الأدبية ألاَّ يفعل الطفل الشيء خُفية ، لأنه إنما يخفيه عن أبيه وأمه ، ومربيه ومربيته لاعتقاده أنَّ هذا الفعل قبيح ولا يجوز له فعله . قال الغزالي رحمه اللَّه : « وينبغي أنه يُمنع من كل ما يفعله في خُفية ، فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح »[٢] .

(٦٤) ويجعلهم ﷺ أمراء في الصلاة وفي السفر كحق لهم :

عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إذا سافرتم فليؤمكم أقرؤكم ، وإن كان أصغركم وإذا أمَّكم فهو أميركم** »[٣] .

وله شاهد صحيح عن عمرو بن سلمة رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

---

(١) سبق بنصِّه وتخريجه فقرة (٥٤) .

(٢) إحياء علوم الدين ج ٣ .

(٣) رواه البزار وإسناده حسن . قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ج٢ ص٦٤ ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ح ٥٣٤ .

« **ليؤمكم أكثركم قراءة للقرآن** »(١) . وكان عمرو حينها أصغر قارئ (ست سنوات) .

بل ويحذر النبي ﷺ من إهمال هذا الحق للصغير أو تجاوزه فيقول : « **من أمَّ قومًا وفيهم من هو أقرأ لكتاب الله منه لم يزل في سفال إلى يوم القيامة** »(٢) .

وقد امتثل أصحاب النبي ﷺ لتقرير هذا الحق للصغير ، فعن عمرو بن سلمة قال : وبادر أبي قومي بإسلامهم ، فلما قَدِم قال : جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقًّا ، فقال : « **صلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلوا كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنًا** » ، فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنًا مِنِّي ، لِما كنت أتلقى من الركبان ، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت عليَّ بُردة ، كنت إذا سجدتُ تقلصت عني، فقال امرأة من الحي : غطوا إست قارئكم ، فقطعوا لي قميصًا، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص(٣) .

وقد صحت الأحاديث بإمامة الأقرأ والأحفظ لكتاب الله – فهذا حقه - قال ﷺ : « **يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواءً فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواءً فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواءً فأكبرهم سنًا، ولا يُؤَم الرجل في سلطانه ولا يُجلس على تكرمته في بيته إلا بإذنه** »(٤) .

* * *

---

(١) صحيح الجامع ح ٥٣٥٠ .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ، وفيه الهيثم بن عقاب الأزدي : لا يعرف . قلت : ذكره ابن حبان في الثقات ، قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ج٢ ح ٦٤ ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ح ٥٤٧٨ .

(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٥٦٤ .

(٤) صحيح سنن الترمذي للألباني ح ٢٣٥ .

الفصل الثالث

الطفل من سن ١٠ إلى سن ١٤

وفيه ٣٣ وقفة

(٦٥) ويأمر ﷺ أهلهم بإطعامهم وكسوتهم مما يطعمون ويكتسون:

عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال : خرجت مع أبي وأنا غلام شاب ، فتلقى شيخًا (عليه بردة ومعافري وعلى غلامه بردة ومعافري) . قلت : أي عم ، ما يمنعك أن تعطي غلامك هذه النَّمِرة وتأخذ البردة فيكون عليك بردتان وعليه نمرة ؟ فأقبل على أبي ، فقال: ابنك هذا ؟ قال : نعم ، قال : فمسح على رأسي وقال: بارك الله فيك ، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكتسون » يا ابن أخي ، ذهاب متاع الدنيا أحب إليّ من أن يأخذ من متاع الآخرة ، قلت : أي أبتاه !! مَن هذا الرجل ؟ قال : أبو اليسر [كعب] بن عمرو[1] .

فانظر أخي كيف يحرص المختار ﷺ على أن تشارك ولدك طعامك وكسوتك ، فلا يظهر منك اهتمامك بنفسك وبمظهرك ثم تهمل ابنك وابنتك ، وانظر إلى تحري السلف تنفيذ ما أوصى به النبي ﷺ ، لذلك كان أبناؤهم خير خلف لخير سلف ، فأين أبناؤنا من أبناء السلف ؟!

(٦٦) ويدعوهم ﷺ للنوم المبكر بعد صلاة العشاء :

كان النبي ﷺ يؤخر صلاة العشاء هو وأصحابه ، فكان عمر رضي الله عنه يُعَجِّلها لصبيانه ونسائه ليناموا بعدها مباشرة ، فإذا رقدوا ذهب إلى رسول اللّه ﷺ فقال : الصلاة يا رسول اللّه ، رقد النساء والصبيان ، فخرج ﷺ ورأسه يقطر (من الوضوء) ويقول : « **لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالصلاة هذه الساعة** »[2] .

ومن هَدْي النبي ﷺ في صلاة العشاء : ما قاله أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه

---

(١) صحيح . الأدب المفرد للألباني ح٥٦٦ . ومعنى نمرة : أي بُردة من صوف ، ومعنى معافري أي : بُرد (ثوب) نسبة إلى قبيلة معافر باليمن .

(٢) البخاري ،كتاب التمني ٦٦٩٨ .

(إن رسول اللَّه ﷺ كان يستحب أن يؤخر العشاء التي تدعونها العتمة ، وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها ...)[١] . فكم من الشباب يقضون الليل سهرًا لا يعلم به إلا اللَّه ، ثم ينامون قبيل الفجر كالجيف ولا يستيقظون إلا ظهرًا ؟ فنهارهم ليل ، وليلهم ويل ، واللَّه المستعان .

(٦٧) ويفرق ﷺ بينهم في المضاجع من سن العاشرة :

في سن العاشرة تكون غريزة الطفل في طريقها للنمو والظهور ، فلا بد من الاحتياط بسد ذريعة الفساد ، وطريق الانحراف والانجراف ، فلا ينام الصبيان تحت لحاف واحد ، وإنما كل واحد بلحافه ، وهذا هو مقتضى التفريق وطاعة النبي ﷺ كما قال : « **مُرُوا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر سنين ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع ، وإذا أنكح أحدكم عبده أو أجيره فلا ينظر إلى شيء من عورته ، فإن ما أسفل من سُرَّته إلى ركبته من عورته** »[٢] . أي : إذا زوج أحدكم خادمه وهي الخادمة فلا ينظر إلى شيء من عورتها ؛ لأنها حرمت عليه ، بعد أن كانت حلالاً له بملك اليمين .

(٦٨) ويمنعهم ﷺ من النوم على البطن :

عن يعيش بن طخفة الغفاري عن أبيه رضي اللَّه عنهم قال : بينما أنا مضطجع في المسجد على بطني إذا رجل يحركني برجله ، فقال : « **إن هذه ضجعة يبغضها اللَّه** » . قال : فنظرت ، فإذا رسول الله ﷺ . وفي رواية : « **هذه ضجعة أهل النار** »[٣]. ولا شك أن النوم على البطن فيه احتكاك مذموم ، يوقظ الشهوة ويحرك الغريزة .

---

(١) البخاري ،كتاب مواقيت الصلاة ٥١٤ . ومسلم ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ١٠٢٦ . وأصاحب السنن ، وأحمد بن حنبل في مسنده .

(٢) صحيح سنن أبي داود للألباني ح ٤٦٦ ، ٤٦٧، وأحمد ٦٤٦٧ .

(٣) أبو داود ، كتاب الأدب ح ٤٣٨٣ ، بإسناد صحيح . وابن ماجه ، وأحمد . وانظر صحيح الأدب المفرد للألباني (صحيح) ح ٩٠٥، ص ٤٦٢ .

(٦٩) ويعوِّدهم ﷺ على غض البصر وحفظ العورة :

عن الفضل بن العباس رضي اللَّهُ عنهما قال : كنت رديف رسول اللَّه ﷺ من جمع (مزدلفة) إلى منى (أي أركب خلفه) فبينا هو يسير إذ عرض له أعرابي مُردفًا ابنة له جميلة ، وكان يسايره ، قال : فكنت أنظر إليها ، فنظر إليَّ رسول اللَّه ﷺ فقلب وجهي عن وجهها ، ثم أعدتُ النظر فقلب وجهي عن وجهها حتى فعل ذلك ثلاثًا ، وأنا لا أنتهي ، فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة[1] . وفي رواية لابن خزيمة : أنه قال له ﷺ : « **ابن أخي ، إن هذا يوم مَن غض فيه بصره وحفظ فرجه ولسانه غُفِر له** » .

(٧٠) ولم يضرب ﷺ صبيًا ولا طفلاً أبدًا، لكنه ﷺ يبين أسس الضرب وقواعده :

عن أبي أمامة قال : أقبل النبي ﷺ معه غلامان ، فوهب أحدهما لعلي ، صلوات اللَّه عليه ، وقال : « **لا تضربه فإني نهيت عن ضرب أهل الصلاة وإني رأيته يصلي منذ أقبلنا ...** »[2] .

إن الغرض من العقوبة في التربية الإسلامية إنما هو الإرشاد والإصلاح ، لا الانتقام والتشفِّي . ولهذا ينبغي أن يراعَي طبيعة الطفل ومزاجه قبل الإقدام على معاقبته ، ويُشجع على أن يشترك بنفسه في تفَهُّم وإصلاح الخطأ الذي أخطأه ، وتُغفر أخطاؤه وهفواته بعد إصلاحها .

مضار القسوة في الضرب :

ذكر ابن خلدون رحمه اللَّه في مقدمته ما يفيد أنه ضد استعمال الشدة والقسوة في تربية الأطفال ، يقول : « مَن كان مُربَّاه (أي تربيته) بالعسف والقهر من المتعلمين والمماليك أو الخدم ؛ سطا (أي سيطر) به القهر ، وضيق القهر

---

(١) صحيح أبي داود (ص ٣٤٠) ، وأصل الحديث في البخاري ومسلم .
(٢) (حسن) . صحيح الأدب المفرد للألباني ح١٢١ .

على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل ، وحمله على الكذب والخُبْث خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلَّمه القهر المكر والخديعة ، فصارت له هذه عادةً وخُلُقًا ، وفسدت معاني الإنسانية التي له ». اهـ.

(كما يجب ألا يمس نوع العقوبة كرامة الطفل ، وألا يكون فيها إهانة له ، كأن يُضرب أمام الناس ، أو يُعلن عندهم أنه سرق أو نحو هذا ، فإن للطفل شخصية يجب أن تُراعى ، وكرامة يجب أن تُصان . كثيرًا ما أخطأ المربون الغرض من العقوبة فضلوا السبيل ، وظنوا مخلصين أن الشدة على البنين والبنات ؛ قد تأتي في ظنهم بخير ما يرجون ، وذلك لقلة يقظتهم للحقيقة المؤلمة ، فقد أدت الشدة إلى كثير من البلايا التي ولَّدت بعض المشاكل الاجتماعية التي يتألم منها المجتمع الإنساني ، فجعلت الطفل كائنًا ميت النفس ، ضعيف الإرادة نحيف الجسم ، مضطرب الأعصاب خائر العزيمة ، قليل النشاط والحيوية . وإن كثرة الضرب وشدته لا تزيد الطفل إلا بلادة وجمودًا ، على أن الطفل إذا وجد بجانبه من يبصِّره بالواجب بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويستميله دائمًا إلى العمل ؛ لم تكن هناك حاجة إلى هذه العقوبات القاسية ، وإذا كان الغرض من العقوبة الإصلاح فالضرب ليس بوسيلة للإصلاح ، وإن التفاهم على انفراد يؤدي إلى نتيجة أحسن من نتيجة السوط والعصا ، ومن الخطأ أن تهدد الطفل بعقاب لن تقوم بتنفيذه ، أو لا يمكنك تنفيذه ، فقد يعود الطفل إلى الخطأ ؛ فتزداد الخطورة والمشكلة)[1]. أقول : وإن هدي النبي ﷺ في ذلك هو أكمل الهَدي ، ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [سورة النور : ٥٤] .

فعن عائشة رضي اللَّهُ عنها قالت : « ما ضرب رسول اللَّه ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادم إلا أن يجاهد في سبيل اللَّه »[2] .

---

(١) التربية الإسلامية ، لمحمد عطية الإبراشي ص ١٥٤- ١٥٥ بتصرف .

(٢) مسلم ، كتاب الفضائل ٤٢٦٩ .

وهذا شيء لا يفعله إلا أولو العزم وأولو الصبر ، فلِكَي يكظم الإنسان غيظه عن ولده أو خادمه أو امرأته ، فهذا لا يقدر عليه إلا الأقوياء الأشداء الذين قال عنهم النبي ﷺ : « **ليس الشديد بالصرعة**[١] ، **إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب** »[٢] .

أما عن قواعد الضرب :

١- ألا يكون قبل سن العاشرة ، وهذا في شأن الصلاة التي هي الركن الأعظم بعد الشهادتين ، فلا شك أن ما هو دون الصلاة من الأمور الحياتية والسلوكية والتربوية فلا يُضرب الطفل عليها قبل ذلك السن ، إلا ضربًا هو أيضًا دون الضرب من أجل الصلاة ، من باب التهذيب حتى لا يترك الطفل يميع إلى سن العاشرة ويراعى الاعتدال قدر الإمكان .

٢- أن يقلل منه ما أمكن ، بحيث يكون كالملح في الطعام ، وهو قليل ، لكنه يصلح الطعام ، فإذا كثُر أفسد ، وكذلك فإن كثرة الضرب تقلل من هيبته ومفعوله ، وتعوِّد الطفل عليه ثم على البلادة ، قال ﷺ : « **لا يُجلَد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود اللّه** »[٣] .

وعليه فإن أقصى الضرب عشر ضربات ، وهذا في حق البالغ المكلف ؛ فما بالنا بمن لم يبلغ سن التكليف ؟ لا شك أنه لن يُضرَب إلى العشرة ، وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه اللّه يكتب إلى الأمصار : لا يَقرِن المعلم (معلم القرآن) فوق ثلاث ، فإنها مخافة للطفل[٤] . والضرب هنا يسمى تأديبًا وليس عقوبة .

---

(١) الذي يصرع الناس بقوته .

(٢) البخاري ، كتاب الأدب ٥٦٤٩، ومسلم كتاب البر والصلة ٤٧٢٤، وأحمد، باقي مسند المكثرين ٦٩٢١، ومالك في الموطأ ، كتاب الجامع ١٤٠٩ .

(٣) البخاري ، كتاب الحدود ٦٣٤٢، والترمذي كتاب الحدود ١٣٨٣، وأبو داود ، كتاب الحدود ٣٨٤٩، وأحمد ، مسند المدنيين ١٥٨٩٣ .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا ، كتاب العيال ٥٣١/١ .

ورأى القاضي شريح ألاَّ يُضرب الصبي على القرآن إلا ثلاثًا ، كما غطَّ جبريل عليه السلام محمدًا ﷺ ثلاثًا .

٣- علماء التفسير على أن الضرب بالسوط ينبغي أن يصيب الجلد فقط ، ولا يعدوه إلى اللحم ، فكل ضرب يقطع اللحم أو ينزع الجلد ، أو يجرح اللحم فهو مخالف لحكم القرآن ، والمقصود من قوله : ﴿ **فَاجْلِدُواْ** ﴾ وهو ظاهر البشرة من جسم الإنسان . (وهو أن يُجلد ، أي يُضرب على جلده مائة جلدة عقوبة لما صنع)[1] .

وهذا العدد بخصوص البالغين عند إقامة الحد عليهم .

٤- ألا يكون السوط غليظًا أو به عُقَد لورود النهي عن ذلك . فعن زيد بن أسلَم رضي الله عنه أن رجلاً اعترف على نفسه بالزنى على عهد رسول اللَّه ﷺ ، فدعا له رسول اللَّه ﷺ بسوط ، فأُتي بسوط مكسور فقال : « **فوق هذا** » ، فأُتِيَ بسوط جديد لم تُقطع ثمرته (عقدة طرفه) ، فقال : « **دون هذا** » ، فأُتِيَ بسوط قد رُكِبَ به (ذهبت عقدة طرفه) ، ولان (أي : صار لينًا) ، فأمر به رسول اللَّه ﷺ فجُلدَ ، ثم قال ﷺ : « **أيها الناس ، قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود اللَّه ، من أصاب من هذه القاذورات شيئًا فليستتر بستر اللَّه ، فإنه من يُبْدِ لنا صفحته**[2] **نُقِمْ عليه كتاب اللَّه** »[3] (أي نقيم عليه الحد) .

٥- ألاَّ يرفع الضارب يده رفعًا عاليًا كما قال عمر رضي الله عنه للضارب : « لا

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي (سورة النور) ص ٢٤٩ .

(٢) يعترف على نفسه بما استتر من أمره ، ومعنى القاذورات هنا : الفواحش .

(٣) (صحيح) موطأ مالك ، كتاب الحدود ٢١٩٩، والحاكم في المستدرك ج ٤، ح ٧٦١٥، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وانظر صحيح الجامع ح ١٤٩ عن ابن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنهما قال : قال المصطفى ﷺ بعد رجم الأسلمي : « اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى اللَّه تعالى عنها ، فمن ألمَّ بشيء منها فليستتر بستر اللَّه وليتب إلى اللَّه ، فإنه من يُبدِ لنا صفحته ، نُقمْ عليه كتاب اللَّه » .

ترفع إبطك »[١] .

والمقصود في هذا ألاَّ يكون الضرب مبرِّحًا أي قويًا وشديدًا ؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك كما سيأتي .

(٧١) ويأمر ﷺ بوقف الضرب عن الطفل إذا استغاث بالله :

بسم اللَّه الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم . اللَّه جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ؛ ينبغي على عباده إذا ذُكر اسم اللَّه عندهم أن يخشعوا ويهجعوا ، ويستحيوا ويرجعوا ، فإذا ضُرب الطفل فاستغاث باللَّه ، فينبغي لمؤدبه ومربيه أن يستجيب ، وأن يوقف الضرب ؛ تقديسًا لاسم اللَّه وتعظيمًا لشأنه جل وعلا ، ورحمةً بالطفل ، قال الرسول ﷺ : « **من استعاذكم باللَّه فأعيذوه ، ومن سألكم باللَّه فأعطوه** »[٢] .

قال المباركفوري : قال الطيبي : هذا إذا كان الضرب لتأديبه ، وأما إذا كان حدًا فلا ، وكذا إذا استغاث مكرًا . انتهى[٣] .

ولا عبرة بقول أهل الجدل أن الطفل سيتخذها حيلة ومخرجًا من العقوبة في كل مرة . لأن البركة والتوفيق والهداية كلها في طاعة النبي ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ** ﴾ [النور : ٥٤] . وصحيح أنه يمكن أن يحتال بذلك بعض الأطفال ، لكن مَن الذي أوْصلهم إلى هذه الدرجة واضطرهم إلى الدهاء والمكر ؟ فلا بد من التراجع من المربِّي ، ومراجعة الأخطاء ، والانطلاق من قاعدة شرعية تربوية علمية صحيحة ؛ حتى لا يحدث التعارض والتصادم في الجانب التربوي .

وأعود فأقول : إنه لا ينبغي الإكثار من العقوبة لما يترتب على ذلك من

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ج ٥ ص ٣٣٤، سنن البيهقي الكبرى ج٨ ص ٣٢٦، ومصنف ابن أبي شيبة ج ٥ ص ٥٢٩ .

(٢) (صحيح) انظر صحيح الجامع ح ٦٠٢١ عن ابن عمر .

(٣) تحفة الأحوذي ج ٦ ، ص ٦٨ .

الآثار السيئة « فالشدة المستمرة مع الأطفال مضرة بهم جسميًا ، وخلقيًا ، ووجدانيًا ، ولا بد إذاً من الأخذ بالحكمة القائلة : (الوقاية خير من العلاج) ، فالمربي الحازم هو الذي يبعد الطفل عن البيئة التي تشجعه على الأخطاء ... »[١].

(٧٢) ويمنع ﷺ من ضربه في الأماكن الحساسة وعند الغضب :

لا شك أن الذي يعاقب طفله وهو غضبان ستكون العقوبة أولاً غير مجدية ، ثانيًا منفرة وستورث في الطفل الكراهية ، ثالثًا يكون الضرب ساعتها ليس للتربية وإنما للتشفِّي وإخراج غل الصدر كله على الطفل المسكين ، رابعًا فإن الغاضب بهذا الوصف في الغالب أنه لن يراعي حدود اللَّه تعالى في ضوابط الضرب ، فربما ضرب الوجه ، أو ضرب أماكن حساسة كالرأس والرقبة والفرج ؛ فإنها أماكن لا يجوز ضربها ، وربما سببت ضربةٌ أليمة عاهةً مستديمة ، بل ربما أودت بحياة الطفل أو الطفلة ؛ والأمثلة كثيرة ، والمآسي مثيرة ، وقد أُتِيَ عليٌّ رضي الله عنه برجل سكران أو في حد ، فقال : اضرب وأعط كل عضو حقه ، واتق الوجه والمذاكير[٢] . وقال ﷺ : « **إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه** »[٣] . ومن هنا ندرك قيمة تكرار النبي ﷺ الوصية لرجل كلما قال أوصني قال : « **لا تغضب** » . قال الرجل : ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال؛ فإذا الغضب يجمع الشر كله[٤].

---

(١) كتاب : الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام ص ١٦٤، ينقله عن كتاب : الطفل في الشريعة الإسلامية لمحمد الصالح .

(٢) أحكام القرآن ، للجصاص ٣/٣٢٢ ، وابن أبي شيبة ج ٥ ، ص ٥٢٩ .

(٣) مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ٤٧٢٩، وأبو داود ، كتاب الحدود ٣٨٩٥، وأحمد ، باقي مسند المكثرين ١٠٣١٤، بلفظ : « إذا قاتل أحدكم أخاه ، فليتق الوجه ، فإن اللَّه عز وجل خلق آدم على صورته » .

(٤) البخاري ، كتاب الأدب ٥٦٥١، وأحمد ٢٢٠٨٨، وهذا لفظه .

(٧٣) ويمنع ﷺ تدليل الطفل وتمييعه لما له من مَضرَّة :

عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : « **إن الولد مَبْخَلة ، مَجْبَنَة ، مجهلة ، مَحْزنة** »[١] .

قال المناوي : مبخلة بالمال عن إنفاقه في وجوه القُرَب ، مجبنة عن الهجرة والجهاد ، مجهلة لكونه يحمل على ترك الرحلة في طلب العلم والجد في تحصيله لاهتمامه بتحصيل المال له ، محزنة يحمل أبويه على كثرة الحزن لكونه إن مرض حَزِنا، وإن طلب شيئًا لا قدرة لهما عليه حَزِنًا ، فأكثر ما يَفوت أبويه من الفلاح والصلاح بسببه ، فإن شب وعق ، فذلك الحزن الدائم والهم السرمدي اللازم[٢]. اهـ .

وما سبق مما يحصل للوالدين بسبب الولد فإنما مصدره الحنان على الطفل والرأفة به ، لكن ؛ فكما أمر الإسلام بالحنان مع الطفل والرأفة ؛ فقد نهى عن الإفراط والغلو في هذا الحنان ، فلا مفر في بعض الأوقات من الحزم والتخويف لترتد نفس الطفل عن التمادي في الغي أو الانحراف ، وكثير من الأطفال يردعهم مجرد رؤية العصا أو السوط ، ويُلزمهم ظهور أداة العقوبة ، فيسارعون إلى تجنب التعرض لها ، فتستوي تصرفاتهم ويتصحح مسارهم . لذلك أوصي النبي ﷺ يعلِّق العصا في البيت .

عن ابن عباس رضي اللهُ عنهما عن النبي ﷺ قال : « **علِّقوا السوط حيث يراه أهل البيت** »[٣] .

وعنه أيضًا أن النبي ﷺ أمر بتعليق السوط في البيت[٤] .

فالنبي صلوات الله وسلامه عليه لا يريد أن يكون من وراء حب الطفل

---

(١) صحيح الجامع ح ١٩٩٠ .
(٢) شرح فيض القدير ج ٢ ، ص ٤٠٣ .
(٣) صحيح الجامع ٤٠٢١ .
(٤) السلسلة الصحيحة ح ١٤٤٧ .

والحنان عليه تدليلٌ وتفريطٌ ، ومجاراةٌ للطفل في جميع أهوائه ، فيفعل الطفل ما يشاء ويقضي ما هو قاض ؛ فإن ذلك جناية كبرى على الولد . والنبي ﷺ يقول : « **ألاَ لا يجني جان إلا على نفسه ، ولا يجني والد على ولده ، ولا يجني مولود على والده** »(١) .

والجناية : الذنب والجرم ، وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه العذاب أو القصاص في الدنيا والآخرة(٢) . فإذا فعل الإنسان ما يوجب العذاب على غيره ؛ فهذه الجناية على الغير ، كما يتسبب بعض الآباء في عذاب الله لأبنائهم بسبب تدليلهم وحبهم المفرط ؛ الذي ينتج عنه عدم الأخذ على أيديهم لتعويدهم طاعة الله والوقوف عند حدوده ، والله تعالى أمر مثل هؤلاء الآباء وأمثالهم ، بل وسائر الذين آمنوا بقوله جل وعلا : ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ۝ ﴾ [سورة التحريم : ٦] .

ضرر مخالطة الطفل لأهل الميوعة والدلال :

قال الغزالي رحمه الله : ينبغي أن يُحفظ الصبي عن الصبيان الذين عُوِّدوا التنعم والرفاهية ، ولبس الثياب الفاخرة ، وألاَّ يُسمح له بمخالطتهم ، فإن الصبي إذا أُهمل في بدء حياته خرج في الأغلب رديء الأخلاق، كذابًا، حسودًا ، سروقًا ، ذا فضول وكيد ومجانة . وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ، وكمال التربية(٣) .

فينبغي ألا يسمح للطفل بمخالطة المدللين من الأطفال ؛ لأنهم لا يصلحون

---

(١) (صحيح) الترمذي، كتاب تفسير القرآن ٣٠١٢، وصحيح سنن ابن ماجه للألباني ، كتاب المناسك ٣٠٤٦، وأحمد . والهيثمي بلفظ : « ألاَ لاَ تجني نفس على أخرى » . وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . اهـ . ج ٦ ص ٢٨٣، وابن حبان في صحيحه ج ١٣، ص ٣٣٧، ح ٥٩٩٥. وانظر السلسلة الصحيحة ح ١٩٧٤ .

(٢) ابن الأثير في النهاية .

(٣) إحياء علوم الدين ج ٣ .

للحياة التي تنتظرهم ؛ فقد وجدوا الحياة سهلة ميسرة لهم ، كلها نعيم ورخاء ، واعتمدوا على ثروة آبائهم وأمهاتهم ، فناموا واستعذبوا النوم ، وصارت حياتهم كلها حياة خمول وكسل ، وجعلوا ليلهم نهارًا ، ونهارهم ليلاً ، وأصبحوا جرثومة من الفساد ، وإن المربين يرون أن أهم مرحلة في الحياة هي مرحلة الطفولة المبكرة ، في الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل . فإذا أهمل في بدء حياته صار غالبًا فاسد الخلق ، كثير الكذب ، كثير الحقد والحسد ، كثير السرقة والنميمة والإلحاح ، فضوليًا يتدخل فيما لا يعنيه ، ويكيد لغيره من زملائه ، ذا مجون ، لا يبالي بما يصنع ، ولا يكترث لما يفعل ، ومن الممكن أن يحفظ من فساد الخلق ، ومن هذه الرذائل كلها إذا عنينا بتربيته كل العناية في طفولته وأطوار حياته ، ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر البيئة في تربية الطفل[1] .

(٧٤) ويزورهم ﷺ في مرضهم ويدعو لهم ويقرأ عليهم :

كان للنبي ﷺ غلام يهودي يخدمه ، فمرض ذلك الغلام ، فأتاه النبي ﷺ يعوده (يزوره) ، فقعد عند رأسه ، فقال له : « **أسلم** » . فنظر الغلام إلى أبيه وهو عنده ، فقال أبوه : أطع أبا القاسم ، فأسلم الغلام ثم مات ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : « **الحمد لله الذي أنقذه بي من النار** »[2] .

وجاءت امرأة إلى رسول اللَّه ﷺ بولدها فقالت : يا رسول اللَّه ، إن به لَمَمًا (جنون) ، وإنه يأخذه عند طعامنا ، فيفسد علينا طعامنا ، فمسح ﷺ صدره ودعا له فثَعَّ (تقيأ) ، فخرج من فِيه مثلُ الجرو[3] الأسود فشُفِي[4] .

---

(١) التربية الإسلامية للإبراشي ص ٢٥٨، ٢٥٩ .

(٢) البخاري ، كتاب الجنائز ١٢٦٨، وأبو داود كتاب الجنائز ٢٦٩١، وأحمد ، باقي مسند المكثرين ١٣٤٦٧.

(٣) الجرو : كل صغير من الكائنات .

(٤) أحمد ، مسند بني هاشم ٢٠٦٦، والدارمي كتاب المقدمة ١٩. والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩، =

وعن السائب بن يزيد قال : ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، إن ابن أختي وجعٌ ، قال : فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ، ثم توضأ فشربتُ مِن وَضوئه ، ثم قمتُ خلف ظهره، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زِر الحَجَلَة(١)(٢).

وعن البراء قال : دخلتُ على أبي بكر أول ما قدم المدينة ، فإذا عائشة ابنته مضطجعه قد أصابتها حُمَّى ، فأتاها أبو بكر فقال لها : كيف أنت يا بنية ؟ وقبَّل خدها(٣) .

(٧٥) ويصحح ﷺ بالحكمة مفاهيمهم وأخطاءهم :

عن رافع بن عمرو الغفاري رضي الله عنه قال : كنت وأنا غلام أرمي نخلاً للأنصار ، فأُتِيَ النبي ﷺ فقيل : إن ها هنا غلامًا يرمي نخلنا ، فأُتِيَ بي إلى النبي ﷺ فقال : « **يا غلام ، لِمَ ترمي النخل ؟** » قلت : آكل ! قال : « **فلا ترم النخل ، وكُل ما يسقط في أسافلها** » ، ثم مسح رأسي وقال : « **اللهم أشبع بطنه** »(٤) .

قال الزرعي : يدل على إباحة الأكل وأن الإباحة عند الجوع أولى ، وقال غيره : إنما الإباحة للجوع والضرورة ، ويكون إباحة الأكل فقط لا الحمل(٥) .

ويوضح النبي ﷺ هذا إيضاحًا أكثر ؛ قال الترمذي : باب ما جاء في الرخصة أكل الثمرة للمارّ بها :

عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « **من دخل حائطًا فليأكل ولا يتخذ**

= ص ٢، وقال : رواه أحمد والطبراني وفيه فرقد السنجي وثقه ابن معين والعجلي وضعفه غيرهما .

(١) زر الحجلة : هو بيض نوع من الطيور .

(٢) البخاري، كتاب الصلاة ١٨٣، ومسلم كتاب الفضائل ٤٣٢٨، والترمذي، كتاب المناقب ٣٥٧٦.

(٣) البخاري ، كتاب المناقب ٣٦٢٦، وأبو داود كتاب الأدب ٤٥٤٥ .

(٤) قال الزرعي في حاشية ابن القيم : صححه الترمذي . قُلْتُ : وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ح ٦٢١٠، وضعيف ابن ماجه ٢٢٩٩، وضعيف الترمذي ١٢٨٨، ويشهد للحديث أحاديث الترمذي وابن ماجه الصحيحة التي جاءت بعده .

(٥) حاشية ابن القيم ج٧ ص٢٠٣ .

خُبْنَةً »[١] . ومعنى خُبنة : أي ما تحمله في حضنك . « لسان العرب » .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ سُئل عن التمر المعلق ؟ فقال : « **من أصاب منه شيئًا من ذي حاجة ؛ غير متخذ خبنة فلا شيء عليه** »[٢] .

ومثله حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال : « **إذا أتيت على راع فناد ثلاث مِرار ، فإن أجابك وإلا فاشرب في غير أن تفسد ، وإذا أتيت على حائط بستان فنادِ صاحب البستان ثلاث مرات ، فإذا أجابك وإلا كُلّ في أن لا تفسد** »[٣] .

إن النبي ﷺ حين يصحح الخطأ بصورة عملية ، ويدلل على تصحيحه بالقواعد العامة الشرعية ؛ يكون بذلك قد استأصل الخطأ من جذوره ؛ وحقق ربحًا هائلاً في منهج التربية الإسلامية ، وهذا الذي ينبغي أن يسير عليه ويقتدي به المربون .

وهذا ابن عمر رضي اللَّهُ عنهما ينفذ القدوة في تصحيح خطأ الأطفال ، فقد مرَّ بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا ، وهم يرمونه ، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا ، فقال ابن عمر : مَن فعل هذا ؟ لعن اللَّه مَن فعل هذا ، إن رسول اللَّه ﷺ لعن مَن اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا[٤] .

(٧٦) ويعاونهم ويعلّمهم ﷺ بنفسه ما لم يحسنوا عمله :

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : مرَّ رسول اللَّه ﷺ بغلام يسلخ شاة ، فقال له : « **تنَحَّ حتى أُرِيَك ، فإني لا أراك تحسن تسلخ** ». فأدخل رسول اللَّه

(١) صحيح سنن الترمذي ح ١٨٧ .
(٢) صحيح سنن الترمذي ح ١٢٨٩، وإرواء الغليل ح ٢٤١٣ ، وقال : حسن .
(٣) صحيح ابن ماجه ح ١٨٧٦ .
(٤) مسلم ، كتاب الصيد والذبائح ٣٦١٩ . والنسائي ، ٤٣٦٥ . وأحمد .

ﷺ يده بين الجلد واللحم فدحَسَ بها (مدها) حتى توارت إلى الإبط ، وقال : « **يا غلام ؛ هكذا فاسلخ** » ،ثم مضى ، وصلى للناس ولم يتوضأ ، ولم يمس ماءً[1] .

فلم يستنكف ولم يستكبر رسول اللّه ﷺ أن يقف لدَى ذلك الغلام ويساعده في عمله ، ويسهِّل له ما شقَّ عليه ، ويعلمه ما لم يكن يعلم ، ولو كان خارجًا إلى الصلاة للناس ومتزيِّنًا بزينة المسجد ، وصدق اللّه تعالى لمَّا قال فيه : ﴿ **بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [سورة التوبة : ١٢٨] .

إنها يقظة المعلم في تبليغ الرسالة ، والإرشاد والتقويم الدائم ، في كل وقت ، وفي كل شيء .

(٧٧) ويدربهم ﷺ على العلاج الطبيعي :

ذكر ابن الأثير في النهاية باب (قحم) حديث عمر رضي الله عنه أنه دخل على النبي ﷺ وعنده غُلَيِّم أسود يغمز ظهره ﷺ ، فقال عمر : ما هذا ؟ قال : « **إنه تقحمت بي الناقة الليلة** »[2] أي ألقتني في ورطة (حفرة عميقة) يقال تقحمت به دابته إذا ندَّت به فلم يضبط رأسها . فربما طوحت به في أُهْوِيَّة . ويغمز ظهره أي يعصره ويكبسه باليد . فالنبي هاجت به الناقة حتى ألقته في حفرة ، فتأثر ببعض الصدمات والكدمات ثم هو يعلِّم ذلك الغلام الصغير في جسمه الشريف الطاهر كيف يدلِّك عضلاته ليخفف من إصاباته ، وكل أب ومُربٍ بل وكل أم ومربية في حاجة ماسة إلى تدريب أبنائهم على ذلك العلاج الطبيعي الذي يعطي العضلات عافية من التقلص والألم ، بإذن اللّه .

---

(١) صحيح ابن حبان ج ٣ ح ١١٦٣، والبيهقي ، وأبو داود . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ح ٣٢٣٩ .

(٢) الهيثمي في مجمع الزوائد ج٥ ص٩٦ وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبزار ورجاله رجال الصحيح خلا عبد اللّه بن زيد بن أسلم وقد وثقه أبو حاتم وغيره ، وضعفه ابن معين وغيره . وأخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ج١ ص٩١ وقال : إسناده حسن .

(٧٨) وإذا عاقب الطفل عاقبه برفق ولطف ﷺ :

ثبت في الأحاديث أن النبي ﷺ لم يضرب بيده طفلاً ولا خادمًا ولا امرأة، لكنه ربما إذا عاقب اكتفى بشد الأذن .

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : أُهديَ للنبي ﷺ عنب من الطائف ، فدعاني فقال : « **خذ هذا العنقود فأبلغه أمك** » . فأكلته قبل أن أبلغه إياها ، فلما كان بعد ليال ، قال لي : « **ما فعل العنقود ، هل أبلغته أمك ؟** » قلت : لا . قال : فسماني غُدَر[1] .

وعن عبد الله بن بُسر المازني رضي الله عنه قال : بعثتني أمي بقطف من عنب إلى رسول الله ﷺ ، فأكلت منه قبل أن أُبلِّغه إياه فلما جئت أخذ بأذني وقال : « **يا غُدَر** »[2] .

وقد يرى البعض أن الغلام ربما اشتهى العنب فأكل منه فليست مشكلة ؛ وهذا هو الظاهر مما حدث أنه اشتهاه ، ولكن رغم هذا هل يترك النبي ﷺ الموقف يمر ولا يستفيد الطفل تعلُّم الأمانة والصبر وتوصيل الأمانات إلى أهلها ؟ كلا ، إن إشفاق النبي ﷺ على ذلك الصبي أن يكون أمينًا ؛ أعظم من إشفاقه على بطن الطفل وشهوة طعامه ، ولعل هذا الالتباس هو الذي غرَّ كثيرًا من الناس ، حتى أن أحدهم يكره أن يوقظ ولده لصلاة الفجر إشفاقًا عليه ليذهب إلى المدرسة مستريحًا بعد أن أخذ قسطًا من النوم كافيًا ، والبعض لا يرده عن أكل حرام أو سرقة لأنه يراه صغيرًا لا لوم عليه ولا عتاب !! فلماذا

---

(١) مصباح الزجاجة ج ٤ ، ص ٣٥ ، وقال المحقق : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . وقال: قال المزي : رواه أبو بكر بن أبي شيبة في كتاب المادية عن العباس عن ... عن عبد الله بن بسر المازني قال : بعثتني أمي إلى النبي ﷺ بقطف من عنب فأكلت منه قبل أن أبلغه إياه ، فلما جئت أخذ بأذني وقال : « يا غُدر » . قال المزي : والقصة مختلفة ، فيحتمل أن يكونا صحيحين . والله أعلم .

(٢) مسند الشاميين لأبي القاسم الطبراني ج٢ ص٣٥٥ . ومصباح الزجاجة لابن أبي بكر الكناني عن النعمان بن بشير وقال : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات .

أخرج النبي ﷺ التمرة من فم الحسن إذن وقال له : « كَخْ كَخْ » ؟ إن المتأسي بالنبي ﷺ لا يكون عُرْضة لهذه الأخطاء التي تؤثر سلبًا على الطفل .

(٧٩) ويخالطهم ﷺ ويحدِّثهم عن مخالطته الكبار وهو غلام :

قال أنس : « إن كان رسول اللَّه ﷺ ليخالطنا »[(١)] .

ويحدثهم عن حضوره مجالس الكبار وهو صغير ليرتسم في أذهانهم مخالطة الشباب للكبراء الصلحاء ، فيقول : « **شهدتُ حلف المُطَيَّبين ، مع عمومتي وأنا غلام ، فما أحب أن لي حُمْر النَّعم وَأني أنكثه** » (يعني لو أُعطيت أغلى أنواع الإبل لنقض هذا الحلف ما نقضته) قال الزهري : لم يصب الإسلام حلفًا إلا زاده شدة ، ولا حلف في الإسلام ، وقد ألَّف رسول اللَّه ﷺ بين قريش والأنصار[(٢)]. وحلف المطيبين هو معاهدة ومعاقدة للتعاضد والتساعد على نصرة المظلوم ، تحالفت فيه بنو هاشم وبنو زهرة وتَيم في دار ابن جُدعان في الجاهلية ، وجعلوا طيبًا في جفنة وغمسوا أيديهم فيه ، فسُمُّوا بذلك المطَيَّبين . وما كان في الجاهلية من حِلفْ على الفتن والقتال بين القبائل والغارات ؛ فذلك الذي ورد النهي عنه في قوله ﷺ : « **لا حلف في الإسلام** » وما كان كحلف المطيبين وما جرى مجراه فذلك الذي قال فيه ﷺ : « **وأيما حلف كان في الجاهلية لم يَزده الإسلام إلا شدة** » وبذلك يجتمع الحديثان[(٣)] .

(٨٠) ويسلِّم عليهم وهم يلعبون توقيرًا لهم ولتعليمهم سُنة السلام:

عن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم ، وقال : كان النبي ﷺ يفعله[(٤)].

---

(١) البخاري ، كتاب الأدب ٥٦٦٤ . والترمذي ، كتاب البر والصلة ١٩١٢ .

(٢) أحمد . مسند العشرة ١٥٦٧ . وابن حبان في صحيحه ج١٠ ح٤٣٧٣ . والضياء المقدسي في المختارة ج ٣ ، ح ٩٥١ . وانظر صحيح الجامع ح ٣٧١٧ .

(٣) النهاية ، لابن الأثير ، باب : حلف ، وباب : طيب .

(٤) البخاري ،كتاب الاستئذان ٥٧٧٨ . والترمذي ، كتاب الاستئذان والآداب ٢٦٢٠ .

وفي الحديث : « **فجاء النبي ﷺ فسلم على الصبيان وهم يلعبون** »[١] .

وعنه قال : مر علينا رسول الله ﷺ ونحن صبيان ، فقال : « **السلام عليكم يا صبيان** »[٢] .

إن رسول الله ﷺ يعلم أن قوة هذه الأمة في قوة شبابها وصلاحه ، لذلك فهو يبني البناء النفسي الصحيح للأطفال ، ويربي تربيةً على منهج علمي دقيق ومدروس وليس عشوائيًا ؛ حتى لا يشب الشباب مشوَّة النفسية ، محطَّم الشخصية .

وعن ثابت قال : كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار ، فيسلم على صبيانهم ويمسح على رءوسهم ويدعو لهم[٣] .

(٨١) ويعلمهم ﷺ آداب الدخول على أهليهم :

قال أنس : قال رسول الله ﷺ : « **يا بني ، إذا دخلتَ على أهلك فسلِّم يكن بركة عليك وعلى أهلك** »[٤] . بل يعلمهم ﷺ ضوابط التسليم فيقول : « **يسلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير ، والصغير على الكبير** »[٥] .

ويبيّن أن السلام يكون قبل الكلام وقبل السؤال والطلب وكل شيء ؛

---

(١) (إسناده صحيح) أبو داود ،كتاب الآداب ٤٥٢٦ . وأحمد ، باقي مسند المكثرين ح١٢٩٥٦ . بتقديم وتأخير في بعض الألفاظ . صحح إسناده محقق المسند .

(٢) السلسلة الصحيحة ح ٢٩٥٠ .

(٣) السلسلة الصحيحة ح ١٢٧٨ .

(٤) الترمذي ، كتاب الآداب والاستئذان ٢٦٦٢ ، وقال حديث حسن صحيح غريب . وقال الألباني : ضعيف الإسناد .

(٥) البخاري ،كتاب الاستئذان ٥٧٤٦ . ومسلم ، كتاب السلام ٤٠١٩ . والترمذي ،كتاب الاستئذان والآداب ٢٦٢٧ . وأبو داود ،كتاب الأدب ٤٥٣٣ ، وفيه « والمار على القاعد » . وأحمد ، باقي مسند المكثرين ١٠٢١٥ . ومالك ،كتاب الجامع ١٥١٢ ، وفيه : « وإذا سلَّم من القوم واحد أجزأ عنهم » والدارمي ، كتاب الاستئذان ٢٥٢٠ .

فيقول ﷺ : « **السلام قبل السؤال ؛ فمن بدأكم بالسؤال قبل السلام فلا تجيبوه** »[١] . وقال أيضًا : « **لا تأذنوا لمن لم يبدأ بالسلام** »[٢] . وقال لمن دخل عليه ولم يسلم : « **ارجع فقل : السلام عليكم ، أأدخل ؟** » قال ابن بطال : في السلام على الصبيان تدريبهم على آداب الشريعة ، وفيه طرحُ الأكابر رداء الكبر ، وسلوك التواضع ولين الجانب[٣] .

إن تربية الشباب منظومة متكاملة ، تشمل خارج البيت وداخله ، في المسجد ، أو في المدرسة ، أو في السوق ، أو في ميدان اللعب ، وتتعين على الأهل والجيران وسائر الناس ، وكل هذه القوى لا بد أن تتجه اتجاهًا واحدًا ، تتضافر فيه جهودها ، وتتوحد فيه أهدافها ، وتتفق وسائلها وأساليبها ، مستندةً في ذلك إلى قدوة حسنة وسلف صالح ، حتى لا ينشأ الجيل ضحية صراع المتناقضات ، فيرى الهدم والبناء في وقت واحد ، ويرى السبَّ والثناء في شخص واحد ، وهو بمفرده لا يستطيع الفصل بين تلك المتناقضات فلا يملك إلا تقليد كل حالة على حدة ، ومن هنا يأتي انفصام الشخصية .

(٨٢) ويلقنهم ﷺ آداب الاستئذان :

الطفل وهو صغير لم يبلغ الحلم يستأذن في دخول غرف النوم على والديه أو غيرهم ثلاث مرات ، تكون العورات فيها عُرْضة للانكشاف في تلك الأوقات وهي قبل صلاة الفجر ، ووقت الظهيرة ، وبعد صلاة العشاء . وقد حدّد الإسلام هذه الثلاثة للطفل الصغير قبل الاحتلام ؛ لأنه في هذه المرحلة يكون كثير الحركة واللعب ، والدخول والخروج ، فيصعب ويشق عليه الاستئذان في كل الأوقات . فإذا اقترب من البلوغ والاحتلام والتمييز فإنه يقل لعبه ودخوله وخروجه ، وصار يفهم ويتحمل ولا يشق عليه أن يستأذن بالدخول على والديه

---

(١) السلسلة الصحيحة ح ٨١٦ .

(٢) السلسلة الصحيحة ح ٨١٧ .

(٣) فتح الباري ، كتاب الاستئذان ج ١١ .

في سائر الأوقات كلما وجد الباب مغلقًا . وقد راعى الإسلام الحنيف كل هذه الجوانب مراعاة العليم الحكيم الخبير بأحوال خلقه ؛ فقال عز من قائل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة النور : ٥٨، ٥٩] .

وكان أنس خادم النبي ﷺ يدخل عليه بغير إذن ، فجاء يومًا ليدخل ، فقال له : « **كما أنت يا بني ، فإنه قد حدث بعدك أمر ؛ لا تدخلن إلا بإذن** »(١) .

ويبيّن ﷺ أن المستأذن لا يقف في مواجهة الباب مباشرة ؛ ومن هنا تظهر القيمة العظمى للاستئذان ، كما جاء عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : اطّلع رجل من جُحْر في حُجَر النبي ﷺ ، ومع النبي مِدْرًى يحك به رأسه ، فلما رآه النبي ﷺ قال : « **لو أعلم أنك تَنظر لطعنتُ به في عينك ، إنما جُعل الإذن من أجل البصر** »(٢) .

فمن الأدب حقًّا عدم استقبال الباب مباشرة والوقوف بالوجه في مقابله ، فيجب التنحّي يمينًا أو يسارًا ، بحيث إذا فُتح الباب ؛ لا يتمكن النظر من رؤية شيء يكره أهل البيت اطلاع أحد عليه ، أو تقع العين على عورة فجأة ، فيحصل الضيق في الصدر والحرج في النفس ، والله ما جعل علينا في الدين من حرج .

---

(١) صحيح الأدب المفرد ٨٠٧ . (صحيح لغيره) قاله الألباني .

(٢) البخاري ، كتاب الاستئذان ٥٧٧٢، ومسلم ، كتاب الآداب ٤٠١٣، والترمذي ، كتاب الاستئذان والآداب ٢٦٣٣، والنسائي ، كتاب القسامة ٤٧٧٦، وأحمد ، باقي مسند الأنصار ٢١٧٣٧ .

ويكون الاستئذان ثلاث مرات ، فإن لم يؤذن له فليرجع كما أخبر بذلك ﷺ في صحيح مسلم ، وأن يقول : السلام عليكم ، أأدخل ؟ كما علم رسول الله ﷺ أصحابه بذلك ، وإذا قال له صاحب البيت : مَن أنت ؟ لا يقل : أنا! وإنما يُعرف نفسه ويقول : فلان ؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك كما بالصحيحين.

وتلك الأخلاق وهذه المبادئ قد أرسى قواعدها رسولنا محمد ﷺ ، وكان هو قدوة فيها ، فليتأسَ به المسلمون ، وليقتد به المربُّون ، في تنشئة جيل يرضى عنه الله وعبادُه الصالحون .

(٨٣) ويشجعهم ﷺ على حضور الأفراح وزيارة الأقارب لأخذ التجارب:

عن أنس رضي الله عنه قال : رأى النبي ﷺ الصبيان والنساء مقبلين ، حسبتُ أنه قال : مِن عُرْس ، فقام مُمْثِلاً (منتصبًا) ، وفي رواية مُمْتَنًّا (فرحًا) فقال : « **اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ** ... قالها ثلاث مرار »[1] . يعني الأنصار .

وبهذا يتم تكوين الطفل اجتماعيًا بأخذه إلى الأماكن العامة والأفراح بشرط عدم مخالطة أهل التبرج والسفور ، ولا الجلوس مع مرتكبي المخالفات الشرعية كالمدخنين والمغنين أهل الفسق .

كذلك فإن التردد على صالحي الأقارب فوق أنه قربة لله تعالى ؛ فإن فيه الاستفادة ، وابن عباس رضي اللَّهُ عنهما يحدثنا عن ذلك فيقول : بِتُّ عند خالتي ميمونة بنت الحارث رضي اللَّهُ عنهما ، زوج النبي ﷺ فرقبت صلاة رسول اللَّه ﷺ كيف يصلي فقام فبال ثم غسل وجهه وكفيه ثم نام ، ثم قام فعمد إلى القربة فأطلق شناقها (رباطها) ثم صب في الجفنة أو القصعة (إناء يسع ما يشبع العشرة) وأكبَّ يده عليها ثم توضأ وضوءًا حسنًا بين الوضوئين (وَسَط) ثم قام يصلي فقمت عن يساره فأخذني فأقامني عن يمينه ، فتكاملت

---

(١) البخاري ،كتاب المناقب ٣٥٠١ . ومسلم ،كتاب فضائل الصحابة ٤٥٦٣ . وأحمد ، باقي مسند المكثرين ١٢٣٣٤ .

صلاة رسول الله ﷺ ثلاث عشرة ركعة ، قال : ثم نام حتى نفخ (تنفس بصوت وهو نائم) وكنا نعرفه إذا نام بنفخه ، ثم خرج إلى الصلاة فصلى فجعل يقول في صلاته أو في سجوده : « **اللهم اجعل في قلبي نورا ، وفي سمعي نورا ... الحديث** »[(١)] .

(٨٤) ويحثهم ﷺ على مجالسة العلماء والتأدب معهم :

إن الله سبحانه أثنى على مجالس العلم والجالسين فيها ، ما دامت مجالسهم من أجله سبحانه ، فقال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي : « **وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيَّ والمتزاورين فيَّ** »[(٢)] .

وقال ﷺ : « **ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده** »[(٣)] .

كما حذر النبي ﷺ من مجادلة العلماء بالعلم جدالاً باطلاً والافتخار عليهم ومباهاتهم بالعلم .

عن جابر قال ﷺ : « **لا تعلَّموا العلم لتباهوا به العلماء أو تماروا به السفهاء ، ولا لتجترئوا به المجالس ، فمن فعل ذلك فالنار النار** »[(٤)] . وحث النبي ﷺ أيضًا على إكرام العلماء ومعرفة حقهم وقدرهم ، فقال صلوات الله تعالى وسلامه عليه : « **إن من إجلال الله ؛ إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط** »[(٥)]. والمقسط: العادل .

---

(١) مسلم ،كتاب صلاة المسافر وقصرها ١٢٧٩ . وأحمد ، مسند بنى هاشم ١٤٢٦ .

(٢) صحيح الجامع ح ٤٣٣١ عن معاذ .

(٣) مسلم ج ٤ ص ٢٠٧٤، وغيره .

(٤) (صحيح) انظر صحيح الجامع ح ٧٣٧٠ .

(٥) (حسن) ، انظر صحيح الجامع ح ٢١٩٩، والغُلُوّ : هو الإفراط ومجاوزة الحد .

وقال ﷺ : « **ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف شرف كبيرنا** »[١]. فأهل الإسلام يوقّرون علماءهم ، ويعرفون قدرهم .

وقال ﷺ : « **ليس من أُمتي من لم يُجِل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه** »[٢] .

قال العلماء : « وينبغي أن يُعَلَّم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه ، وكل من هو أكبر منه سنًا ، من قريب أو أجنبي ، وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم ، وأن يترك اللعب بين أيديهم » . ولا شك أن الطاعة في المعروف .

ولم يكن الحث على مجالسة ومصاحبة العلماء فقط ؛ بل مصاحبة المجاهدين في ميادين القتال . وانظر الفقرة التالية .

الصحابة يصطحبون أبناءهم في الغزو لتعلُّم المواجهة :

قال عروة بن الزبير رضي الله عنهما : إن أباه الزبير كان به آثار ضربات في جسمه ضُرِبَها يوم بدر ، قال : كنتُ أُدخِل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير ، قال عروة وكان معه عبد الله بن الزبير يوم اليرموك وهو ابن عشر سنين فحمله على فرس ووكل به رجلاً[٣] . فانظر يا أخي إلى إعداد الأطفال وصناعة الأبطال .

وكذلك قال عبد الله بن الزبير : كنت أنا وعمر بن أبي سلمة يوم الخندق مع النسوة في أُطُم حسان (بناء مرتفع كالحصن) فكان يطأطئ (يخفض) لي مرة فأنظر ، وأطأطئ له مرة فينظر ، فكنتُ أعرف أبي إذا مرَّ على فرسه في السلاح إلى بني قريظة ، قال : فذكرتُ ذلك لأبي ، فقال : ورأيتني يا بني ؟

---

(١) صحيح الجامع ح ٥٤٤٤ .

(٢) أحمد ، مسند الأنصار ٢١٦٩٣ . وقال الهيثمي بمجمع الزوائد ج١ ، ص ١٢٧ : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، وإسناده حسن . ومعنى يُجِل : أي يحترم . وقال الألباني في صحيح الجامع : حسن ح ٥٤٤٣ .

(٣) البخاري ، كتاب المغازي ٣٦٧٨ .

قلتُ : نعم[١] .

ما أحوجنا إلى جيل مثل هذا ، يبيض اللَّه به وجه الأرض .

(٨٥) ويحذرهم ﷺ من مجالسة ومصاحبة الأشرار :

عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل** »[٢] .

وعن أبي موسى قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **مَثَل الجليس الصالح والسوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يُحذيك[٣] وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ، ونافخ الكير ؛ إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحًا خبيثة** »[٤] .

ولعل الحديثين واضحان في بيان مضرة جليس السوء . كذلك فإن من خالط الأشرار واتخذهم أصحابًا فهو مثلهم ، ودينه دينهم ، ومصيره مصيرهم ، وإن قال غير ذلك .

قال الغزالي في الإحياء : « وقد قال اللَّه تعالى : ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** ﴾ [التحريم : ٦] ، ومهما كان الأب يصون الصبي عن نار الدنيا ، فبأن يصونه عن نار الآخرة أَوْلَى . وصيانته بأن يؤدبه ، ويهذبه ، ويعلمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء ... ولا يستعمل في حاضنته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال » . اهـ .

---

(١) مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ج٤ ص٢٤١٦ .

(٢) أبو داود ،كتاب الأدب ٤٠٩٣ . والترمذي ،كتاب الزهد ٢٣٠٠ وقال : حديث حسن . وأحمد ، باقي مسند المكثرين ٨٠٦٥ . والحاكم ج٤ ح٧٣٠ وقال: صحيح ولم يخرجاه . وانظر السلسلة الصحيحة ح ٩٢٧ .

(٣) يحذيك أي : يعطيك ، ونافخ الكير هو الحداد .

(٤) البخاري ،كتاب الذبائح والصيد ٥١٠٨ .ومسلم ، كتاب البر والآداب والصلة ٤٧٦٢ . وأبو داود كتاب الأدب ٤١٩١ . مسند الكوفيين ١٨٧٩٨ .

وقد بيّن الله تعالى شدة ندم مَن يجالسون أهل السوء ويتخذونهم أخلاء ويسيرون في ركبهم ، ويتركون مجالسة أهل الخير والسير على صراطهم المستقيم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الفرقان : ٢٧- ٢٩] .

(٨٦) ويعلمهم ﷺ أدب الكلام ومنزلة الأخ الأكبر :

جاء عبد الرحمن بن سهل وحُويِّصة بن مسعود إلى النبي ﷺ فذهب عبد الرحمن يتكلم ، فقال النبي ﷺ : « كبِّر كبِّر » يعني ليتكلم الأكبر سِنًا ، وكان عبد الرحمن أصغر القوم[1] .

فهذا حق الكبير ، ولا يجوز للصغير أن يبادر بالكلام إلا إذا طُلِب منه ، أو أن القوم انتخبوه متحدثًا عنهم ، أو كان له هو سؤال وحاجة . وقد مر بنا قوله ﷺ : « **ليس من أمتي مَن لم يُجِل كبيرنا** » (أي يحترمه) .

فإذا رشَّح القوم صغيرهم متحدثًا عنهم في المحافل لمناسبته لذلك فلا إشكال ، وقد حدث شيء من هذا أمام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حينما وَلِيَ الخلافة ، وفدت عليه الوفود من كل بلد لتُبيِّن حاجتها وللتهنئة ، فوفد عليه الحجازيون ، فتقدم غلام هاشمي للكلام ، وكان حدثَ السن ، فقال عمر : لِينطق مَن هو أسَنُّ منك ، فقال الغلام : أصلَح الله أمير المؤمنين ، إنما المرء بأصغرَيْهِ ، قلبه ولسانه ، فإذا منح الله عبدًا لسانًا لافظًا وقلبًا حافظًا ؛ فقد استحق الكلام ، وعرف فضله مَن سمع خطابه ، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن ؛ لكان في الأمة مَن هو أحق بمجلسك هذا منك ، فقال عمر : صدقْتَ ، قُل ما بدا لك . فقال الغلام : أصلح الله أمير المؤمنين ، نحن وفد تهنئة ، لا

(١) البخاري ، ج ٣ ، ح ٣٠٠٢، ومسلم ج ٣ ، ح ١٦٦٩، وأصحاب السنن .

وفد مُـزَيْنَة ، وقـد أتيناك لِمَنِّ اللَّه الذي مَنَّ علينا بك ، ولم يُقْدِمْنا إليك رغبة ورهبة ، أما الرغبة فقد أتيناك من بلادنا ، وأما الهيبة فقد أمنَّا جورَك بعدلك . فقال عمر : عظني يا غلام ! فقال الغلام : أصلح اللَّه أمير المؤمنين ، إن ناسًا مـن الناس غرَّهم حلم اللَّه عنهم ، فزلَّت بهم الأقدام فهَوَوْا في النار ، فلا يغرَّنَّك حِـلم اللَّه عنك ، وطول أملك ، وكثرة ثناء الناس عليك ، فتزلَّ قدمك ، فتلحق بـالقوم ، فلا جعلك الله منهم ، وألحقك بصالحي هذه الأمة ، ثم سكت . فقال عمـر : كم عمر الغلام ؟ فقيل : هو ابن إحدى عشرة سنة ، ثم سأل عنه ، فإذا هو من ولد الحسين بن عليّ رضي اللَّه عنهم ، فأثنى عليه ودعا له[1] .

نعم ، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه .

كمـا علَّمهم ﷺ القيام للكبير ، أبًا كان أو شيخًا ، أو معلمًا ، فقد كان ﷺ إذا دخـلت عـليه فاطمـة ابنته قام إليها فقبَّلها وأجلسها في مجلسه ، وكان إذا دخـل عـليها قـامت إليـه فقبلته وأجلسته في مجلسها[2] . ولما دنا سعد بن معـاذ رضي الله عنه إلى المسـجد قـال النـبي ﷺ للأنصـار : « **قومـوا إلى سـيدكم أو خيركم** »[3] .

(٨٧) ويؤدبهم ﷺ على ألاّ يغيظ بعضهم بعضًا وبخاصة الجار :

أيهـا المـربي ، لقد اهتم النبي ﷺ بولد الجار ؛ لأنه ربما تكون مخالطته لولدك أكثر من مخالطته لأي أحد ، فلذلك كانت الوصية عليه ، والاهتمام به .

ومن اهتمام النبي ﷺ بالجار قوله : « **إذا طبخ أحدكم قِدْرًا فليكثر مرقها ،**

---

(١) القصة أورد صدرها ابن عبد البر في التمهيد ج٢٣، ص ٢٠٤، والسندي في حاشيته ج ٨ ص ١٠، والزرقاني في شرحه ج٤، ص ٢٥٧، وقال : أولاهم ببدء الكلام أكبرهم ، فإذا سُمع منه تكلم الأصغر فيُسمع منه إن احتيج له ، فإنْ كان فيهم من له بيان ولتقديمه وجه فلا بأس بتقديمه ، وإن كان أصغر . ثم قال : قاله ابن عبد البر ، وأخرج بسنده . وذكر القصة .

(٢) الترمذي وحسنه ، كتاب المناقب ٣٨٠٧، والحاكم ج٣ ح٤٧٣٢، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وابن حبان في صحيحه ج ١٥ ص ٤٠٣ .

(٣) متفق عليه .

ثم ليناول جاره منها »[(١)] .

وهذا من يسر الدين ورحمته بالجيران ، ولأن في ذلك إدخالاً للسرور على الجار وعياله ، بل يحذر النبي ﷺ مَن يبيت شبعانًا وجاره جائع ، فيقول : « **ما آمن بي من بات شبعانًا وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم** »[(٢)] .

وقال : « **ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه** »[(٣)] .

وفي جملة الأمر ؛ فقد حذر ﷺ من إيذاء الجار ، فقال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، واستوصوا بالنساء خيرًا** »[(٤)] .

وبيَّن ﷺ منزلة الإحسان إلى الجار فقال : « **خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره** »[(٥)] .

قال الغزالي : « ويُمنع الصبي من أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والده ، أو بشيء من مطاعمه ، وملابسه ، أو لوحه ودواته ، بل يعود التواضع والإكرام لكل من عاشره ، والتلطف في الكلام معهم »[(٦)] .

(٨٨) ويحذرهم ﷺ من تهديد بعضهم البعض بالسلاح ولو مزاحًا :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه ، وإن كان أخاه لأبيه وأمه** »[(٧)] . فالملائكة تلعن من يفعل ذلك ولو كان مازحًا .

ولا شك أن في هذا النهي درءًا للمفاسد المحتملة والمتوقعة ، فإن المرء يذهب يمزح فيتدخل الشيطان فينقلب المزاح إلى الجد ، وتكون الكارثة ، أو

---

(١) (صحيح) انظر صحيح الجامع ح ٦٧٦ .
(٢) (صحيح) انظر صحيح الجامع ح ٥٥٠٥ عن أنس .
(٣) (صحيح) انظر صحيح الجامع ح ٥٣٨٢ عن ابن عباس .
(٤) البخاري ج ٥ ص ٢٢٤٠ عن أبي هريرة .
(٥) (صحيح) انظر صحيح الجامع ح ٣٢٧٠ عن ابن عمرو .
(٦) الإحياء ج ٣ .
(٧) مسلم ، كتاب البر والصلة ٤٧٤١ .

ربما مزح الإنسان فأصاب شيئًا خطأً ، وفي كلا الحالين شر وأذى ، وإيقاع من الشيطان للعداوة والبغضاء ، ومن هنا يُعرف قيمة وفائدة نهيه ﷺ عن ذلك .

(٨٩) ويمنعهم ﷺ من أن يروِّع بعضهم بعضًا ولو مزحًا :

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى ﷺ قال : حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ في مسير ، فنام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلى نبل معه فأخذها ، فلما استيقظ الرجل فزع فضحك القوم ، فقال ﷺ : « **ما يُضحككم ؟** » فقالوا : لا ، إلا أنّا أخذنا نبل هذا ففزع ، فقال : « **لا يحِل لمسلم أن يُرَوِّع مسلمًا** »(١) .

وعن يزيد بن سعيد عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يأخذ أحدكم متاع صاحبه لاعبًا ولا جادًا ، فإذا أخذ أحدكم عصا صاحبه فليردها عليه** »(٢).

إذا كانت هذه التوجيهات النبوية وجهت للكبار لئلا يروع بعضهم بعضًا ، فبالأولى والأحرى أن يجنب الأطفال أي ترويع ؛ لحرمته أولاً ، ولكي لا يشبوا جبناء ثانيًا .

فالنبي ﷺ يبني أسس القواعد العامة في نفوس المسلمين وسلوكهم لتكون منهجًا لهم ولسائر الأمة ؛ يتحدد بها موقفهم من الممنوع والجائز « **لا يحل لمسلم أن يروِّع أخاه** » ، فلا يخفي عنه ماله أو ولده ؛ ليتفرج على لوعته وحيرته ، ثم يقول له : كنت أمزح ، ولا يدخل عليه بيته من مكان غير مألوف فيرعبه ويرعب مَن بالبيت ويقول : كنت أمزح ، ولا يأتي مِن وراء ظهره ويُحدث صوتًا مرعبًا كصوت سيارة أو صوت كلب ، حتى إذا أفزعه وأرعبه ضحك

---

(١) صحيح . مسند أحمد ح ٢٢٩٥٩، وقال محققه : إسناده صحيح ، ورواه أبو داود ٣٠١/٤، وانظر صحيح الجامع ح٧٦٥٨.

(٢) (حسن) البخاري في الأدب المفرد ح ١٨٠ . انظر صحيح الجامع ح ٧٥٧٨ عن السائب بن يزيد ، والصحيحة ح ٩٢١، وقال : صحيح لغيره .

وقال : أنا أمزح ! أين نحن من تعاليم هذا الدين العظيم ؟!

(٩٠) ويخفف عنهم ﷺ مراعاة لطاقتهم العقلية المحدودة :

الطفل ينسى ويغفل، ولا يستطيع بعقله المتواضع أن يضبط الأمور كالكبار، وكان ﷺ يراعي هذا الجانب تمامًا ، وقد ظهر ذلك حينما كان ﷺ يكلف أنسًا رضي الله عنه بعمل؛ فإذا رأى منه تقصيرًا أو نسيانًا لم يعاقبه ، فإذا رأى من أهله مَن يريد معاقبته قال : « **دعُوه ، فلو قُدِّر لكان** » ؛ لأنه ﷺ يعلم أن للطفل طاقة عقلية محدودة ، فقد تقول لطفلك : لا تلعب مع الصبيان ، وحينما يراهم لا يعلق بذهنه ، ولا تستحضر ذاكرته نهي أبيه له ، كذلك فإن عقله لا يستجمع أن المخالفة عقوق ، وأنه منهي عن ذلك ، وكما قيل : طفلك ليس أنت . ولذلك كان النبي ﷺ يقول : « **دعوه ، فلو قُدِّر لكان** »[1]. بل إنك أخي المربي ستقر عينك ويهدأ خاطرك ، ويطمئن قلبك حينما ترى المربي القدوة محمدًا ﷺ وهو يترفق بالطفل ويغفر له زلته ؛ مراعاة لعقله المحدود .

قال أنس: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا ، فأرسلني يومًا لحاجةٍ ، فقلت : والله لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لِما أمرني به نبي الله ﷺ ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق ، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي ، قال : فنظرتُ إليه وهو يضحك ، فقال: « **يا أنيس ، أذهبتَ حيث أمرتك؟**» قلت : نعم ، أنا أذهب يا رسول الله[2] .

فانظر رحمني الله وإياك ، الرسول ﷺ أمرًا أنسًا ، وأنس خادمه، ثم يحلف أنس بأنه لن يذهب ، والنبي ﷺ يسمع ويرى ، فهو يعلم أن أنسًا طفل ويمينه يمين أطفال ، ويسكت ﷺ ... وينصرف أنس ... ويتابعه رسول الله ﷺ من بُعد ، حتى إذا اتجه أنس إلى الصبيان يلعبون في السوق ؛ لم يشعر إلا

---

(١) سبق تخريجه بالفقرة (٤٨) .

(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٠٥ .

ورسول اللَّه ﷺ قد قبض بقفاه من خلفه في رقة ورحمة ، ثم ! وهو يضحك ﷺ .. ثم داعبه بقوله : « يا أنيس » ولم يؤنبه ، ولم يحرجه أمام الصبيان ﷺ ، ولكنه الحلم والحكمة والرفق والرحمة ، فما كان من أنس إلا أن قال : أنا أذهب يا رسول الله، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

إن رسول اللَّه ﷺ عودنا أن يحل المشاكل بسهولة ورفق وبأقل الكلام والعمل ، لا يضخم الأمور ، ويستجلب الشرور ، ﷺ .

موقف رائع :

كذلك من المواقف اللطيفة الحصيفة التي لا تقع إلا من مثل نبينا ﷺ ، وذلك أنه قبيل غزوة بدر أرسل النبي ﷺ استخباراته من أصحابه ليستكشفوا أخبار العدو ، فقبضوا على غلامين كانا يستقيان لجيش مكة ، فسألوهما : لمن أنتما ؟ قالا : نحن سقاة قريش ، فظن الصحابة أنهما يكذبان وأنهما لأبي سفيان ، فضربوهما ضربًا موجعًا حتى قالا : نحن لأبي سفيان فتركوهما (كفوا عن ضربهما) وكان ﷺ يصلي حينها ، فلما فرغ من صلاته استنكر ما فعله أصحابه ، وقال لهم وهو الخبير : « **إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما ؟ صدقا واللَّه ، وإنهما لقريش** » . ثم بدأ ﷺ باستجوابهما على قدر ما يتحمل ويستوعب عقلهما رافعًا الروع والخوف عنهما ، وما لم يقدرا على الإجابة عليه سألهما سؤالاً غيره أسهل ، لكنه يوصل إلى المقصود الأول .

قال ﷺ لهما : « **كم القوم ؟** » قالا : كثير ، قال : « **ما عِدَّتهم ؟** » قالا : لا ندري ، (لأنهما يصعب عليهما تقدير العدد بالمئات إلى الآلاف ، فسألهما عن الآحاد والعشرات ، فهي يسهل على الصبي عَدُّها وتقديرها) ، فقال : « **كم ينحرون من الإبل كل يوم ؟** » قالا : يومًا تسعًا ، ويومًا عشرًا . فقال النبي ﷺ : « **القوم ما بين التسعمائة إلى الألف** » على أساس أن البعير

يكفي من تسعين إلى مائة فرد[1] . صلى عليك الله يا علم الهدى .

(٩١) وينزههم ﷺ عن التشبه بالإناث :

عن عبد الله بن يزيد رضي الله عنه قال : كنا عند عبد الله بن مسعود ، فجاء ابن له ، عليه قميص من حرير ، قال : مَن كساك هذا ؟ قال : أمي ، قال : فشقه ، وقال : قل لأمك تكسوك غير هذا[2] !

ولا شك أن ابن مسعود رضي الله عنه مزق القميص لأنه تعلم من رسول الله ﷺ أن الحرير للنساء وليس للرجال ، قال ﷺ : « **حُرِّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأُحل لإناثهم** »[3] . ولا فرق بين الكبير والصغير في حرمة لبس الحرير ؛ لأن النبي ﷺ حرمه على جنس الذكور ، إلا أنه لو لبسه الصغير فالإثم لا يلحقه وإنما يلحق الذي ألبسه . فالطفل مرفوع عنه القلم حتى يبلغ ويحتلم .

(٩٢) ويعوِّدهم ﷺ على الاخشيشان وقوة التحمل :

قال العلماء: « ولا يُعوِّد الأب ولده التنعم ، ولا يحبب إليه الزينة، وأسباب الرفاهية، فيُضيِّع عمره في طلبها فيهلك هلاك الأبد ».

عن أبي عثمان قال : كنا مع عتبة بن فرقد ، فكتب إليه عمر بأشياء يحدثه عن النبي ﷺ ، فكان فيما كتب إليه : أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يلبس**

---

(١) الرحيق المختوم ٢٣٣ . وأصل القصة في مسلم بلفظ : « فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا ، ووردت عليهم رَوَايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج ، فأخذوه ، فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه ؟ فيقول : ما لي علم بأبي سفيان . ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف ، فإذا قال ذلك ضربوه . فقال : نعم ، أنا أخبركم ، هذا أبو سفيان ، فإذا تركوه فسألوه قال : ما لي بأبي سفيان علم ، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف في الناس ، فإذا قال هذا ضربوه . ورسوله الله ﷺ قائم يصلي ، فلما رأى ذلك انصرف ، قال : « والذي نفسي بيده ! لتضربوه إذا صدقكم ، وتتركوه إذا كذبكم » . مسلم غزوة بدر – كتاب الجهاد والسير ، ح ١٧٧٩ .

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ١٤٤/٥، وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح .

(٣) الترمذي ، كتاب اللباس ١٧٤٢، وقال : حديث حسن صحيح .

الحرير في الدنيا إلا مَن ليس له في الآخرة منه شيء ، إلا هكذا ، وقال بإصبعيه السبابة والوسطى »[١].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اتَّزروا وارتَدُوا وانتعلوا ، وألقوا الخِفاف والسراويلات ، وألقوا الرُّكُب ، وانزوا نَزْوًا ، وعليكم بالمَعَدِّيَّة ، وارموا الأغراض ، وذروا التنعم وزيّ العجم ، وإياكم والحرير ، فإنَّ رسول اللَّه ﷺ قد نهى عنه ، وقال : « لا تلبسوا الحرير إلا ما كان هكذا » ، وأشار رسول اللَّه ﷺ بإصبعيه[٢].

وها هي فترة صِبا النبي ﷺ يُرى فيها القوة والصلابة والاخشيشان الذي أوصى به الشباب بعد بعثته ﷺ :

فعن جابر رضي الله عنه قال : لما بُنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة ، فقال العباس للنبي ﷺ : اجعل إزارك على رقبتك ، يقيك الحجارة ، فخَرَّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ، فقال : « أرني إزاري » فشدَّه عليه[٣] . فكان ينقل الحجارة على كتفه . وكان رسول اللَّه ﷺ إذ ذاك شابًا ، وقد رعى الغنم أيضًا ، قال : « ما بعث اللَّه نبيًّا إلا رعَى الغنم » . فقال أصحابه : وأنت ؟ قال : « نعم ، كنت أرعاها على قراريط[٤] لأهل مكة »[٥] .

وكان ﷺ يحث الشباب على الرماية وركوب الخيل ، لما في ذلك من

---

(١) (إسناده صحيح) قاله أحمد شاكر في تحقيق مسند أحمد ح ٢٤٣ .

(٢) (إسناده صحيح) مسند أحمد ح ٣٠١ تحقيق أحمد شاكر ، وقال : « الرُّكُب » بضمتين: موضع القدم من السرج جمع « رِكاب » ، يريد أن يَدَعوا الاستعانة بها على ركوب الخيل ، « وانزوا نزوا » أي ثبوا على الخيل وثبًا ، لِما في ذلك من القوة والنشاط، « وعليكم بالمعدية » يريد خشونة العيش واللباس ، تشبهًا بمَعَدٍّ بن عدنان جد العرب ، وكان أهل قشف وغلظ في المعاش ، ففي التنعم اللين والطراوة ثم يتبعها الضعف والذلة. وقال المباركفوري : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٣) البخاري ، كتاب الحج ١٤٧٩، وكتاب المناقب ٣٥٤٢ .

(٤) أي مقابل قراريط .

(٥) البخاري ٢١٠٢ ، والقيراط : جزء من الدرهم والدينار .

الرجولة والقوة ، والاستعداد للشدائد .

فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن النبي ﷺ مرَّ على نفر من « أسلم » ينتضلون (أي يتسابقون في رمي السهام) ، فقال لهم : « **ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا** »(١) .

وقال ﷺ : « **... ارموا واركبوا .. ومَن ترك الرمي بعد ما علمه رغبةً عنه**(٢) **فإنها نعمة كفرها** »(٣) .

وقال أيضًا ﷺ : « **لا سَبَقَ إلا في نصل أو حافر أو خف** »(٤).

يعني تكون المسابقات في الرماية وعلى الخيل والإبل . وقد قام هو بالمسابقة ﷺ ، قال أنس : سابق رسول الله ﷺ أعرابيًّا فسبقه ، فكأن أصحاب رسول الله ﷺ وجدوا في أنفسهم من ذلك ، فقيل له في ذلك ، فقال : « **حقٌ على اللَّه أن لا يرفع شيء في نفسه في الدنيا إلا وضعه الله** »(٥) . وفي هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن المسابقات لا ينبغي أن تقوم على العصبية .

وقد كان النبي ﷺ يتسابق مع أعرابي ، كما قال أنس رضي الله عنه: كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء(٦) لا تُسبق أو لا تكاد تُسبق ، فجاء أعرابي على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين ، حتى عرفه النبي ﷺ ، فقال : « **حقٌّ على اللَّه أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه** »(٧) .

فالصحابة رضوان اللَّه عليهم غضبوا وتأثروا لهزيمة ناقة رسول اللَّه ﷺ في

---

(١) البخاري ، كتاب الجهاد والسير ح ٢٦٨٤، وأحمد وابن ماجه .

(٢) استغناءً عنه .

(٣) (صحيح) الترمذي ، كتاب فضائل الجهاد ١٥٦١، وقال : هذا حديث صحيح ، والنسائي ، كتاب الخيل ٣٥٢٢، وأبو داود ، كتاب الجهاد ٢١٥٢، وابن ماجه وغيرهم . وانظر صحيح الجامع ح ٦١٤٢ .

(٤) صحيح سنن ابن ماجه ٢٧٨٧ .

(٥) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٠٥٣، والنسائي .

(٦) العضباء أي المشقوقة الأذن . لسان العرب باب (عضب) .

(٧) البخاري ج ٣ ، ص ١٠٥٣ .

السباق ، فبين لهم أن هذه أمور دنيوية ، وأي أمر من أمور الدنيا مهما ارتفع فلا بد يومًا أن يقع .

أقول أيها الإخوة : فلا داعي للتحيز والعصبية ؛ لأنَّ العصبية تؤدي إلى الاقتتال والفتنة ، والتباغض والجهالة ، كما حدث من عصبيات في سباق الخيل داحس والغبراء ومات بسببها خلق كثير ، وكما يحدث في التعصب لأندية الكرة ، وكم من الخلق ماتوا ، وغيرهم أصيبوا ، والبعض انتحروا بسبب العصبية للأندية الرياضية ، وكم من الوقت يضيع والأعمار تُهدر ، والشباب يفسد ، والأموال تُنفق ، والمصالح تُعطل ، والطاعات تُترك أو تؤجل ، والمعاصي تُرتكب ، كل ذلك بسبب التعصب الأعمى الذي يلقنه الآباء للأبناء، فيشبون على نفس عصبية أهليهم ، ولو علموا ما في فعلهم هذا من وعيد وتهديد ؛ حذَّر منه رسول اللَّه ﷺ فلعلهم يرجعون، قال ﷺ : « **ومن قاتل تحت راية عِمِّيَّة يغضب لعصبية وينصر عصبية ، يدعو إلى عصبية ، فقُتِل فقتلته جاهلية** »[(١)].

ومعروف ميتة الجاهلية على أي شيء ؟!

وعن موسى بن عقبة بن نافع عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ سابق بين الخيل التي قد أُضمرت ، فأرسلها من الحفياء (مكان) وكان أمدُها ثنية الوداع ، فقلت لموسى : فكم كان بين ذلك ؟ قال : ستة أميال أو سبعة ، وسابق بين الخيل التي لم تضمر ، فأرسلها من ثنية الوداع ، وكان أمدُها مسجد بني زريق ، قلت : فكم بين ذلك ؟ قال : جبل أو نحوه ، وكان ابن عمر ممن سابق فيها[(٢)] ، وتضمير الخيل هو التقليل من علفها ليخف وزنها .

وأيضًا من تعويد النبي ﷺ المسلمين على الاخشيشان الذي بدأ هو فيه بنفسه وتبعه الكثيرون من صالحي هذه الأمة ؛ ما رواه عبد الله بن بريدة رضي الله عنه أن

---

(١) مسلم ج ٣ ص ١٤٧٨، والبيهقي وغيره .

(٢) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٠٥٣ . والمقصود بأمدها : المسافة التي جرى فيها السباق .

رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رحل إلى فُضالة بن عبيد رضي الله عنه وهو بمصر ، فقدم عليه وهو يمد ناقة له ، فقال : يا فضالة ، إني لم آتك زائرًا ، إنما أتيتك لحديث بلغني عن رسول الله ﷺ ، رجوتُ أن يكون عندك منه علم ، فرآه شعثًا (غير ممشط شعره) ، فقال : ما لي أراك شعثًا وأنت أمير البلد ؟ قال فضالة : إن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن كثير من الإرفاه (الرفاهية والتنعم) ، ورآه حافيًا فقال : ما لي أراك حافيًا ؟ قال : إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نحتفي أحيانًا[1] .

وعن عبد الله بن مغفَّل المُزَني رضي الله عنه « أن النبي ﷺ نهى عن التَّرجُّل (تمشيط الشعر) إلا غِبًّا (يعني حينًا بعد حين) »[2] .

وهذا كله ليس متعارضًا مع حُبِّ الرجل منا أن يرى ثوبه حسنًا ونعله حسنًا ؛ وليس متعارضًا مع أمر النبي ﷺ لمن كان له شعر بأن يكرمه ويدهنه ؛ وليس متعارضًا كذلك مع قول أحد أصحابه له : إني لَيعجبني أن يكون ثوبي غسيلاً ورأسي دهينًا وشراك نعلي جديدًا ، فقال له ﷺ : « **ذاك الجمال ، إن الله جميل يحب الجمال** »[3] .

وإنما يريد النبي ﷺ مع نظافة المسلم وجماله ؛ ألاَّ يكون ذلك شغله الشاغل ، وهدفه العاجل والآجل ، وإنما المسلم يدرب نفسه على هذا وذاك ويستعد لهذا وذاك ، فإن حوصر كان رجلاً ، وإن أحيط به كان بطلاً .

حتى اللحم ؛ ما كان رسول الله ﷺ يجده في كل الأوقات ليأكله ، وفي نفس الوقت لم يحرص على إيجاده وتوفيره ، وقد أُتِيَ يومًا بلحم فرُفِعَ إليه

---

(١) صحيح سنن أبي داود ، كتاب الترجل ٣٥٠٦، وأحمد ٢٣٤٢ . وانظر السلسلة الصحيحة ح٥٠٢ .
(٢) الترمذي ، كتاب اللباس ١٦٧٨، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن حبان في صحيحه . وانظر صحيح سنن أبي داود ح ٣٥٠٥ .
(٣) مسلم ١٣١ .

الذراع وكانت تعجبه[١] .

وللعدل والإنصاف ؛ نقول : إن رسولنا الكريم ﷺ إذا كان يحث الأمة على شيء من الاخشيشان ، وينهاهم عن كثير من الإسراف والإرفاه (الترفه الزائد) ؛ فإنه قد بدأ بنفسه كما رأينا ، بل وبأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين .

فعن أبي الورد ، عن ابن أعبد قال : قال لي عليٌّ ﷺ : ألا أحدِّثك عني وعن فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ ، وكانت من أحَب أهله إليه ؟ إنها جرَّت بالرحَى (لطحن الحب) حتى أثَّر في يدها ، واستقت بالقربة حتى أثَّر في نحرها ، وكنست البيت حتى اغبرَّت ثيابها ، فأتى النبي ﷺ خدم ، فقلتُ : لو أتيتِ أباك فسألتيه خادمًا ؟ فأتته فوجدت عنده حُداثًا (ناس) فرجَعَت ، فأتاها من الغد ﷺ ، فقال : « **ما كان حاجتك ؟** » فسكتت ، فقلتُ : أنا أحدثك يا رسول الله ، جرَّت فاطمة بالرحى حتى أثرت في يدها ، وحملت بالقربة حتى أثَّرت في نحرها (رقبتها) ، فلما جاءك الخدم أمرتُها أن تأتيك فتستخدمها (تعطيها) خادمًا يقيها حَرَّ (مشقة) ما هي فيه . فقال ﷺ : « **اتقي اللّه يا فاطمة ، وأدِّي فريضة ربك ، واعملي عمل أهلك ، فإذا أخذت مضجعك فسبِّحي ثلاثًا وثلاثين ، واحمدي ثلاثًا وثلاثين ، وكبِّري أربعًا وثلاثين ، فتلك مائة خيرٌ لك من خادم** » . قالت : رضيتُ عن الله عز وجل ، وعن رسوله ﷺ ، قال عليّ : ولم يُخْدِمْها[٢] أي : لم يعطها خادمًا .

والمفيد هنا أن النبي ﷺ رغم حبه الشديد لابنته فاطمة لم تأخذه العاطفة المسيطرة التي تدفعه إلى مجاملتها حينما سمع من علي ﷺ عن تأثير الرحى في يدها ، والقربة في نحرها ، بل ربما تفطَّر قلبه ﷺ من أجلها، لكنه في نفس

---

(١) مسلم ، كتاب الإيمان ح ٢٨٧ .

(٢) رواه البخاري ج ٣ ، ص ١٣٥٨، ومسلم ج ٤ ، ص ٢٠٩١ ، وأبو داود ، واللفظ له .

الوقت يربطها بربها وخالقها، ويعلمها ما ينفعها في دينها ودنياها .

امرأة أعرابية تساوي رجالاً :

مما يُروَى في كتب التاريخ والأدب أن الفضل أو المفضل بن زيد رأى مرة ابن امرأة أعرابية فأُعجب به ، فسألها عنه فقالت : إذا أتم خمس سنوات أسلمته للمؤدب (الأستاذ) فحفظ القرآن وتلاه ، وعلَّمه الشعر ، فرواه ، ورُغِّب في مفاخر قومه ، ولُقِّن مآثر (فضائل) آبائه وأجداده ، فلما بلغ الحلُم ؛ حملته على أعناق الخيل فتمرَّس وتفرس (صار فارسًا) ولبس السلاح ومشى بين بيوت الحي وأصغى إلى صوت الصارخ (المستغيث) ليغيثه وينقذه[١] .

(٩٣) ويوصي بالبنات ﷺ ويبين منزلتهن في الإسلام :

عن عائشة رضي اللّه عنها قالت : ما رأيت أحدًا أشبه كلامًا وحديثًا برسول اللَّه ﷺ من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها وقبلها ورحب بها وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه ، وكانت هي إذا دخل عليها قامت إليه فقبلته وأخذت بيده[٢] .

وعنها رضي اللّه عنها قالت : أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشيَ النبي ﷺ ، فقال : « **مرحبًا بابنتي** » . ثم أجلسها عن يمينه أو شماله[٣] .

وعن ابن عباس رضي اللّه عنها قال : كان رسول اللّه ﷺ إذا قدم من سفر قبَّل ابنته فاطمة[٤] .

وقال ﷺ : « **من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان**

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله ناصح علوان ١٦١/١ .

(٢) صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٠٣ .

(٣) السلسلة الصحيحة ح ٢٩٤٨، وهو في صحيح البخاري كتاب المغازي .

(٤) رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات ، وفي بعضهم ضعف لا يضر . قاله الهيثمي في مجمع الزائد ج ٨ ص ٤٢ .

فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة »[1] .

وقد رأينا جابر بن عبد الله رضي الله عنه وهو الشاب الأعزب الشهم يضحِّي بشهوته ويترك الزواج من شابة بِكْر مثله ، لما قُتِل أبوه رضي الله عنه بأُحُد وترك خلفه تسع بنات ؛ ثم يتزوج بامرأة ثيب لتقوم على رعاية أَخَوَاته ، فأثنى النبي ﷺ على صنيعه وحيَّاه وقال له : « **بارك الله لك** »[2] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً كان عنده بنات فتمنى موتهن ، فغضب ابن عمر فقال : أنت ترزقهن[3] ؟

(٩٤) ويُلحق ﷺ الإثم بمن يضيِّع حقهم في النفقة والتعليم :

قال ﷺ : « **كفى بالمرء إثمًا أن يُضيِّع مَن يقوت** »[4] .

والتضييع في هذا الحديث على إطلاقه وليس تضييعًا دون تضييع ، فمن ضيع حقهم في النفقة فقد ضيعهم ، ومن ضيع حقهم في التربية فقد ضيعهم ، ومن ضيع حق من يعول في التعليم فقد ضيعهم ، وكذلك في الحنان والمودة وفي العدل والرحمة ، وهكذا .

وقال ﷺ : « **كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته** »[5]. والمقصود بمن ؛ يملك أهله وعياله .

---

(١) الترمذي ، كتاب البر والصلة ١٨٣٩، وأبو داود ، كتاب الأدب ٤٤٨١، وفيه : « من عال ثلاث بنات فأدَّبهن وزوَّجهن وأحسن إليهن فله الجنة » . وابن ماجه، كتاب الأدب ٣٦٥٩ ، وفيه : « من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جِدَته (ماله) كن له حجابًا من النار يوم القيامة » . وانظر صحيح ابن حبان ج٢، ح ٤٤٦. وانظر صحيح الأدب المفرد للألباني ح ٥٦، والسلسلة الصحيحة ٢٩٤ .

(٢) البخاري ، ج ٥ ، ح ٥٠٥٢، ومسلم ، ج ٢، ح ٧١٥، والبيهقي ج٧، ح ١٣٢٤٩، وابن حبان ج١٦، ح ٧١٣٨ .

(٣) الأدب المفرد للبخاري ج ١ . وضعفه الألباني في ضعيف الأدب المفرد ج ١ ص ١٩.

(٤) أبو داود ح١٤٤٢، وابن حبان في صحيحه ج١٠، ح ٤٢٤٠. وانظر صحيح الجامع ح ٤٤٨١ (حسن) .

(٥) مسلم ، كتاب الزكاة ١٦٦٢ .

بل إن الإسلام الحنيف جعل السعي على الأبناء عملاً في سبيل الله ؛ فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : مر على النبي ﷺ رجل ، فرأى أصحابه من جَلَدِه ونشاطه ما أعجبهم ، فقالوا : يا رسول الله ، لو كان هذا في سبيل الله ؟ فقال ﷺ : « **إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا فهو سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياءً أو مفاخرةً فهو سبيل الشيطان** »(١) . فانظر إلى ترغيب الإسلام للناس في فعل الخير .

فلا يجوز التقتير على الأولاد أو حبس النفقة والقوت عنهم أو إهمال السعي عليهم ؛ لأن الإنفاق عليهم تكليف من اللطيف الخبير ، قال عز وجل : ﴿ **وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ [البقرة : ٢٣٢] .

وعن وهب بن جابر رضي الله عنه قال : إن مولًى لعبد الله بن عمرو قال له : إني أريد أن أقيم هذا الشهر هاهنا ببيت المقدس ، فقال له : تركتَ لأهلك ما يقوتهم هذا الشهر ؟ قال : لا ، قال : فارجع لأهلك فاترك لهم ما يقوتهم ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **كفى بالمرء إثمًا أن يُضَيِّع مَن يقوت** »(٢) .

(٩٥) ويحذِّرهم ﷺ من تحقير الناس والسخرية منهم :

عن عائشة قالت : قلت للنبي ﷺ : حسبك من صفية أنها كذا وكذا ، قال مسدد الراوي : تعني أنها قصيرة ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **لقد قلتِ كلمة لو مُزِجت بماء البحر لمزجته** »(٣) يعني غيَّرت لون وطعم ماء البحر ، لأنها غيبة ؛ لأن عائشة حقَّرت من قِصَر صفية. وهنا دفاع عظيم للشريعة المطهرة عن

---

(١) صحيح الجامع ح ١٤٢٨ .

(٢) سبق تخريجه بنفس الفقرة ، ويشهد له الحديث الصحيح السابق .

(٣) (صحيح) أحمد ، كتاب الأدب ٤٢٣٢ ، والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ ، ح ٤٢٨٦، وقال : رواه الترمذي وأبو داود والبيهقي ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وانظر صحيح الجامع ح ٥١٤٠ .

أعراض المسلمين.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **اللهم احفظني بالإسلام قائمًا ، واحفظني بالإسلام قاعدًا ، واحفظني بالإسلام راقدًا ، ولا تشمت بي عدوًّا ولا حاسدًا** »(١) .

والله تعالى يقول : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ** ﴾ [سورة الحجرات : ١١] .

(٩٦) ويراعي شعورهم ﷺ في المناسبات ﷺ :

عن عائشة أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام مِنَى تغنيان وتضربان بدُفَّين ، ورسول الله ﷺ مُسجًّى بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف رسول الله ﷺ عن وجهه ، وقال : « **دعهما يا أبا بكر ، فإنها أيام عيد** » . وقالت : رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون وأنا جارية ، فاقدروا قدر الجارية العَرِبة (أي المتدللة) الحديثة السن(٢) .

(٩٧) وينهى ﷺ عن قتل صبيان الكافرين في الحروب :

عن عبد الله رضي الله عنه أن امرأة وُجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة ، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان(٣) .

وقال ابن عمر رضي الله عنه أيضًا : نهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان(٤) .

وها هم أصحاب النبي ﷺ يسيرون على هذا الهدي العفيف الكريم في معاملة الصبيان في الحروب ، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه ندب الناس مع سلمة بن

---

(١) (حديث حسن) ، انظر صحيح الجامع ح ١٢٦٠ .
(٢) صحيح مسلم ج ٦ ، ح ٨٩٢ ، ص ٦٠٨ .
(٣) البخاري ٣٠١٤ .
(٤) صحيح الجامع ح ٦٩٧٢ .

قيس الأشجعي بالحرة إلى بعض أهل فارس ، وقال: انطلقوا باسم اللَّه وفي سبيل اللَّه تقاتلون من كفر باللَّه ، لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا امرأة ولا صبيًا ولا شيخًا هَرِمًا(١) .

ألا ترون أيها المسلمون أن عمر رضي الله عنه استجاب لتوجيه الرسول الكريم ﷺ كما أخبرنا بريدة عن أبيه قال : كان رسو ل اللّه ﷺ إذا أمّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى اللّه ومن معه من المسلمين خيرًا ، ثم قال : « **اغزوا باسم اللَّه في سبيل اللَّه، قاتلوا من كفر باللَّه ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدًا ...** »(٢) .

إنها الأسوة الحسنة والإقتداء العظيم ، اللهم اهدنا بهداهم ، واحشرنا معهم يا ذا الجلال والإكرام .

* * *

(١) كتاب السنن لأبي عثمان الخراساني ج ٢ ص ٢١٦ .

(٢) مسلم ج ٣ ، ص ١٣٥٧ ، والبخاري ج ٥٤٩/١ .

الفصل الرابع
الصبي من سن ١٥ إلى سن ١٨
وفيه ٢٧ وقفة

(٩٨) ويحثهم ﷺ على الاستفادة من وقت البكور :

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من صلى الغداة (الفجر) في جماعة ، ثم قعد يذكر اللّٰه حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين ، كانت له كأجر حجة وعمرة** » . قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « **تامة تامة** »(١) .

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس(٢) .

وعن جابر بن عبد اللَّه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **اللهم بارك لأمتي في بكورها** »(٣). فالاستيقاظ المبكر وعدم النوم صباحًا، سبب في زيادة الرزق ، وقد رأى ابن عباس ابنًا له نائمًا نومة الصبح فقال له : « قم ، أتنام في الساعة التي تُقسَّم فيها الأرزاق ؟ »(٤) .

(٩٩) ويحل لهم ﷺ مشكلة الفراغ :

وذلك بحثهم على استغلال الوقت فيما يفيد كتعلم الرماية ، قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : مر رسول اللّٰه ﷺ على نفر من أسلَم ينتضلون (يتسابقون في رمي السهام) ، فقال لهم : « **ارموا يا بَنِي إسماعيل ، فإن أباكم كان راميًا** »(٥) .

وكذلك بمسابقات الجري وركوب الخيل والسباحة ، وكلها رياضات تُعلم الشجاعة والقوة والجرأة وتطرد الخوف والانطواء ، وتجعل الغلام المسلم جاهزًا

---

(١) أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب . وقال الهيثمي ١٠٤/١٠ : حسن رواه الطبراني وإسناده جيد .

(٢) مسلم ج ١ ص ٤٦٤ .

(٣) صحيح أبي داود رقم ٢٢٧٠، وصحيح ابن حبان ج١١، ص ٦٢، والترمذي ، وحسَّنه .

(٤) زاد المعاد لابن القيم ١٦٩/٣ .

(٥) البخاري ، كتاب الجهاد والسير ٢٦٨٤، وأحمد وابن ماجه .

دائمًا لمنازلة الأعداء والقتال في سبيل الله ، وقد سبق الكلام أن النبي ﷺ كان يصُفُّ الشباب ليتسابقوا في الجري .

وعن ملء الفراغ عباديًا أرشد النبي ﷺ ابن عمر إلى قيام الليل ، وقد سبق بيان ذلك .

كذلك يدلُّهم ﷺ على أشياء هي من اللهو المباح الذي يتلهّى به المسلم ويروّح عن نفسه مستفيدًا من ذلك فيما ينفعه .

عن عبد الرحمن بن حسين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **كل شيء ليس من ذكر الله عز وجل فهو لهو ، إلا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليم السباحة** »[1]. والمشي بين الغرضين يُقصد به مسابقات الرمي بين الأهداف .

وعن أبي أمامة بن سهل رضي الله عنه قال : كتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح أن علِّموا غلمانكم العوم ، ومقاتلتكم الرمي[2] .

والذي ينبغي التنبيه عليه هنا هو أن تُوجه النية في ملأ هذا الفراغ بالمباحات واللهو المباح ؛ بأن يكون المقصود من ذلك هو الترويح عن النفس لتجنيبها الملل لتعاود نشاطها لفعل الطاعات ، وإنجاز المهمات والتقوِّي على طاعة الله سبحانه ، وبهذا يؤجر الإنسان على فعل هذه المباحات ، بل وتنقلب العادات حينئذٍ إلى عبادات . ولكن الأدهى والأمرّ أن أناسًا لا هم حولوا العادات إلى طاعات، ولا تركوها على حالها عادات ، بل قلبوا المباحات والعادات إلى عصبيات وجاهليات ، وقطعوا في ذلك الأوقات ، حتى صارت حياتهم ضربًا من اللهو الباطل واللعب الفاشل ، الذي لا يقره دين ولا يرضاه عاقل ، وكل ذلك على حساب الجادة والجدية ، ونسوا أن الدنيا كلها إلى

---

(١) الترغيب والترغيب للمنذري ج ٢ ، ح ٢٠١٤، وقال : رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد. وانظر السلسلة الصحيحة ح ٤٤٣ .

(٢) قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح . مسند أحمد ح ٣٢٣ .

زوال ، ولـن يبقى إلا العمل الصالح ، ومن أشد ما ابتليت به الأمة تعصب كثير مـن أبـنائها حول فِرق الكرة ؛ ففوق مشاهدة المباريات ومتابعتها في الإذاعات ، تُقـرأ جميع الصحف والمجلات وتُعقد المحاورات والمجادلات والمراهنات في الشـوارع والطرقات ووسائل المواصلات ، بل في دوائر العمل ، فياللّه لو فرغوا تـلك القراءات وحولوها إلى كتب الفقه والعبادات ، فكم يُحصِّلون من العلم في أقـل الأوقـات ؟! لكن الانتماءات العصبية تُعمي وتُصم ، ولم يعلموا أن رسول الـلّه ﷺ حقَّر هذه الانتماءات العصبية فقال: « **حقٌّ على اللّه ألا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه** ». البخاري . يعني يأتي عليه وقت يذله اللّه ويسفله .

وحـذر ﷺ المتعصـبين بقولـه : « **... يغضـب لعصـبية وينصـر عصبية ، ويدعـو إلى عصبية فقُتل فقِتلته جاهلية ..** » مسلم . فماذا نعلّم الأجيال ، وإلى أين نحن بهم ذاهبون ؟ فاللهم سلم سلم !!

أهمية مراعاة جوانب نبوغ الطفل وميوله واستعداداته :

إن الواجـب الأساسـي الـذي لا يجـوز الـتفريط فيه هو تعليم الأولاد أولاً فـروض العيـن الـتي لا يُعـذَر أحـد بـتركها ، وتلك هي أصول الإيمان وأركان الإسـلام ، وواجباته ، كالطهارة والصلاة والصيام والحج وبر الوالدين ونحوها ، فـإذا ما عُلِّم الصبي ذلك وربِّي عليه ، نظر وليه في تصرفاته ورغباته ، فإن وجده مقـبلاً عـلى عـلوم الإسـلام راغـبًا في حفظها والتضلع منها ، فعليه أن يهيئ له الفرصـة بالمعـلم الكـفء والكـتاب والكفايـة لكـل حاجاته ليفرغه لهذا الغرض العظيم ، حتى يصبح من علماء الإسلام ودعاة الحق .

وإن وجده مقبلاً على غير ذلك من الصناعات والمهن الأخرى المباحة غير الدنيـئة ، وجَّهـه إلى مـا يـراه راغـبًا فيـه وأعانـه بسـبلها الـتي يـتمكن بها من تحصـيلها ، ولا ينبغي أن يجبره على علم لا رغبة له فيه ولا يرى عنده استعدادًا له ، فإن ذلك يعوقه ويحرمه من سلوك الطريق الذي خُلِق مهيأً له .

وجوب تهيئة ما يوافق الطفل من الأعمال :

قال ابن القيم رحمه الله : « ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها، فيعلم أنه مخلوق له ، فلا يحمله على غيره ، ما كان مأذونًا فيه شرعًا ، فإنه إن حُمل على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه ، وفاته ما هو مهيأ له ، فإذا رآه حسن الفهم صحيح الإدراك ، جيد الحفظ واعيًا ، فهذه من علامات قبوله وتهيُّئه للعلم ، لينقُشه في لوح قلبه ، ما دام خاليًا ، فإنه يتمكن فيه ويستقر ويزكو معه، وإن رآه بخلاف ذلك من كل وجه ، وهو مستعد للفروسية وأسبابها ، من الركوب والرمي واللعب بالرمح ، وأنه لا نفاذ له في العلم ولم يُخلق له ، مكّنه من أسباب الفروسية والتمرُّن عليها ، فإنها أنفع له وللمسلمين ، وإن رآه بخلاف ذلك وأنه لم يُخلق لذلك ، ورأى عينه مفتوحة إلى صنعة من الصنائع مستعدًا لها قابلاً لها ، وهي صناعة مباحة نافعة للناس فليمكنه منها .

هذا كله بعد تعليمه ما يحتاج إليه في دينه، فإن ذلك ميسرٌ على كل واحد ، لتقوم حجة الله على العبد ، فإن له على عباده الحجة البالغة ، كما له عليهم النعمة السابغة »[1] .

(١٠٠) ويعلمهم ﷺ حب النبي وآله وأصحابه وتلاوة القرآن :

إن الفراغ الذي تحياه البشرية الآن ما هو إلا أثر من آثار فقدان القدوة الربانية الصحيحة التي على رأسها محمد ﷺ ، ولكي تعود البشرية إلى رشدها وتخرج من غيِّها ، فلا بد أن يلقن المربون أبناءهم حب النبي ﷺ ، ويعرفوهم عليه ويربطوهم بشخصه الكريم ، وهذا الذي فعله أصحاب النبي مع أبنائهم ، فنشأوا على حب الرسول ﷺ والتسابق على خدمته ، كأنس وابن عباس وغيرهم.

---

(١) « تحفة المودود » ص ١٩٦ .

وقد كان ﷺ يربط قلوب أصحابه وأبنائهم رضوان الله عليهم بحبه ويعلمهم أن حبه من الإيمان . قال ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين** »[١] .

كما يربطهم بحب آل بيته ، فيقول ﷺ عن الحسن والحسين ابني عليّ رضي الله عنهم : « **اللهم إني أحبهما فأحببهما ، ومن أحبهما فقد أحبني** »[٢] . ويقول ﷺ عن أبيهما عليّ رضي الله عنه: « **وأبوهما خير منهما** »[٣] . رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

وأما تعليمهم القرآن ؛ فعن ابن عباس قال : وضع رسول الله ﷺ يده على كتفي أو على منكبي – شك سعيد – ثم قال : « **اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل** »[٤] .

وقال ابن عباس أيضًا: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم . وقال أيضًا لسعيد بن جبير : جمعت المحكم في عهد رسول الله ﷺ فسأله وما المحكم ؟ قال : المفصل[٥] .

قال ابن كثير رحمه الله : « وعلى كل تقدير ففيه دلالة على جواز تعليمهم القرآن في الصبا ، بل قد يكون مستحبًا أو واجبًا ، لأن الصبي إذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف ما يُصلي به ، وحفظه في الصغر أولى من حفظه كبيرًا ، وأشد عُلوقًا بخاطره وأرسخ وأثبت ، كما هو المعهود في حال الناس . وقد استحب بعض السلف أن يُترَك الصبي في ابتداء عمره قليلاً للعب ، ثم تُوفَّر همته على

---

(١) البخاري، ج١ ، ح ١٥ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ٦٣، والنسائي وابن ماجه وابن حبان وأبو يعلى .

(٢) البخاري ، ج ٥ ، ح ٣٥٣٧، والترمذي ج ٥ ، ح ٣٧٨٢ ، وقال : حسن صحيح ، والبزار ح ٥ ، ح ١٨٢، وهذا لفظه .

(٣) سبق تخريجه بالفقرة (٣٤) .

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩، ص ٢٧٦ : قلت : هو في الصحيح غير قوله : « وعلمه التأويل ». رواه أحمد والطبراني ، وله عند البزار والطبراني : « اللهم علمه تأويل القرآن » .

(٥) المصدر السابق .

القـراءة لـئلا يُـلزم أولاً بالقـراءة فيملَّها ويعدل عنها إلى اللعب ، وكره بعضهم تعليمه القرآن ، وهو لا يعقل ما يُقال له ، ولكن يُترك ، حتى إذا عقل وميَّز عُلِّم قليلاً قليلاً بحسب همته ونهمته وحفظه وجوْدة ذهنه ، واستحب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يُلقَّن خمس آيات » . رويناه عنه بسند جيد[1] .

(١٠١) ويبين ﷺ لهم منزلته في قلوب المؤمنين :

يقـول ﷺ : « **لا يؤمـن أحدكـم حتى أكـون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين** »[2] .

وفي رواية : فقال عمر : يا رسول الله ، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا نفسي ، فقـال النـبي ﷺ : « **لا والـذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك** » ، فقال له عمر : فإنه الآن واللَّه لأنت أحب إليَّ من نفسي ، فقال النبي ﷺ : « **الآن يا عمر** »[3] . يعني الآن تم إيمانك .

ولما كانت هذه منزلته ﷺ فكان لزامًا أن يكون مصاب المسلمين فيه عزاءً في أي مصيبة أخرى .

عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : « **يا أيها الناس ، أيمـا أحـد مـن المؤمـنين أصـيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصـيبه بغيـري ، فـإن أحـدًا مـن أمـتي لـن يصـاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي** »[4] .

وعـن ابـن عـباس قـال : قـال ﷺ : « **إذا أصـاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي ، فإنها من أعظم المصائب** »[5] .

---

(١) ابن كثير ، المقدمة ، باب تعليم الصبيان القرآن ص ١٠١ ، ط : دار ابن حزم .

(٢) سبق تخريجه بالفقرة السابقة .

(٣) البخاري ج ٦ ، ح ٦٢٥٧، والحاكم ج ٣ ، ح ٥٩٢٢ .

(٤) صحيح . انظر صحيح الجامع ح ٧٨٧٩ .

(٥) صحيح . انظر صحيح الجامع ح ٣٤٧ .

(١٠٢) ويكون ﷺ قدوتهم في حُسن العِشْرة :

قال أنس رضي الله عنه : كان رسول الله من أحسن الناس خُلقًا ، فأرسلني يومًا لحاجة ، فقلت : والله لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لِمَا أمرني به نبي الله ﷺ ، فخرجتُ حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق ، فإذا برسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي ، فنظرت إليه ، وهو يضحك ، فقال: « **يا أنيس ، ذهبت حيث أمرتك ؟** » قلت : نعم أنا أذهب يا رسول الله ، قال أنس : والله لقد خدمته تسع سنين ، ما علمته قال لشيء صنعته لِمَ فعلتَ كذا أو كذا ؟ أو لشيء تركته : هلاَّ فعلت كذا وكذا[١] ؟

(١٠٣) ويشجع فيهم ﷺ الاعتماد على النفس والأكل من عمل أيديهم ، ويجنبهم البطالة والكسل :

قال ابن القيم رحمه الله : ينبغي لولي الطفل أن يجنبه الكسل والبطالة والدَّعَة والراحة ، بل يأخُذُه بأضدادِها ، ولا يريحُه إلا بما يَجِم نفسه وبدنه للشغل ، فإن الكسل والبطالة عواقب سوءٍ ، ومغَبَّةُ نَدَمٍ ، وللجدّ والتَّعَب عواقبُ حميدة ، إما في الدنيا ، وإما في العقبى ، وإما فيهما ، فأرْوَحُ الناس أتعبُ الناس ، وأتعبُ الناس أرْوَحُ الناس ، فالسيادة في الدنيا والسعادة في العقبى لا يوصل إليها إلا على جسر من التعب .

قال يحيى بن أبي كثير : لا يُنَالُ العلمُ براحة الجسم .

ويعوِّدُه الانتباه آخر الليل ، فإنه وقت قسم الغَنَائم وتفريق الجوائز ، فمستقل ومستكثرٌ ، ومحروم ؛ فمتى اعتاد ذلك صغيرًا سهل عليه كبيرًا[٢] .

في هذا الشأن نرى رسول الله ﷺ يهتم بتنمية مواهب الطفل الاجتماعية والاقتصادية ، ويبني فيه جسور الثقة بالنفس ، والاعتماد عليها ، ليتعامل مع

---

(١) مسلم ، ٤٢٧٢ .

(٢) تحفة المودود ص ١٩٥ .

كثير من عناصر المجتمع ، ويتفاعل مع شخصياته ، فينتفع بالتجربة ، وتزداد فيه الثقة ، فتصبح حياته جادة ، ورجولته ممتدة ، فلا تعرف الميوعة إليه سبيلاً ، وتكون الرجولة عليه دليلاً .

عن عمرو بن حريث رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بعبد الله بن جعفر وهو يبيع بيع الغلمان أو الصبيان ، قال : « **اللهم بارك له في بيعه** » . أو قال : « **في صفقته** »(١) .

وهذا والله لمن أعظم المواقف للنبي الكريم ﷺ ، فعبد الله بن جعفر ابنُ ابنِ عم النبي ﷺ ، وأبوه قائد المسلمين وشهيدهم في غزوة مؤتة ، وهو الطيار الذي يطير بجناحين في الجنة ، ثم مع هذا يرى النبي ﷺ ابنه في السوق يبيع الجلود المدبوغة والقِرَب وغيرها ؛ فلم يخجل النبي ﷺ من ذلك ، وهم أشرف الناس عند الله وعند الناس ، ولم يمنعه ﷺ من البيع بل دعا له بالبركة والمزيد ، ولم يجعل كذلك خزانة بيت المال تحت تصرفه ، بل تركه يعتمد على نفسه ، كيف لا وهو القائل ﷺ : « **اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا** »(٢) . يعني : رزق يوم بيوم .

فليتعظ أئمة العالم من إمام العالمين !!

إذاً فالسعي على الرزق ، والأكل من عمل اليد ، والمهنة والحرفة عفة تعف المسلم عن الأخذ والسؤال .

وفي باب الكسب والتجارة ومحبتها والحث على طلب الرزق ما رواه ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « **إن الله يحب المؤمن المحترف** »(٣). أي صاحب الحرفة والمهنة .

---

(١) سبق تخريجه بالفقرة (٥٨) (حسن) .

(٢) مسلم ، كتاب الزهد ٥٢٧٢ .

(٣) مجمع الزوائد ٦٢/٤، والطبراني ج٨، ح٨٩٣٤، وفيه عاصم بن عبيد الله ، وهو ضعيف . وانظر السلسلة الضعيفة ١٣٠١ .

وعن أم سلمة قالت : لقد خرج أبو بكر على عهد رسول الله ﷺ تاجرًا إلى بُصرى ... [١].

وقد كان نوح عليه الصلاة والسلام يصنع الفُلك (السفن) بأمر ربه عز وجل ، وكان داود عليه الصلاة والسلام يجيد الحدادة وصناعة الدروع الحربية بتعليم الله عز وجل له ، وكان المصطفى ﷺ يجيد التجارة ، ومن الواجب على المسلمين أن يتقنوا الحرف والصناعات ، فليس عارًا أن يجيد الإنسان صنعة من الصناعات أو حرفة من الحِرَف ، كما قيل :

وليس على عَبْدٍ تقي نقيصةٌ
إذا صحَّحَ التقوى وإن حاكَ أو حَجَمْ

قال ابن القيم رحمه الله : « ويجنبه الكسل والبطالة والدعة والراحة ، بل يأخذه بأضدادها ، ولا يريحه إلا بما يجم نفسه وبدنه للشغل ، فإن للكسل والبطالة عواقب سوء ومغبة ندم، وللجد والتعب عواقب حميدة ، إما في الدنيا ، وإما في العُقْبَى ، وإما فيهما ، فأروح الناس أتعب الناس ، وأتعب الناس أروح الناس ، فالسيادة في الدنيا ، والسعادة في العُقبى، لا يوصل إليها إلا على جسر من التعب» [٢].

قال الدكتور عبد الله باقادري : وإن الذي يتأمل حال شباب المسلمين في هذا الزمان ، وما مُنُوا به من البطالة والكسل والراحة الجالبة للميوعة والترهلُّ ، بسبب الفراغ الذي أنعم الله به عليهم ، فلم يشكروا نعمته بملئه بما يعود عليهم وعلى مجتمعاتهم بالخير في الدنيا والآخرة ، وإنما ملأوه باللهو واللعب والمتع المباحة أو المحرَّمة ، حتى أصبح كثير منهم مثل القطعان الحيوانية الضارة لأمْن الناس على أموالهم ودمائهم وأعراضهم ؛ الذي يتأمل ذلك يبدو له جليًا ما عَنَتْهُ

---

(١) نفس المصدر بالصفحة السابقة هامش (٣) .

(٢) تحفة المودود ، ص ١٩٥ .

نصوص القرآن والسنة وأقوال العلماء من التحذير من الفراغ والبطالة والكسل ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم[١].

بل إن النبي ﷺ يعود الصبي على النشاط وتحمُّل المسئولية ، فلا مانع من أن يأمره بإعداد مائدة الطعام بنفسه ، فيكون خادمًا ومعاونًا لغيره بدلاً من أن يكون كسولاً عالةً على غيره .

يقول أنس رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ - وذلك عند السحور -: « **يا أنس! إني أريد الصيام ، أطعمني شيئًا** » . فأتيته بتمر وإناء فيه ماء ، وذلك بعدما أذن بلال ، فقال : « **يا أنس ! انظر رجلاً يأكل معي** ». فدعوت زيد بن ثابت ، فجاء ، فقال : إني قد شربتُ شربة سَّويق[٢] وأنا أريد الصيام ، فقال رسول الله ﷺ : « **وأنا أريد الصيام** » ، فتسحر معه فقام فصلى ركعتين ، ثم خرج إلى الصلاة[٣].

وقد يقول قائل : فما المائدة التي أعدها أنس ؟ إنها تمر وماء! أقول : ليست العبرة بكثرة الطعام ، وإنما العبرة في المبدأ نفسه ؛ أن يقوم الصبي في هذا الوقت من الليل – وقت السحور – الذي ينام فيه الصبيان ، بل ينام فيه شداد الرجال ، ثم يُعد ما تيسر مما رزق الله سبحانه ليطعم رسول الله ﷺ . نعم إنها التربية الحسنة ، والرعاية الواعية للأبناء والشباب .

(١٠٤) ويُثبت ﷺ حقهم في طلب العلم وتعلُّم القرآن :

العلم نعيم الأرواح ، وسلاحُ زان الأشباح ، استحق طالبُهُ استغفار الكائنات كلما غدا أو راح ، ورِضًا بما يصنع ؛ خفضت له الملائكة الجناح ، واستحق العلم أن يكون فرضًا من العليم الفتاح .

---

(١) في كتابه أثر التربية الإسلامية ص ١٨٩ .

(٢) السَّويق : طعام يُتخذ من مدقوق الحنطة والشعير .

(٣) أخرجه أحمد ١٢٩٦٧، وصحح إسناده المحقق ، وكذا أخرجه النسائي وصححه الألباني ح٢١٦٦ بصحيح سنن النسائي .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب**»[(١)] .

قال عبد الملك بن مروان لمؤدب (معلم) ولده : « علِّمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنِّبهم السَّفَلة ، فإنهم أسوأ الناس وَرَعًا ، وأقلهم أدبًا ، وجنِّبهم الخَدَم فإنهم لهم مفسدة ، وأطعمهم اللحم يَقْوَوْا ، وعلمهم الشعر يمجدوا وينْجُدوا (يرتفعوا)، ومُرْهُم أن يستاكوا (بالسواك) عرضًا ، ويمصوا الماء مصًا ، ولا يعبوه عبًا ، وإذا احتجت أن تتناولهم بأدب (تأديب أو توبيخ) ، فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الفاشية (المفشين للأسرار) فيهونوا عليه » .

وفي هذه الوصية لم يفكر عبد الملك بن مروان في التربية العلمية والدينية والأدبية وحدها ؛ ولكنه فكَّر أيضًا في التربية الخُلُقية والجسمية واللسانية ، والتربية الصحية والتربية الاجتماعية[(٢)] .

وقال هشام بن عبد الملك لسليمان الكلبي مؤدب ولده : « إن ابني هذا هو جلدة ما بين عينيَّ ، وقد ولّيتك تأديبه ، فعليك بتقوى الله ، وأدِّ الأمانة ، وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ، ثم رَوِّهِ من الشِّعر أحسنه ، ثم تخلل به في أحياء العرب ، فخذ من صالح شعرهم ، وبصِّره طرفًا من الحلال والحرام ، والخُطب والمغازي»[(٣)] .

وقال الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين : « إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة . فكن بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن ، وعرِّفه الأخبار ، وروه الأشعار ،

---

(١) ابن ماجه ، كتاب المقدمة ٢٢٠، والحديث صحيح دون قول : « وواضع العلم عند غير أهله ... » إلخ، فإنه ضعيف جدًا . وانظر السلسلة الضعيفة ح٤١٦ .

(٢) التربية الإسلامية للإبراشي ص ١٤٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٢ .

وعلِّمه السُّنن ، وبصِّرْه بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفْع مجالس القُوَّاد إذا حضروا مجلسه ، ولا تمرَّنَّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تُحزنه فتميت ذهنه ، ولا تُمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقوِّمه ما استطعت بالقُرْب والملاينة ، فإن أباهما (رفضهما) فعليك بالشدة والغلظة »[١] .

وأما عن تعليم الأطفال كتاب الله تعالى ، فقد قال الحافظ السيوطي : (تعلم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام ؛ فينشأون على الفطرة ، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها ؛ وسوادها بأكدار المعصية والضلال) ، وأكد ابن خلدون في مقدمته ص ٣٩٧ هذا المفهوم بقوله : تعليم الوالدين للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم ؛ لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده ؛ بسبب آيات القرآن ؛ ومتون الأحاديث ، وصار القرآن أصل التعليم ؛ الذي ينبني عليه ما يُحَصَّلُ بعد من المَلَكَات .

ومن شدة حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على ارتباط أطفالهم بالقرآن أن أنس بن مالك ﷺ كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم.

وهذا ابن عباس رضي الله عنهما قرأ المحكم (حفظ القرآن) على عهد رسول الله ﷺ وهو طفل صغير ، فقد ذكر ابن كثير في فضائل القرآن ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين ؛ وقد قرأتُ المحكم .

وكذلك السلف الصالح رضوان الله عليهم كانوا يحرصون على تعلم أطفالهم القرآن وحفظه في صغرهم ؛ ويحسن أن يشرح المعلم للطفل شرحًا مبسطًا على قدر استيعابه ليتفتح قلبه وعقله وتكبر هذه المعاني معه في كبره ،

(١) المصدر السابق ص ٢٩٣ .

فهذا ابن عباس يقول لأصحابه : سلوني عن سورة النساء فإني قرأتُ وأنا صغير[١] .

وهذا المأمون رحمه اللَّه تعالى يفهم فهمًا عجيبًا في القرآن وهو صغير ، فقد كان يقرأ على معلمه الكسائي ، وكان من عادة الكسائي أن يخفض رأسه إذا قرأ المأمون ، فإذا أخطأ رفع رأسه ناظرًا إليه فيرجع إلى الصواب ، فقرأ المأمون يومًا سورة الصف ، ولما وصل إلى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ [الصف : ٢]. رفع الكسائي رأسه ، فنظر المأمون إليه ، وكرر الآية وهو يفتش عن خطئه ، فوجدها صحيحة ، فمضى في قراءته ، ولما انصرف الكسائي ، دخل المأمون على أبيه قائلاً : هل وعدتَّ الكسائي بشيء؟ قال : كيف علمت بذلك يا بُني ؟ فأخبره بالأمر ، فسُرَّ الرشيد لفطنة ولده وشدة ذكائه .

ومع تعلم الأطفال القرآن لا بد أن يؤخذ في الاعتبار تعليمهم الإيمان مثل لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه ، وأين اللَّه ، وتعريفهم بالجنة والنار ، والحلال والحرام ، بالقدر الذي يستوعبونه ، والحياء وكل ما يمكن إدراكه من شعب الإيمان . قال جندب : كنا غلمانًا حزاورة مع رسول اللَّه ﷺ ، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن[٢].

وكذلك السُّنَّة ، فإن السلف رضوان اللَّه عليهم كانوا يلقنون أبناءهم السنة مع القرآن ؛ لأنهما الركنان الأساسيان في بناء الطفل علميًّا ، وهذا البخاري رحمه اللَّه تعالى يقول : أُلهمت[٣] حفظ الحديث وأنا في الكُتَّاب ، فقيل له : كم أتى عليك إذ ذاك ؟ فقال : عشر سنين أو أقل[٤] .

---

(١) أخرجه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يُخرجاه .
(٢) سبق تخريجه في الفقرة (٣٠) .
(٣) أي : وُفقتُ إليه .
(٤) فيض الباري شرح صحيح البخاري للكشميري ٣٣/١، وانظر تغليق التعليق لابن حجر العسقلاني ج ٥ ص ٣٨٦ .

وهذا الشافعي رحمه اللَّه يقول : حفظتُ القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظتُ الموطأ وأنا ابن عشر سنين[١] .

وهـذا ابن خلدون حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وتعلم العلوم الكثيرة في اللغة والأدب والفقـه والأصول والتفسير والحديث ، ونبغ في كل ما تعلَّمه ولم يبلغ العشرين من عمره .

تعليم الأولاد الشِّعر :

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن من الشعر حكمة ، وإذا التبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه من الشعر فإنه عربي** »[٢] .

وعـنه قـال : إذا قـرأ أحدكـم شـيئًا من القرآن فلم يدر ما تفسيره فليلتمسه في الشعر فإنه ديوان العرب .

هذا هو الصحيح موقوفًا[٣] .

وعـنه أيضًـا ﷺ أنـه سُئل عن قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ [القلم : ٤٢] . قال : إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب ، أمَا سمعتم قول الشاعر:

أَصبِـرِ عَنَـاق إنه شـرُ بـاقْ ۝ قـدْ سَنَّ قومُك ضربَ الأعناقْ

وقامـت الحـربُ بنـا عن سـاق

قال ابن عباس : هذا يوم كرب وشدة[٤] .

---

(١) طبقات الحفاظ ، للسيوطي ص ١٥٤ .

(٢) البيهقي ج ١٠ ، ح ٢٠٩١٢، وقال : اللفظ الأول قد رواه غير إسرائيل عن سماك ، وأما اللفظ الثاني فيحتمل أن يكون من قول ابن عباس فأدرج في الحديث . وانظر السلسلة الصحيحة ح ١٧٣١ .

(٣) نفس المصدر والحديث .

(٤) حديث صحيح الإسناد ، أخرجه الحاكم ج ٢ ، ح ٣٨٤٥ . قال البخاري رحمه اللَّه في صحيحه كتاب التفسير باب : « يوم يكشف عن ساق » ح٤٩١٩ عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا » . قال ابن كثير : وقد قـال عبد اللَّه بن المبارك : عن =

وعن محمد بن سيرين قال : كان شعراء أصحاب محمد ﷺ عبد الله بن رواحة ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك رضي الله عنهم[١] .

وليس الأمر قاصرًا على الرجال ، بل مِن النساء مَن لهن في ذلك أروع الأمثلة .

فهذه حفصة بنت سيرين حفظت القرآن وهي بنت ثنتي عشرة سنة، وكان أخوها محمد بن سيرين إذا أشكل عليه شيء من القرآن قال : اذهبوا فاسألوا حفصة كيف تقرأ[٢] .

وأيضًا سلمى بنت محمد بن الجزري ، وكنيتها أم الخير ، يقول عنها والدها شيخ الإقراء : ... هي ابنتي نفع الله بها ، شرعَت في حفظ القرآن سنة ٨١٣ هـ ، وحفظت مقدمة التجويد وعرضتها ، ومقدمة النحو ، ثم حفظت الألفية ، وعرضت القرآن حفظًا بالقراءات العشر ، وأكملته في الثاني عشر من ربيع الأول سنة ٨٣٢ هـ ، قراءة صحيحة مجوَّدة مشتملة على جميع وجوه القراءات ؛ بحيث وصلت في الاستحضار إلى غاية لا يشاركها فيها أحد في

= أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس: « يوم يكشف عن ساق » قال : هو يوم كرب وشدة . رواه ابن جرير الطبري ، تفسير ابن كثير لسورة القلم .

قُلْتُ : قد علق الشيخ صفوت نور الدين – رحمه الله – رئيس جماعة أنصار السنة على هذا بقوله : كلام ابن عباس لا يعني أن معنى « يكشف عن ساق » هو الكرب والشدة ، إنما يعني أنه من لازمه مع بقاء ثبوت الصفة بغير تأويل .

قُلْتُ : فحديث البخاري يثبت الساق لله سبحانه من غير تشبيه ولا تكييف ، والعرب تعرف في لغتها أن التعبير بالكشف عن الساق يثبت الساق ويدل في نفس الوقت على الكرب والشدة ، وكما قال الله تعالى : « ولتصنع على عيني » يُثبت العين لله ، ويدل في نفس الوقت على الرعاية ، وليس هذا تأويلاً للعين بأنها الرعاية .

ومثل ذلك أن أقول : إن زرتني سأعطيك رقبتي ، فإن ذلك يُثبت « الرقبة » ، وأنها موجودة فعلاً ، لكن من لوازم هذا التعبير أنني سأكرمك ، ولا يقول عاقل هنا بأن الرقبة تأويلها الكرم . والله تعالى أعلم .

(١) البيهقي ج ١٠ ، ح ٢٠٩١٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/٥٠٧ .

وقتها ، وتعلمت العَروض، والعربية ، وكتبت الخط الجيد ، ونظمت بالعربي والفارسي، وقرأت بنفسها الحديث ، وسمعت مني وعليّ كثيرًا ، بحيث صار لها فيه أهليةٌ وافرة ، فاللَّه يسعدها ويوفقها لخيري الدنيا والآخرة(١). والأمثلة كثيرة ، ونكتفي لعدم الإطالة ، واللَّه الموفق .

فطلب العلم فرض على جميع المسلمين ، رجالاً ونساءً ، صغارًا وكبارًا ، والصغار يقوم به لهم كبارهم ، خاصة أن فترة الطفولة هي أثرى وأغنى وأخصب الفترات للحفظ والتحصيل والاستفادة .

وكذلك السيرة من العلوم العظيمة التي يجب أن يتعلمها الطفل ويتلقنها؛ لأن في السيرة والقصة مشاهدة الواقع الإسلامي ومعايشته ، والتأثر به ، والقصة لها دور كبير في شَدّ انتباه الطفل ، فهي من الأساليب المؤثرة في عقله ونموه الفكري لِما لها من متعة تسهِّل إفادة الطفل تعليميًا باستخلاص النتائج والعبر ، قال اللَّه تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِم عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ** ﴾ [سورة يوسف : ١١١] .

الرحلة في طلب العلم :

عن كثير بن قيس قال : كنت جالسًا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فأتاه رجل فقال : يا أبا الدرداء ، إني أتيتك من مدينة الرسول في حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول اللَّه ﷺ ، فقال أبو الدرداء : أما جئت لحاجة ؟ أما جئت لتجارة ؟ أما جئت إلا لهذا الحديث ؟ قال : نعم ، قال : فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك اللَّه به طريقًا من طرق الجنة ، والملائكة تضع أجنحتها رضًا لطالب العلم ، وإن العالِم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن**

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري ٣١٠/١ .

الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا وأَوْرَثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر »[١] .

قال أبو حاتم رحمه الله : في هذا الحديث بيان واضح أن العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا ؛ هم الذين يعلمون علم النبي ﷺ دون غيره من سائر العلوم ، ألا تراه يقول : العلماء ورثة الأنبياء ، لم يورثوا إلا العلم ، وعلم نبينا ﷺ سننه ، فمن تعرى عن معرفتها لم يكن من ورثة الأنبياء .

وعن ابن شهاب عن ابن عباس قال : « كان يبلغنا الحديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، فلو أشاء أن أُرسل إليه حتى يجيئني فيحدثني فعلْتُ ، فأُقبِلُ على بابه حتى يخرج إليَّ فيحدثني »[٢] .

وهذا رجل من أصحاب النبي ﷺ رحل إلى فُضالة بن عبيد وهو بمصر ، فقدم عليه ، فقال : يا فضالة ، إني لم آتك زائرًا ، ولكني سمعت أنا وأنت حديثًا من رسول الله ﷺ رجوتُ أن يكون عندك منه علم ، قال : وما هو ؟ قال : كذا وكذا[٣] .

وصية لقمان الحكيم لطالب العلم :

تحمل هذه الوصية آدابًا عالية لا غنى أبدًا لطالب العلم عنها . يقول شهر ابن حوشب : بلغني أن لقمان الحكيم قال لابنه : يا بني ، لا تعلَّم العلم لتباهي به العلماء ، أو لتماري (تجادل) به السفهاء، أو ترائي به في المجالس ، ولا تترك العلم زهدًا فيه ورغبة في الجهالة ، يا بني ، اختر المجالس على عينك (بنفسك) ، وإذا رأيتَ قومًا يذكرون الله فاجلس معهم ، فإنك إن تكن عالمًا

---

(١) مستدرك الحاكم ج ١ ح ٣٠٠ ، وابن حبان في صحيحه ج ١ ح ٨٨ . وانظر صحيح أبي داود للألباني ٣٠٩٦، كتاب العلم .

(٢) جامع بيان العلم ، وفضله للنمري القرطبي ج ١ ص ٩٤ .

(٣) أبو داود ج ٤ ح ٤١٦٠ ، وهذا لفظه ، والنسائي في السنن الكبرى ج ٥ ح ٩٣١٩، ورواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح ، قاله الهيثمي ج ١ ص ١٣٤. وانظر السلسلة الصحيحة ح ٥٠٢ .

ينفعهم علمك ، أو تكن جاهلاً علَّموك ، ولعل اللَّه أن يطلع عليهم برحمته فيصيبك بها معهم . وإذا رأيتَ قومًا لا يذكرون اللَّه فلا تجلس معهم ، فإنك إن تكن عالمًا لم ينفعك علمك ، وإن تكن جاهلاً زادوك غيًا (ضلالة وانهماكًا في الباطل) ، ولعل اللَّه أن يطلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم[1] .

وصية الغزالي لطالب العلم :

١- يجب على طالب العلم التحلي بمكارم الأخلاق ، والبعد عن مذموم الصفات كالغضب ، والشهوة ، والحقد ، والحسد ، والكبر ، والعجب . كل هذه ظلمات تحجب نور العلم . وليس العلم بكثرة الرواية وما تعيه الحافظة ، وإنما هو نور البصيرة بها تميز بين الحق والباطل والضار والنافع والخير والشر والهدى والضلال .

٢- يجب أن يقلل طالب العلم من شواغله ، وما يصرفه عن التحصيل وتكريس الوقت؛ إذْ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.

٣- ألاَّ يتكبر المتعلم على العلم، ولا يتآمر على المعلم، بل يُذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق ، وينبغي أن يتواضع لمعلمه ، ويطلب ثواب الشرف بخدمته ، ولا ينال العلم إلا بالتواضع والانتباه وإلقاء السمع ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة ق: ٣٧] .

٤- ألاَّ يدع طالب العلم فنًا في العلوم المحمودة ، ولا نوعًا من أنواعها إلا وينظر فيه نظرًا يطَّلع به على مقصده وغايته .

٥- ألا يخوض المتعلم في فن من فنون العلم دفعة واحدة ، بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالأهم .

---

(١) أحمد ح ١٦٥٠، وصحح إسناده أحمد شاكر ، والدارمي ، كتاب المقدمة ٣٧٩ .

٦- ألا يخوض المتعلم في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله ، فإن العلوم مرتبة ترتيبًا ضروريًا ، وبعضها طريق إلى بعض ، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج ، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ أي : لا يجاوزون فنًا حتى يُحكموه علمًا وعملاً .

٧- أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله ، والعلم بالطريق الموصل لهذه العلوم .

٨- أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة ، وفي المآل القُرب من الله سبحانه وتعالى ، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ، ومباهاة الأفراد ، قال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [سورة المجادلة : ١١] .

(١٠٥) ويؤكد ﷺ على اختيار المعلم الصالح :

لا شك أن الطفل أو المتعلم عامةً يحدث بينه وبين معلمه بطول الوقت والخلطة نوع من التداخل والتقليد والموافقة والمشاكلة والخُلَّة، لذلك أمر النبي ﷺ باختيار الخليل الناجح والجليس الصالح ، وبالأولى في اختيار المدرس والمعلم. قال رسول الله ﷺ : « **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** »(١) .

وعن محمد بن سيرين رضي الله عنه قال : (إن هذا العلم دين، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم)(٢) .

وقال الماوردي : (يجب أن يُجتهَد في اختيار المعلم والمؤدب ؛ الاجتهاد في اختيار الوالدة والظئر – المرضعة – بل أشد منه ؛ فإن الولد يأخذ من مؤدبه من الأخلاق والشمائل والآداب والعادات ، أكثر مما يأخذ من والده ، لأن

(١) سبق تخريجه بالفقرة (٨٥) .
(٢) مسلم ج ١ ص١٤، الدارمي ، كتاب المقدمة ٤٢١، والتمهيد لابن عبد البر ج ١ ص ٦٧ .

مجالسته له أكثر ، ومدارسته معه أطول ، والولد قد أُمر حيث سُلّم إلى المدرس بالاقتداء به جملة ، والائتمار له دُفعة ، وإذا كان هكذا فيجب ألا يُقتَصَر من المعلم والمؤدب على أن يكون قارئًا للقرآن حافظًا للغة ، أو راويًا للشعر حتى يكون تقيًا ، ورعًا عفيفًا ، ديِّنًا ، فاضل الأخلاق ، أديب النفس ، نقي الجيب ، عالمًا بأخلاق الملوك وآدابهم ، عارفًا بجوامع أصول الدين والفقه ، وافيًا بما ذكرنا أنه يحتاج أن يعلمه على الترتيب ، فإن فاته شيء مما ذكرنا ، فلا يفوته التُّقَى والدين والفقه)[١] . وقد كان السلف يحرصون على اختيار المعلم والمدرس الصالح ، ، ولو كلَّفهم ذلك السفر والانتقال إلى أقطار بعيدة ، وأموالاً عديدة .

ورُوِي أن عتبة بن أبي سفيان قال لمؤدب ولده : (يا عبد الصمد ، ليكن أول ما تبدأ به إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحَسَنُ عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعلِّمهم كتاب الله ، ولا تستكرههم عليه فيملُّوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، وروِّهم من الشعر أعفه ، ومن الحديث أشرفه ، ولا تُخرجهم من علم إلى علم حتى يُحكموه ، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم ، وتهدَّدهم بي ، وأدِّبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الرفيق لا يضع الدواء إلا بعد معرفة الداء ، ورَوِّهم سيَر الملوك ، وجنبهم محادثة النساء ، ولا تتكلن على عذر مني ، فإني اتكلتُ على كفاية منك، واستزدني بزيادتك إياهم، أزدك إن شاء الله)[٢].

وقد لخص أبو شامة الشافعي في كتابه « مجموعة الرسائل » آداب معلم الصبيان ، فقال : يبدأ بإصلاح نفسه ؛ فإن أعينهم إليه ناظرة ، وآذانهم إليه مصغية ، فما استحسنه فهو عندهم الحسن ، وما استقبحه فهو عندهم القبيح ، ويلزم الصمت في جلسته ... ويكون معظم تأديبه بالرهبة ، ولا يُكثر الضرب

---

(١) نصيحة الملوك ، للماوردي ص ١٧٠ .

(٢) نصيحة الملوك ، للماوردي ص ١٧٢ .

والتعذيب ... ولا يمازح بين أيديهم أحدًا ... ويُقَبِّح عندهم الغيبة ، ويوحش عندهم الكذب والنميمة ، ولا يُكثر الطلب من أهلهم[(١)] .

وفي المقابل يوجه الشيخ محمد الخضر حسين رحمه اللّه - شيخ الأزهر سابقًا - تحذيرًا إلى المسلمين من القذف بأبنائهم بين براثن المدارس والمعلمين الذين يضلونهم ويفسدون عقائدهم ، يقول :

(من الذي يستطيع أن يهيئ لولده عيشًا راضيًا ، وينبته نباتًا حسنًا فينشأ سليم القلب ، طاهر اللسان ، صديقًا لأسرته ، عاملاً على إعلاء شأن أمته ؟! ولكنه يأبَى أن يفعل هذا الذي ينصح به لولده ، وجنى ثمار الحمد من عواقبه ، فيعمد إليه وهو صافي الفطرة ، فيلقيه في بيئة يتولاه فيها من لا يرقبون إلاّ ولا ذمة ، فلا يزالون يُلَقنونه زَيْغًا ، ويبذرون في نفسه شرًا ، والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا ... ذلك مثل المسلم الذي يهبه اللّه ولدًا ليسلك به هداية ، ويعده لأن يكون عضوًا يرتاح لسعادة قومه ، ويتألم لشقائهم ، فإذا هو يبعث به إلى مدارس أُسست لمحاربة الدين الحنيف ، ولقتل العاطفة الإسلامية ، وهي المدارس التي تنشئها في بلادنا الجمعيات التي يقال لها : جمعيات التبشير .

إن الذي يقذف بولده بين جدران هذه المدارس ، لا تكون جريمته من جريمة أولئك الذين كانوا يقتلون أولادهم خشية إملاق ببعيد ... ألم يقم الدليل إثر الدليل على أن القائمين فيها بأمر التعليم يُلقنون أبناء المسلمين معتقدات ديانة غير إسلامية ، ويحملونهم على تقاليدها ، ويتعرضون للطعن في شريعة الإسلام بطرق شأنها أن تؤثر على الأطفال ، ومن هم بمنزلة الأطفال في عدم معرفتهم بحقائق الدين معرفةً تقيهم من شر ذلك الإغواء .

ليس الذي يزجُّ بابنه في مدارس التبشير بالذي يقتل نفسًا واحدة، ولكنه يقتل خلقًا كثيرًا ، ويجني بعد هذا على الأمة بأجمعها ، ولا أقول هذه مبالغةً ،

---

(١) التربية الإسلامية ، الإبراشي ص ١٣٩ .

فقد يصير هذا الولد أستاذًا من بعد ، ويفسد على طائفة عظيمة من أبناء المسلمين أمر دينهم ، ووطنيتهم ، كما أفسد عليه أولئك القُسُس أمر دينه ووطنيته ، وقد أرتنا الليالي أن من المتخرجين في هذه المدارس من يملك سلطة على قوم مسلمين ، فيجدون فيه الغلظة والمكر وعدم احترام الشريعة ؛ ما لا يجدونه في الناشئ على غير الإسلام .

قد ينال الطالب في هذه المدارس علمًا ، وليس هذا العلم في جانب ما يخسره من دينه وما يفوته من الإخلاص لأمته بالشيء الذي يثقل وزنه ، ولكنها الأهواء التي أخذت القلوب ، فتبعث الرجل على أن يأخذ بيد ابنه ، وهو كالملاك طهرًا وطيبة ، ويقوده إلى حيث يشهد ازدراء قومه والطعن في الحنيفية السمحة ، فلا يلبث أن ينقلب ذلك الطهر رجسًا ، وذلك الطِّيب خُبْثًا ، وتكون العاقبة ما نسمعه عن كثير من المتخرجين في هذه المدارس ، وما نرى)[1] .

واجبات المعلم نحو تلاميذه[2] :

١- أن يشفق على المتعلمين ويجريهم مجرى بنيه . قال ﷺ : « **إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أعلمكم ..** »[3] .

٢- ألاَّ يقصد بالتعليم جزاءاً ولا شكورًا ، بل يقصد به وجه اللَّه والتقرب إليه .

٣- ألا يدع من نصح المتعلم شيئًا ، بل ينتهز كل فرصة لنصحه وإرشاده .

٤- أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ، ولا يصرِّح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ .

---

(١) نقلاً عن كتاب : منهج التربية النبوية للطفل ، لمحمد نور سويد ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٢) انظر التربية الإسلامية للإبراشي ص ١٤٥ . واجبات المعلم في نظر الغزالي .

(٣) صحيح سنن ابن ماجة عن أبي هريرة ج١ ح٣١٨ . والبيهقي ج١ ح٥٠٠ . والدارمي ج١ ح٦٤٧، والنسائي ج١ ح٤٠ . وابن حبان في صحيحه ج٤ ح١٤٤٠ .

٥- أن يراعي مستوى الأطفال من الناحية العقلية ، ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ولا يلقِي إليهم أشياء فوق مستوى إدراكهم ، حتى لا ينفروا من التعليم ويتخبطوا فيما يفهمون .

٦- ألا يقبِّح في نفس المتعلم علوم غيره ، وينبغي أن يوسِّع على المتعلم طريق التعلم في غير علمه .

٧- ينبغي أن يُلقي إلى المتعلم القاصر (الضعيف) العلم الجليَّ اللائق به ، ولا يذكر له أنَّ وراءه تدقيقًا وهو يدخره عنه حتى لا تفتر رغبته ويضطرب عقله .

٨- أن يعمل المعلم بعلمه ، فلا يُكذِّب قولهُ فعلَه . قال اللَّه تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٤] ، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ [الصف : ٣] .

(١٠٦) ويأمر ﷺ البنات بالحجاب والتستر إذا بلغن :

اللَّه عز وجل أمر النساء والبنات بالحجاب ، فقال لنبيه ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

وقد نفَّذ النبي ﷺ أمر اللَّه تعالى على نسائه وبناته ونساء المؤمنين ، حتى صار أمر الحجاب معروفًا لدى كل صغيرة وكبيرة من المسلمات ، حتى تقول عائشة رضي اللَّهُ عنها : تزوجني رسول اللَّه ﷺ (خطبني) وأنا بنت سِت سنين ، ودخل عليَّ وأنا بنت تسع سنين ، وكنت ألعب بالبنات (لُعَب) ، وكان لي صواحب (صديقات) يلعبن معي ، فكان رسول اللَّه ﷺ إذا دخل يتقمَّعن (يستَتِرْن) منه ، وفي لفظ : وعندي الجواري (البنات الصغار) فإذا دخل خرجن ، وإذا خرج دخلن !![1] .

فيا تاركي الحجاب ، معي هدية لمن أجاب ، لماذا كانت صديقات عائشة

---

(١) البخاري ، كتاب الأدب ٥٦٦٥ . والنسائي ،كتاب النكاح ٣٣٢٥ . وأبو داود كتاب الأدب ٤٢٨٣ .

تختبئن وتستترن من النبي ﷺ وهو الشريف العفيف ؟ إن قلتم حياءً منه فما لكم لا تستحون ؟ وإن قلتم حجابًا منه فما لكم لا تعقلون ؟ وقد يخرج متفلسف علينا فجأة ، فيقول : هذه كانت عادات عند العرب ! فنقول له : إنها في سورة الأحزاب آية ، نسأل الله لك الهداية . ثم أقول أخيرًا لتاركة الحجاب : انظري إلى تلك البنت الصغيرة ، وإما أن تعطيها قُبْلة ، أو تأخذي منها صفعة ! تلك البنت هي أم كلثوم بنت عليٍّ بن أبي طالب ، وكانت صغيرة ، فخطبها أمير المؤمنين عمر ، فقال أبوها إنها صغيرة ، فقيل لعمر : إنما يريد بذلك منعها ، فكلَّمه عمر ، فقال عليٌّ : أبعثُ بها إليك ، فإن رضيت فهي امرأتك ، فبعث بها إليه ، فذهب عمر ، فكشف عن ساقها ، فقالت : أرسِلْ (أي اترك ثوبي) ، فلولا أنك أمير المؤمنين لصككت عينك[1] ! سبحان الله لا يخافون في الله لومة لائم .

لكن لم يفُت عمر نفسه ﷺ أن يلفت نظر المربين إلى أنه لا حرج من بروز البنت الصغيرة على الرجال أو دخولها عليهم عند أبيها في مجلسه لكي يؤخذ عنها فكرة عامة فلعلهم يخطبونها فيما بعد لأحد أبنائهم .

عن عمر بن الخطاب قال : أبرزوا الجارية التي لم تبلغ ، لعل بني عمها أن يرغبوا فيها[2] .

وبالطبع ، هناك فرق شاسع بين مدلول كلام عمر ﷺ وبين مفهوم التي تترك وجهها كاشفًا حتى بعد البلوغ لتعرض نفسها على من لم يصبه الدور ، ومن لم يحالفْه الحظ ، لعله يجد فيها بُغْيَتَه ، وتكون يومًا زوجتَهْ . والله المستعان .

(١٠٧) ويأمرهم ﷺ بالزواج متى بلغوا وقدروا على تكاليفه :

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا معشر**

---

(١) مصنف عبد الرزاق وسنن سعيد بن منصور وابن أبي عمرو . قاله ابن حجر العسقلاني في تلخيص الحبير ج٣ ح ١٤٨٤ .

(٢) مصنف عبد الرزاق / ١٥٦/٦ باب : إبراز الجواري والنظر عند النكاح .

الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[(١)] .

وقد أهديت عائشة رضي اللّهُ عنها وهي بنت تسع سنين ، وخطب عمر رضي الله عنه أم كلثوم بنت عليٍّ رضي الله عنه وهي جارية تلعب مع الجواري . فالزواج المبكر حصن ورعاية ، وعفة ووقاية .

ونبينا صلوات اللّه وسلامه عليه ، يريد للشباب ألا ينحرف أو يضيع وينجرف ، ويكون فريسة سهلة للشياطين والمنحرفين ، فلذلك حثهم على الزواج لمن استطاع الباءة ، وهي تكاليف الزواج والقدرة عليه ، فإن في الزواج تحصيناً وحفظًا للفرج ، وإشباعًا للعين لتكون غاضّة عن محارم اللّه وحرماته ، ونساء الناس وأعراضهم ، فيكون الزواج بذلك وجاءاً ؛ أي وقاية ومنعًا من الوقوع في الزلل .

وإذا كان الولد محتاجًا إلى النكاح ، والأب أو من يقوم مقامه قادر على تزويجه ؛ لزمه ذلك ، لما فيه من تحصينه وإعفافه عن الوقوع في الحرام . قال ابن قدامة رحمه اللّه : « ويَلزَم الرجل إعفاف ابنه ، إذا احتاج إلى النكاح ، وهذا ظاهر مذهب الشافعي »[(٢)] .

وكذلك يجب أن يزوج ابنته التي بلغت سنًا تحتاج فيه إلى الزواج لإعفافها ، وأن يلتمس لها الزوج الصالح ، فلا فرق بين الابن والبنت في وجوب إعفافهما .

والنبي ﷺ يقول : « **ثلاثة حقٌ على اللّه عونهم : المكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف ، والمجاهد في سبيل اللّه** »[(٣)] .

---

(١) البخاري ،كتاب النكاح ٤٦٧٧ . ومسلم ، كتاب النكاح ٢٤٨٥ . والترمذي ، كتاب النكاح ١٠٠١ ،و النسائي ، كتاب الصيام ٢٢٠٦ . وأبو داود ، كتاب النكاح ١٧٥٠ . وابن ماجة، كتاب النكاح ٢٨٣٥ . وأحمد مسند المكثرين من الصحابة ٣٤١١، والدارمي، كتاب النكاح ٢٠٧١ .

(٢) المغني ٢١٦/٨ .

(٣) صحيح سنن النسائي ج٢ ح٣٢١٨ . وابن حبان في صحيحه ج٩ ح٤٠٣٠ . والحاكم في =

(١٠٨) فإذا بلغوا علمهم ﷺ الأمانة وتحمل المسئوليات :

لا شك أن الطفل لن يظل طفلاً ، بل سيأتيه اليوم الذي فيه يبلغ ويصير مكلَّفًا مسئولاً ، فإذا كان يعمل في مال أبيه فهو راعٍ ومؤتمن ومسئول أمام اللَّه عز وجل يوم القيامة عن هذا المال ، فعن ابن عمر رضي اللَّهُ عنهما قال : وأحسب النبي ﷺ قال : « **والرجل في مال أبيه راعٍ ومسئول عن رعيته ، فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته** »(١) .

إذن فالولد أمين في مال أبيه ، والنبي ﷺ يؤكد على جانب الأمانة عند الصبي لتتأصل فيه .

(١٠٩) ويستقرئ ﷺ أفكار الشباب ليرى كيف يفكرون :

عن جابر رضي الله عنه قال : لمَّا رجعت إلى رسول اللَّه ﷺ مهاجِرَة البحر قال : « **ألا تحدثونني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟** » « قال فتية منهم : بلى يا رسول اللَّه ، بينما نحن جُلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة ماء ، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرَّت على ركبتيها ، فانكسرت قلتها ، فلما ارتفعت (قامت) التفتت إليه وقالت : سوف تعلم يا غُدَر إذا وضع اللَّه الكرسي وجمع الأولين والآخرين ، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون ؛ فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا . قال : يقول رسول اللَّه ﷺ : « **صدَقت ، صَدَقَت ، كيف يقدس اللَّه أمَّة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم** »(٢) والمتأمل في هذا الحديث يعرف كيف يفكر شباب محمد ﷺ ، وما الذي يشغل عقله وفكره ، وما هي الأعاجيب التي تمر على خياله ، إنها القيامة الكبرى ، إنها يوم الجمع والحشر ، يوم تتكلم الأيدي والأرجل بغدرات

= المستدرك ج٢ ح٢٨٥٩ وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يُخْرجاه .

(١) البخاري ،كتاب العتق ٢٣٧١ ، وكتاب الاستقراض وأداء الديون ٢٢٣٢ . وأحمد ، مسند المكثرين من الصحابة ٥٧٥٣ .

(٢) صحيح سنن ابن ماجه ح ٣٢٥٥، وقال الألباني : حسن ، وابن حبان في صحيحه ج١١ ح ٥٠٥٨ .

الناس وخياناتهم، يوم يقتص رب الأولين والآخرين من الظلمة للمظلومين .

فما الذي يشغل بالكم من الأعاجيب يا شباب الزمن الآخر ؟! هل هي حضارة الغرب وتفسُّخه ، أم الإباحية التي يطلقونها بلا حدود ، والمتعة والشهوة التي يمارسونها بلا شروط ولا قيود ؟ نسأل اللّٰه السلامة والعافية .

(١١٠) ويُثني عليهم ﷺ عند نصحهم لتجد النصيحة عندهم موقعا :

نبينا ﷺ هو عالم النفس البشرية حقيقة ، وهو الخبير بترويضها ، على اختلاف اتجاهاتها ونوازعها ، يستخدم أحيانًا المدح والثناء ، لتحفيز همة ، أو تحريك مشاعر ، فتتأهل النفس للاستجابة والتنفيذ راضيةً غير مكرهة ، راغبة راهبة .

يقول عبد اللّٰه بن عمر رضي اللّٰهُ عنهما : كنت غلامًا شابًا أعزب ، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول اللّٰه ﷺ فرأيت في النوم كأن ملكين أخذا بي فذهبا بي إلى النار ، قال : فلقينا ملَك آخر ، فقال لي : لم تُرَع . فقصصتها على حفصة ، فقصتها حفصة على رسول اللّٰه ﷺ فقال : « **نعم الرجل عبد اللّٰه لو كان يصلي من الليل** » . فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً[(١)] . فثناء النبي ﷺ على عبد اللّٰه كان حافزًا له على قيام الليل بصفة دائمة .

يقول الغزالي : « إذا ظهر من الصبي خلق جميل ، وفِعْل محمود فإنه ينبغي أن يُكرم عليه ، ويُجازَي عليه بما يفرح به ، ويمدح أمام الناس لتشجيعه على الأخلاق الكريمة ، والأفعال الحميدة . وإذا حدث منه ما يخالف ذلك وستَرَه الصبي واجتهد في إخفائه ؛ تغافل عنه المربي وتظاهر بأنه لا يعرف شيئًا عما فعل حتى لا يُخْجله ، فإن عاد ثانية إلى الخطأ عوتب سرًا ، ويبِّن له نتيجة

---

(١) البخاري ، كتاب الجمعة ١٠٥٤ ،وكتاب الفتن ٣٤٥٧ . ومسلم ، كتاب الفضائل ٤٥٢٨ . وأحمد ، مسند المكثرين من الصحابة ٦٠٤٨ .

خطئه ، وأُرشد إلى الصواب ، وحُذِّر من العودة إلى مثل هذا الخطأ ، خوفًا أن يفتضح بين الناس »[١] .

(١١١) ويعد لهم ﷺ عرضًا عسكريًّا للشجاعة والإقدام :

عن سمرة بن جندب ﷺ قال : تأيّمت أمي (صارت أرملة) ، وقدمَت المدينة ، فخطبها الناس ، فقالت : لا أتزوج إلا برجل يكفل لي هذا اليتيم ، فتزوجها رجل من الأنصار ، قال : فكان رسول اللَّه ﷺ يعرض غلمان الأنصار في كل عام ، فيُلحِق من أدرك منهم ، قال : فعُرِضْتُ عامًا فألحق غلامًا وردني ، فقلت : يا رسول اللَّه ، لقد ألحقته ورددتني ، ولو صارعتُه لصرعته ، قال : « فصارعْه » فصارعته فصرعته ، فألحَقَني[٢] .

ولا شك أن إعداد النبي ﷺ لهذا العرض لقبول المجاهدين فيه تشويق للمشاركة ، وحرص على القبول ، وأسى وأسف لمن لم يلتحق من الصبيان بالمجاهدين ، وبذلك يشارك الشباب في الجهاد عن رغبة وحرص ، فيبذل روحه سهلة رخيصة في سبيل إعلاء كلمات هذا الدين وهكذا كان أصحاب محمد ﷺ .

(١١٢) ويشاهد ﷺ المصارعة بين الفتيان :

رأينا في الحديث السابق أن رسول اللَّه ﷺ شاهد المصارعة بين اثنين من فتيان المسلمين من أبناء الأنصار ، كلٌ منهما يريد بهذه المصارعة أن تكون مؤهلاً له للقبول كجندي في الجيش المسلم الذي يقاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وما أرادا بهذه المصارعة شهرة أو أجرة ، ولا كمال أجسام والبطل الهُمَام ، لكن لنصر دين الملك العلام ، وما أراد النبي ﷺ بإجراء هذه المصارعات تَنَزُّهًا ولا تفكهًا واستعراضًا للعضلات بنشر

---

(١) إحياء علوم الدين ، ج٣ ص٦٣ .

(٢) أخرجه الحاكم ج٢ ح٢٣٥٦ وقال : صحيح الإسناد . والبيهقي ج٩ ح١٧٥٨٨ .

العورات ؛ وإنما أراد بذلك تشجيع الكفاءات ومعرفة القدرات ، والإعداد للجهاد وليس ترك الجهاد ، كما تركه أبطال الزمن الآخر!!

وثمة أمر آخر هام ، وهو أن النبي ﷺ لم يكن ليشهد تلك المصارعة بصحبة معصية ، كإبراز الأفخاذ والعورات ، بل كان يمنع ذلك تمامًا ، فهو القائل ﷺ : « **إذا أنكح أحدكم عبده أو أجيره فلا ينظر إلى شيء من عورته ، فإن ما أسفل من سُرَّته إلى ركبته من عورته** » سبق تخريجه بالفقرة (٦٦) . وهو القائل ﷺ : « **غط فخذك فإنه من العورة** »[١] . فما بال كثير من المسلمين وأبنائهم ، والمربين وعيالهم عكفوا على حلقات المصارعة بالتلفاز وعورات البغال فيها مكشوفة ، بل وعوراتهم المغلظة مجسمة مع السراويل الضيقة جدًا ، وأبناء المسلمين ينظرون ويشاهدون غير مبالين ولا مهتمين بتحذيرات الرسول الأمين ﷺ ؟! حتى ضاع الحياء ، وأُلِفَت المعصية فلم يعد يستنكرها أحد إلا من رحم اللَّه عز وجل . بل النَكير على من أنكر ، واللَّه المستعان .

(١١٣) ويجهزهم ﷺ للغزو في سبيل اللَّه :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن فتى من أسلم (أنصاري) قال : يا رسول اللَّه ، إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز ، قال : « **ائت فلانًا فإنه قد كان تجهز فمرض** » ، فأتاه فقال : : إن رسول اللَّه ﷺ يقرئك السلام ، ويقول : أعطني الذي تجهزتَ به ، فقال : يا فلانة ، أعطيه الذي تجهزتُ به ولا تحبسي عنه شيئًا ، فواللَّه لا تحبسي منه شيئًا فيبارَك لنا فيه[٢] .

---

(١) صحيح سنن الترمذي ،كتاب الأدب ٢٧٩٨، وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وأحمد ، مسند بني هاشم ٢٣٦٣ ، ومسند المكيين ١٥٣٦٧ عن ابن عباس رضي اللَّهُ عنهما بلفظ : مر رسول اللَّه ﷺ على رجل ، وفخذه خارجة ، فقال ﷺ : « غط فخذك فإن فخذ الرجل من عورته » . وأخرجه أبو داود في كتاب الجنائز ٢٧٣٢ وابن ماجة كتاب الجنائز أيضًا ١٤٤٩ وأحمد ، مسند العشرة المبشرين ٢١٨٤ عن عليّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا تُبْرز فخذك ، ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت » . وانظر المختارة للمقدسي ج٢ ح٥١٥ وقال : إسناده صحيح .

(٢) مسلم ، كتاب الإمارة ٣٥١٠ . وأبو داود وأحمد .

أرأيت أخي المربي هذا التفاعل العجيب والترابط المهيب بين أعضاء الأمة المسلمة ! إنهم تربَّوْا على توجيهات نبيهم : « **مَن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن جهز غازيًا فقد غزا** » .

(١١٤) ولا يحرمهم ﷺ من نيل الشهادة في سبيل اللَّه :

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول اللَّه ﷺ يوم بدر يتوارى ، فقلت : ما لَك يا أخي ؟ قال : إني أخاف أن يراني رسول اللَّه ﷺ فيردَّني ، وأنا أحب الخروج لعل اللَّه يرزقني الشهادة ، قال : فعُرِض على رسول اللَّه ﷺ فردَّه لصغره فبكى ، فأجازه (قَبِله) عليه الصلاة والسلام . فكان سعد رضي الله عنه يقول : فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره ، فقاتل وهو ابن ست عشرة سنة رضي الله عنه[1] .

ولما خرج المسلمون إلى أُحد لـلقاء المشركين استعرض النبي ﷺ الجيش فرأى فيه صغارًا حشروا أنفسهم مع الرجال ليكونوا مع المجاهدين لإعلاء كلمات اللَّه ، فأشفق عليهم ﷺ وردَّ من استصغر منهم ، وكان فيمن ردهم عليه الصلاة والسلام رافع بن خديج ، وسمرة بن جندب ، ثم أجاز رافعًا لما قيل له : إنه رامٍ يحسن الرماية ، فبكى سمرة وقال لزوج أمه : أجاز رسول اللَّه رافعًا وردَّني ، مع أني أصرعه ، فبلغ رسول اللَّه ﷺ الخبر فأمرهما بالمصارعة ، فكان الغالب سمرة فأجازه عليه الصلاة والسلام[2] .

عمير بن أبي وقاص يتوارى ويختبئ من النبي ﷺ ويهرب ليدخل الجيش فكيف لو سمع بأن بعض الناس يختبئ ليهرب من الجيش ؟!

* * *

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ج٣ ص١٤٩ . والحاكم ج٣ ح٤٨٦٤ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٢) سبق تخريجه بالفقرة (١١٢) .

النساء يفرحن باستشهاد أبنائهن

فها هي أم سعد بن معاذ وقد فقدت ابنها عمرو في غزوة أُحُد مع قتلى آخرين ، فقال لها النبي ﷺ : « **يا أم سعد أبشري وبشِّري أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعًا ، وقد شفعوا في أهلهم جميعًا** » قالت : رضينا يا رسول اللَّه ، ومن يبكي عليهم بعد هذا ؟![1] .

وكذلك أم حارثة بن الربيع ، رضي اللَّهُ عنهما ؛ يقول أنس رضي الله عنه أنها أتت النبي ﷺ وكان حارثة ابنها قُتل يوم بدر ، أصابه سهم غرب (خطأ) ، فقالت يا رسول اللَّه ، ألا تحدِّثني عن حارثة ؟ فإن كان في الجنة صبرتُ ، وإن كان غير ذلك اجتهدتُ عليه في البكاء . فقال ﷺ : « **يا أم حارثة ، إنها جِنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى** » . قال قتادة : والفَردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها[2] .

وأيضًا الخنساء بنت عمرو السلمية رضي اللَّهُ عنها ، حضرت حرب القادسية ضد الفرس ، ومعها بنوها الأربعة ، تعظهم وتحرضهم على القتال وعدم الفرار ، وتقول لهم : « إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، وإنكم لابن (أي أبناء) أب واحد وأم واحدة ، ما خَبَتْ آباؤكم (ما عجزت) ، ولا فُضِحَت أخوالكم » ، فلما أصبحوا باشروا القتال واحدًا بعد واحد ، حتى قُتِلوا جميعًا فبلغها الخبر ، فقالت قولتها المشهور : « الحمد لله الذي شَرَّفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته »[3] .

---

(١) السيرة الحلبية ، ٤٧/٢ . ينقل عنها صاحب الرحيق المختوم ص ٢٨٣ .

(٢) البخاري ،كتاب الجهاد والسير ٢٥٩٨ . والترمذي ،كتاب تفسير القرآن ٣٠٥٨ .

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ٢٨٨/٢ . والتعبير بأن يجمعها اللَّه بأولادها في مستقر رحمة اللَّه خطأ وغير ممكن لأن مستقر الرحمة هو اللَّه سبحانه وتعالى ؛ فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد ج١ ح٧٦٨ أن أبا الحارث الكرماني قال : سمعت رجلاً قال لأبي رجاء : أقرأ عليك السلام وأسأل اللَّه أن يجمع بيني وبينك في مستقر رحمته قال : وهل يستطيع أحد ذلك ؟ فما مستقر رحمته ؟ قال الجنة ، قال : لم تصِب ، قال : فما مستقر رحمته ؟ قال : رب العالمين . قال الألباني : صحيح الإسناد . وقال : هذا الأثر عنه يدل على فضله وعلمه ، ودقة ملاحظته ، فإن الجنة لا يمكن =

(١١٥) ويعلمهم ﷺ لغة عدوهم :

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود قال : « إني والله ما آمن يهود على كتابي » قال : فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له ، قال فلما تعلمته ؛ كان إذا كتب إلى يهود كتبتُ إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأتُ له كتابهم[1]. وفي لفظ : قال زيد : قال رسول الله ﷺ : « تُحسن السريانية ؟ إنها تأتيني كُتُب » ، قال قلتُ : لا ، قال : « فتعلمْها » فتعلمتها في سبعة عشر يومًا[2] .

إن طالب الجامعة الآن ، كم يقضي من السنين حتى يتخرَّج متخصصًا في أي لغة من اللغات الأجنبية ؟ ليحصل على ما يسمى بالليسانس أو البكالوريوس ؟ ١٦ سنة .

وفي جامعة الإسلام الأولى ، جامعة سيد البشر محمد ﷺ في كم من الزمن حصل زيد بن ثابت على التخصص في السريانية ؟ ١٦ يومًا بتقدير امتياز ، في مقابل ١٦ سنة لطالب يبدأ من الابتدائية وينتهي بالجامعة !! أرأينا كم ينفق من الوقت في عمر الأمم ؟ إنها بركة هذا الدين والتوجه بالعمل إلى مالك يوم الدين .

(١١٦) ويهتم ﷺ بتعليمهم كتابة اللغة العربية :

لقد اهتم النبي ﷺ بتعليم أبناء الصحابة الكتابة واللغة ، لغة القرآن والحديث ، فكلما تمكن الشاب من اللغة سُهل عليه الولوج في كافة العلوم الشرعية ، فلذلك كان اهتمام النبي ﷺ بها أن يفدي الأسير من أسرى بدر

= أن تكون مستقر رحمته تعالى؛ لأنها – الرحمة – صفة من صفاته ، بخلاف الجنة فإنها خلق من خلق الله ، وإن كان استقرار المؤمنين فيها إنما هو برحمة الله تعالى كما في قوله عز وجل : ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾ [آل عمران : ١٠٧] يعني الجنة .

(١) صحيح الترمذي ح٢٧١٥ ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح .

(٢) أحمد ح ٢١٤٧٩ ، وقال محققه : إسناده صحيح .

مقابل تعليمه عشرة صبيان من أبناء الصحابة اللغة والكتابة .

قال ابن سعد : (أسر رسول اللَّه ﷺ يوم بدر سبعين أسيرًا : وكان يفادي بهم على قدر أموالهم ، وكان أهل مكة يكتبون ، وأهل المدينة لا يكتبون ، فمن لم يكن عنده فداء - ما يفدي به نفسه من الأسر - دُفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلِّمهم ، فإذا حذقوا - أتقنوا الكتابة - فهو فداؤه)[1] .

وقال : وبلغ فداء أهل بدر يومئذ ٤٠٠٠ فما دون ذلك حتى إن كان الرجل يُحسن الخط ففودي على أن يعلِّم الخط[2]. (وكانت العرب تعظِّم قدر الخط ، وتعدُّه من أجَلِّ نافع ... لِما هو مستقر في نفوسهم من عظم خطره وجلالة قدره ، وظهور نَفعه وأثره . وقد قال اللَّه تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ ﴾ [سورة العلق : ٣ ، ٤]. فوصف نفسه بأنه علَّم بالقلم ، كما وصف نفسه بالكرم ، حتى أقسم به في كتابه ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾ [القلم : ١] فأقسم بالقلم ، كما أقسم بما يُخَطُّ بالقلم)[3] .

(١١٧) ويعلمهم ﷺ بر الوالدين وآدابه :

قال ابن الأثير رحمه اللَّه في النهاية (باب سبب) : (وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **لا تمشين أمام أبيك ، ولا تجلس قبله ، ولا تدْعُهُ باسمه ، ولا تستسب له** » أي لا تعرِّضه للسب وتجره إليه ، بأن تسب أبا غيرك فيسب أباكَ مجازاةً لك ، وقد جاء مفسرًّا في الحديث الآخَر : « **إن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه** » . قيل وكيف يسب والديه ؟ قال : « **يسب أبا الرجل فيسب أباه وأمه** »[4] . ا هـ .

وأورد الإمام النووي هذا الحديث في كتابه الأذكار وفسَّر قول النبي ﷺ :

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ج٢ ص٢٢ .
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ج٢ ص٢٦ .
(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي ص٦٨ .
(٤) صحيح أبي داود للألباني ح ٤٢٨٧ .

« ولا تستسب له » قال : لا تفعل فعلاً تتعرض فيه لأن يسبك أبوك زاجرًا لك وتأديبًا على فعلك القبيح ، والولد البار يسر أهله، ويُدخل البهجة في نفوسهم، فتبتسم لهم الحياة ، ويستحق الولد أن يكون قرة عين أهله ، فهو بهم بار ، وله أجر البر وعظيم ثوابه .

عن ابن عباس - رضي اللَّهُ عنهما - قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إذا نظر الوالد إلى ولده فسَرَّه ،كان للولد عتق نسمة** » قيل : يا رسول اللَّه ، وإن نظر ثلاثمائة وستين نظرة ؟ قال « **اللَّه أكبر** »[1] .

(١١٨) ويبين لهم ﷺ أنهم ومالهم لآبائهم :

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي اللَّهُ عنهم أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول اللَّه ، إن لي مالاً وولدًا ، وإن والدي يحتاج أو يجتاح مالي ، قال : « **أنت ومالك لأبيك ، إن أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من كسب أولادكم** »[2] . بل إن الأب لو أعطى لابنه شيئًا ثم أراد أن يرجع في عطيته فله ذلك ولا جناح عليه ، بعكس ما لو أعطاها لأحد من غير أبنائه فلا يجوز له الرجوع فيما أعطى ، لما رواه ابن عمر وابن عباس يرفعانه قال : « **لا يحل للرجل أن يعطي عطية ، ثم يرجع فيها إلا الوالد فيما يعطي ولده ، ومثل الذي يعطي العطية ثم يرجع فيها كمثل الكلب أكل حتى إذا شبع قاء ثم عاد في قيئه** »[3] . قال الترمذي : قال الشافعي : لا يحل لمن وهب هبة أن يرجع فيها ، إلا الوالد فله أن يرجع فيما أعطى ولده واحتج بهذا الحديث .

---

(١) البيهقي في شعب الإيمان ج٦ ص١٨٦ . ورواه الطبراني في الكبير والأوسط وقال فيه : لا يُروَي عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد ، وإسناده حسن ، فيه إبراهيم بن أعين وثقة ابن حبان وضعفه غيره. قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ج٨ ص٢٥٦، وانظر ضعيف الجامع ح٧١١.

(٢) صحيح سنن أبي داود للألباني ح ٣٠١٥، وصحيح ابن ماجه له أيضًا ح ٢٢٩٢، وقال: حسن صحيح.

(٣) صحيح سنن الترمذي ، كتاب الولاء والهبة ح ٢١٣٢، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. والنسائي ، كتاب الهبة ٣١٣٠ . وأحمد ، مسند بني هاشم ٢٠١٤ ، ومسند المكثرين ٤٥٧٩ .

(١١٩) ويودِّع الحُجاج منهم بالدعاء ماشيًا معهم بعض الطريق :

أيضًا من اهتمامات النبي ﷺ بأداء الصبيان فريضة الحج ومشاركتهم فيها ما رواه ابن عمر رضي اللَّهُ عنهما قال : جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال : إني أريد أن أحج ، فمشى معه رسول اللَّه ﷺ فقال : « **يا غلام ، زوَّدك اللَّه التقوى ، ووجَّهك في الخير ، وكفاك الهم** » ، فلما رجع الغلام على النبي ﷺ فقال : « **يا غلام ، قبِل اللَّه حجك ، وغفر ذنبك ، وأخلف نفقتك** »(١).

وفي رواية : « **زودك اللَّه التقوى وغفر ذنبك ويسَّر لك الخير حيثما كنت** »(٢).

قال المناوي في « شرح فيض القدير » : قاله لرجل جاءه فقال : إني أريد سفرًا فزودني ، فقال : « **زودك اللَّه** » . فقال : زدني ، قال: « **ويسر لك الخير حيثما كنت** » . اهـ .

قُلْتُ : ولم يذكر أن هذا السفر كان للحج .

لقد كان ﷺ يشجع الشباب الصغير على الحج ، لما فيه من تعويدهم على الطاعة وترغيبهم فيها ، وللأجر الذي يعود على آبائهم . قال ابن عباس رضي اللَّهُ عنهما : صَدَرَ رسول اللَّه ﷺ فلما كان بالروحاء (قرب المدينة) لقي قومًا فقال : « **من أنتم** » ؟ قالوا : المسلمون ، قالوا : من أنتم ؟ قال : « **رسول اللَّه** » ، فأخرجت امرأة صبيًا من المحَفَّة (الهودج) فقالت : ألهذا حج ؟ قال : « **نعم ولك أجر** »(٣) .

---

(١) مجمع الزوائد ج٣ ص٢٢١ وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفي الصحيح طرف من أوَّله وفيه مسلمة بن سالم الجهني ضعفه الدارقطني .

(٢) صحيح الجامع ح ٣٥٧٩ (حسن) .

(٣) مسلم ، كتاب الحج ٢٣٧٧ . والنسائي ، كتاب الحج ٢٦٠٠ . وابن ماجة ،كتاب المناسك ٢٩٠١ . وأحمد ، مسند بني هاشم ٢٠٧٨ . ومالك كتاب الحج ٨٣٩ .

(١٢٠) ويربطهم ﷺ بالله تعالى عند الشدائد وغيرها :

قال السدي وزعم أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقال له عوف بن مالك رضي الله عنه كان له ابن ، وأن المشركين أسروه فكان فيهم ، وكان أبوه يأتي رسول الله ﷺ فيشكو إليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته ، فكان رسول الله ﷺ يأمره بالصبر ويقول له : « **إن الله سيجعل لك فرجًا** » فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرًا أن انفلت ابنه من أيدي العدو فمر بغنم من أغنام العدو ، فاستاقها فجاء بها إلى أبيه ، وجاء معه بغنى قد أصابه من الغنم فنزلت هذه الآية : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ....** ﴾(١) [سورة الطلاق : ٢ ، ٣] .

وفي رواية ابن أبي حاتم : قال محمد بن إسحاق : جاء مالك الأشجعي إلى رسول الله ﷺ فقال له : أُسِر ابني عوف ، فقال له رسول الله ﷺ : « **أرسل إليه أن رسول الله ﷺ يأمرك أن تُكثِر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله** » وكانوا قد شدُّوه بالقِدّ (ربطوه بسير من جلد) فسقط القِد عنه فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها ، وأقبل فإذا هو بسرح القوم (الماشية التي تسرح) الذين كانوا قد شدُّوه ، فصاح بهم فاتَّبع أولَها آخرُها ، فلم يَفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب ، فقال أبوه : عوف ورب الكعبة . فقالت أمه : واسوأتاه ، وعوف كيف يقدُم ؟ لما هو فيه من القِد ، فاستبقا البابَ والخادمُ ، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلاً ، فقصَّ على أبيه أمره وأمر الإبل ، فقال أبوه : قِفا حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله عنها ، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل ، فقال له رسول الله ﷺ : « **اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعًا بمالك** » ونزل : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ....** ﴾ [سورة الطلاق : ٢ ، ٣](٢) .

---

(١) تفسير ابن كثير ج٤ ص٣٨١ ، وتفسير الطبري ج٢٨ ص١٣٨ .

(٢) الدر المنثور ، ١٩٧/٨ .

السلف يرسخون العقيدة الصحيحة عند الأبناء :

عن عبد الواحد بن سليم قال : قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح ، فقلت له يا أبا محمد ، إن أهل البصرة يقولون في القدر ، قال يا بني أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم ، قال : فاقرأ الزخرف ، قال : فقرأت : ﴿ حم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ ﴾ [الزخرف: ١- ٤]. فقال : أتدري ما أم الكتاب ؟ قلت : اللّه ورسوله أعلم ، قال : فإنه كتاب كتبه اللّه قبل أن يخلق السماوات وقبل أن يخلق الأرض ، فيه أن فرعون من أهل النار ، وفيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ [المسد : ١] . قال عطاء : فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسول الله ﷺ فسألته : ما كان وصية أبيك عند الموت ؟ قلت : دعاني أبي فقال لي : يا بني ، اتق اللّه ، واعلم أنك لن تتقي اللّه حتى تؤمن باللّه وتؤمن بالقدر كله خيره وشره ، فإن مِتَّ على غير هذا دخلتَ النار ، إني سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « **إن أول ما خلق اللّه القلم ، فقال :** « **اكتُب** » **فقال : ما أكتب ؟ قال :** « **اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلا الأبد** »[1] . وفي رواية أن عبادة بن الصامت قال لابنه : (يا بني ، إنك لن تجد طَعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ...)[2] . وقد سبق أن زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ قال : كنا نُعَلَّم مغازي رسول اللّه ﷺ كما نُعَلَّم السور من القرآن .

(١٢١) ويوكل إليهم ﷺ المهام العظيمة :

إن الطفل إذا رُبِّي تربية صحيحة سليمة ، على القواعد الشرعية الحكيمة ؛ فلا شك أنه يمكن في سن مبكر الاستفادة من ذلك الطفل ، وتكليفه بالمهام

---

(١) صحيح . انظر السلسلة الصحيحة ح ١٣٣، وصحيح سنن الترمذي كتاب القدر ح ٢١٥٥.

(٢) صحيح سنن أبي داود ، كتاب السنة ح٣٩٣٣. وابن حبان في صحيحه ج٢ح٧٢٧. والطبراني بسند حسن. وانظر السلسلة الصحيحة ح ٢٤٣٩ .

العظيمة ، والمسئوليات الجسيمة ، وبالتالي يكون عنصرًا فعالاً في الأمة ، بل من الشباب من يجعل اللّه سبحانه وتعالى من جهودهم وعقولهم ورجولتهم نقطة تحول في حياة الأمم على صغر سنهم . وما موقف عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه حين بات في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة ؛ متحملاً مواجهة أقوى رجالات قريش ؛ تلك المواجهة التي كان متوقعًا أن يكون من أول نتائجها ؛ قتل علي رضي الله عنه ، ذلك الشاب الذي كان في مقتبل عمره وريعان شبابه ، فقد كان عمره آنئذ ثماني عشرة سنة ، فقال له رسول اللّه ﷺ : « **نم على فراشي ، وتَسَجَّ ببردي هذا الحضرمي الأخضر ، فنم فيه ، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم** » حتى إذا خرج النبي ﷺ وهم لا يشعرون ، تطلعوا من صير الباب فرأوا عليًا ، فقالوا : واللّه إن هذا لمحمد نائمًا ، عليه بُرْدُه ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا . وقام عليٌّ عن الفراش ، فسُقط في أيديهم ، وسألوه عن رسول اللّه ﷺ فقال : لا علم لي به[(١)] . ما الذي جعل عليًا رضي الله عنه يتحمل تلك المخاطرة والمراهنة على حياته ؟ إنها التربية الإسلامية الصحيحة ، التي جعلته يفدي النبي ﷺ بروحه ، فنجاه اللّه كما نجّي نبيّه ﷺ . كم من الشباب مثل علي ؟!

وهذا أسامة بن زيد رضي اللّهُ عنهما ، استعمله النبي ﷺ على جيش لغزو الشام ، وفي الجيش عمر ، والكبار (كبار الصحابة) ، فلم يسر حتى توفي رسول اللّه ﷺ ؛ فبادر الصدِّيق رضي الله عنه ببعثهم[(٢)] .

قال الذهبي : لمَّا أمَّره النبي ﷺ على ذلك الجيش كان عمره ثماني عشرة سنة .

فانظر يا حبيبي إلى أسامة ، ذلك الشاب الصغير الذي جعله النبي ﷺ أميرًا على جيش فيه كبار الصحابة وفيهم عمر بن الخطاب ، حتى أن عمر نفسه كان لا يلقى أسامة قط إلا قال : السلام عليك أيها الأمير ورحمة اللّه ! توفي رسول اللّه ﷺ وأنت عليَّ أمير[(٣)] .

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ، ٥٢/٢ . السيرة النبوية لابن هشام ج٣ص٨ .
(٢) سير أعلام النبلاء ، ج٢ ص ٥٠٠ .
(٣) المصدر السابق .

وهل يقول أحد أن النبي ﷺ جامل أسامة حين ولاه على ذلك الجيش ؟ إن قيادة الجيش ليست مجاملة ، لأن المحاربين عادة يستهدفون القادة بالقتل أول شيء . فهل تصلح المجاملة هنا ؟ كلا والله ما يجامل النبي ﷺ أحداً على حساب مصلحة كائناً من كان ، وهو الذي رد أسامة عينَه يوم جاء يشفع في امرأة من أشراف قريش سارقة ، فقال له : « **أتشفع في حد من حدود الله ؟** » ثم قام فخطب وقال : « **يا أيها الناس ، إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وايم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت ؛ لقطع محمد يدها** »[1] .

لم يبق إلا أن نقول إنها الثمرة المباركة للتربية النبوية المباركة ، والعناية والرعاية للنشء على الأسس والقواعد الشرعية التي سقى شجرتها الإسلام الحنيف .

(١٢٢) وبالحكمة يقودهم ﷺ إلى الطاعة والمعروف :

الحوار الهادئ يطمئن الصبي ، فتنتبه حواسه ، فيستمع وينصت ويفكر ، فيفهم ويدرك ، ويقبل ويترك ، ويصل إلى ما لم يكن ليصل إليه بغير الهدوء في الحوار . وهذا ما حدث بين النبي ﷺ وأحد الصبيان ، فظهر أثر الحوار الهادئ على الفور .

عن أبي أمامة ﷺ : أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، قالوا : مَهْ .. مَهْ (يعني اسكت) ، فقال النبي ﷺ : « **أُدْنُه** » (يعني اقترب) ، فدنا من النبي قريبًا ، قال : فجلس ، قال ﷺ : « **أتحبه لأمك ؟** » قال : لا والله ، جعلني الله فداءك . قال : « **ولا الناس يحبونه لأمهاتهم** » قال : « **أفتحبه لابنتك ؟** » قال : لا والله ، جعلني الله فداءك . قال : « **ولا الناس يحبونه لبناتهم** » قال : « **أفتحبه لأختك ؟** » قال : لا والله ، جعلني الله فداءك . قال : « **ولا الناس يحبونه لأخَواتهم** » . قال : « **أفتحبه لعمتك ؟** » قال : لا والله ، جعلني الله فداءك . قال : « **ولا الناس يحبونه لعماتهم** » قال : « **أفتحبه لخالتك ؟** » قال : لا والله

---

(١) البخاري ، كتاب الحدود ٦٢٩٠ .

جعلني الله فداءك . قال : « ولا الناس يحبونه لخالاتهم » . قال فوضع الرسول ﷺ يده عليه وقال : « اللهم اغفر ذنبه ، وطهّر قلبه ، وحصّن فرجه » . فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إليه شيء[1] . صلى الله تعالى على نبينا ، ما وجدنا معلما ألين ولا أعظم ولا أحسن تعليمًا منه .

إنها الحكمة المحمدية ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة: ٢]، وإنه الرفق الذي ما دخل شيئًا إلا زانه ، وأخرج منه أدرانه .

وانظر أخي المربي ، أخي الداعية إلى سلوك النبي ﷺ في الدعوة ، حوار هادئ ، حجة ، إقناع ، وضع اليد الحانية على المدعو ، ثم الدعاء لله وطلب الهداية منه وحده ؛ لأنه ﷺ لا يهدي من أحب ، ولكن الله يهدي من يشاء .

* * *

(١) أحمد ح ٢٢١٢، وقال محققه : إسناده صحيح. والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح، قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ج١ ص١٢٩ . وانظر السلسلة الصحيحة ح٣٧٠.

الفصل الخامس

العناية بالشباب بعد البلوغ

(التهيئة للزواج)

العناية بالشباب بعد البلوغ
(التهيئة للزواج)

إن الأطفال في بداية حياتهم وفي العشر سنين الأولى خاصة من عمرهم ينشأون على ما تلقوه وتعودوه من آبائهم ، فالولد - ذكرًا أو أنثى - يأخذ عاداته وأخلاقه وتربيته من أبويه ومن المربين له، ومن نجح في تربية أبنائه في هذه الفترة، علما وأدبا، قولا وعملا ، سلوكا وأخلاقًا، فليستبشر بأنه سيصل بإذن الله بأولاده إلى سن البلوغ وهم على هذا السلوك الحسن الذي أدبهم وعودهم عليه في تلك السنوات العشر الأولى.

وإذا بلغوا وهم على هذا الحال ، فيستطيع الأبوان حينئذ أن يقولا للأبناء: هيا انطلقوا يا أبناء بسم الله وعلى صراط الله وعلى النهج النبوي، انطلقوا يا أبناء وعين الله ترعاكم .

وستقر عين الأبوين برؤية ثمرات الفؤاد وفلذات الأكباد، جيلا جديدا يشق طريقه في الحياة، لا تزلزله الشدائد، ولا تعصف به العواصف . وهذا بلا شك ثمرة الصبر على التربية، الصبر على الطاعة وصنع المعروف، فما على الأبوين حينئذ إلا تعاهد هذا الجيل بمزيد من العناية والتوجيه وبث الخبرات، وتلقين التجارب، فهو التعاون على البر والتقوى . ولأنه إذا بلغ الأبناء وأصبحوا على عتبة الزواج فإنه سيواجههم حتمًا علوم جديدة لم يتلقوْها ولم يتعرفوا عليها من قبل ، وربما سمعوا عنها من طرف خفي، بطريقٍ ما أو بآخر، في مدرسة أو في معهد أو غيره، لكنهم لم يسمعوا عنها من الأبوين شخصيا، فهي أمور لم تأت المناسبة للحديث عنها لحساسيتها ولعدم الحاجة إليها فيما مضى، ولما يعتري الحديث عنها من الحياء الشديد والخجل الممضّ، خاصة عند الأسر المحافظة.

هذه الأمور هي ما يتعلق بالبلوغ من أحكام، وبالزواج من آداب.

فالبنت إذا بلغت رأت الحيض وربما خرج منها مَنِيٌ باحتلام، وكذلك

الولد ببلُوغه، ربما يرى المني لكنه لا يعرفه، هذا فضلا عما يعتري الشباب إبَّان البلوغ من ثبوت الغريزة، والميل الفطري وبوادر الشهوة وتداعيات المراهقة !! وفي الجملة :

كيف يُعامَلُ الأبناء في الأمور الجنسية ؟

أقول : إذا عدنا قليلاً إلى الوراء ، فإن الأبناء في السن الصغير وخاصة في المراحل الابتدائية ربما يَدْرسون أشياءً جنسية عن طريق المدرسة أو المعهد أو غيره ، فيسأل الولد في الغالب أمه - القريبة منه - وتخجل الأم ، وربما أجابت طفلها بأن يسأل أباه ، وكثيرٌ من الأخوات المحافظات كانت تستغيث وتقول : البنت الصغيرة تسألني ، كيف ولدتيني يا أمي ومن أين خرجت ؟ وتقول : والولد بالمدرسة يسألني: يا أمي أخذنا في الدرس أن من نواقض الوضوء، التقاء الختانَيْن ، فما معنى الختانين ؟!

هناك بعض الأسئلة يمكن الإجابة عليها بسهولة مهما كان سن الطفل ، كسؤاله : كيف وُلد ؟ وكيف خرج ؟ تستطيع الأم حينئذ أن تقول له : خرجتَ من بطني، وتستدل بأن الله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، وهذه هي الحقيقة، ثم تحاول الأم صرف الطفل عن كثرة السؤال ما دامت أنها أجابته، آخذةً في الاعتبار ألا تكذب عليه بحال.

هذا بالنسبة للأطفال الصغار الذين يكون من العبث شرح هذه الأشياء لهم تفصيلاً ، والتي تؤدي بدورها إلى سلسلة من الأسئلة لن تنتهي ، وكلها تحتاج إلى إيضاح لا يستوعبه الطفل إنما يفتح عينيه على أمور تكون معرفتها أضر من جهلها، ومن المهم تنبيه الأطفال الصغار إلى عدم العبث في عوراتهم ، وخاصة البنت عند ؛ الاستنجاء وتنظيف الفرجين.

لكن إذا كبر الأبناء وبلغوا كما أسلفنا فماذا يقال لهم في الأمور الجنسية؟

أقول : الأمر بالتدرج أيضا. فالذي يكون على وشك البلوغ يُعلم أحكام

المراهقة وعلامات البلوغ من نزول ماء دافق .. إلخ

فإذا بلغ يقال له ما يكفي لمعالجة مشاكل البلوغ ؛ كرؤية المني بالفعل ، وأحكام الغسل وأركانه ، وكذلك البنت تعرَّف على دماء الحيض وأحكام الحيض والطهارة منه ...

ومعنى الجنابة وسبب خروجها كالاحتلام وغيره ومعنى الاحتلام، وأحكام هذه الأمور من غسل وكيفيته، ولا ينبغي أن يُستحيا من ذلك حياءً يمنع من توضيح الأحكام فإنه حق، والله لا يستحيي من الحق، وليس خجل الأب والأم حينئذ بأعظم وأشد من خجل امرأة صحابية أجنبية سألت سيد البشرية ﷺ عن مثل ذلك قائلة: يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق؛ هل على المرأة من غُسْل إذا هي احتلمت؟ فأجاب ﷺ بلا نكير ولا تحفُّظ قائلا : «**نعم إذا رأت الماء**».

أما البالغون يريدون الزواج فلا بد من تعريفهم على أمور قبل الزواج لا غنى عن معرفتها، كأحكام البناء، والمعاشرة الزوجية، ولقاء الزوجين خاصة أول مرة، وذلك من الواجب؛ لتفادي احتمال حدوث مشاكل واضطرابات وحرج وربما وصل الأمر إلى الطلاق بسبب الجهل بالمعاشرة الصحيحة ثم يبدو للناس ما كنا نُخفيه، وقد رأينا في الواقع هذه الحالات بالفعل.

بل وحدثت هذه الأمور في زمن النبي ﷺ، فعن ابن عباس قال: إنما كان أهل هذا الحي من الأنصار ـ وهم أهل وثن ـ أي قبل الإسلام، مع هذا الحي من يهود ـ وهم أهل كتاب ـ وكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان أمر أهل الكتاب ألا يأتوا النساء إلا على حرف (أي: نومًا على الجنب)، وذلك أستر ما تكون المرأة، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحًا (أي يأتون النساء وهن نائمات على أقفائهن)، ويتلذذون بهن مقبلات

ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك، فأنكرته عليه، وقالت: إنما كنا نؤتى على حرف، فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني، فشرى أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي مقبلات، ومدبرات، ومستلقيات، يعني بذلك موضع الولد. أي الفرج[1].

ولهذا، فإن حوارًا يدور بين البنت وأمها أو الولد وأبيه وإن كان يشوبه الخجل لكنه فيه منفعة ودرءٌ في الوقت نفسه لمفسدة محتملة. والله أعلم.

وليس أدل على تبيين هذه الأمور للشباب، من إيراد ربنا سبحانه وتعالى لها وإيجابها على المكلفين البالغين ؛ والله تعالى جعل التكليف على هؤلاء البالغين، فكيف يكلفهم ثم نكتم نحن عنهم شيئًا مما هو في دائرة تكليفهم ؟

فقال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦] .

وقال: ﴿فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۝ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٢، ٢٢٣] .

وقال: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٦] .
والإيلاء : الامتناع عن جماع المرأة .

فإن قيل : إن هذه الآيات وأشباهها تتحدث عن المتزوجين بالفعل فلا حاجة للأعزب في شرحها له ؛ قلنا : فكيف نفسر لهم قوله ﷺ : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »؟!

وقوله تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٧] ،

---

(١) سنن أبي داود ـ كتاب النكاح ٢٤٩/٢، وصححه الألباني ، وقال : حديث حسن .

وقوله : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ ﴾ [الطارق: ٥، ٦] .

وإن من أوائل السور التي يحفظها الطفل وهو صغير قول الله تعالى: ﴿ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [الطارق: ٦، ٧] . بل وكيف نحذره من الزنى وهو لا يعرفه وقد حذر الله تعالى منه . فقال : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى ﴾ [الإسراء: ٣٢] ، فكيف تُكتم كل هذه المعاني عن الكبير البالغ الذي أوشك على الزواج ؟

وفي الجملة أقول مرة أخرى: إن الشباب على العموم من سن ١٠: ١٤سنة وبالأخص من ١٢ : ١٥ سنة وما حولها يُحدَّثون عن المني ونزوله ودلالته على البلوغ وتحمل التكليفات الشرعية كما أنه عند رؤيته ـ أي المني ـ له أحكام ـ كفقدان الطهارة ووجوب الغسل منه للتطهر والصلاة. وصفه الغسل فإذا رأى الشاب على جسده أو ثيابه ماءً جافًا أو طريا فهي الجنابة، والبنات في ذلك كالأبناء سواء بسواء ، والبنت تُفهّم زيادة على ذلك أحكام الحيض إذا حاضت ورأت الدم، لئلا تنزعج عند رؤيتها له؛ كما يتعلمون علامات البلوغ وأنها بلوغ ١٥ سنة أو إنبات شعر العانة وهو الشعر الخشن ، ولا عبرة بالزغب الخفيف ، أو نزول المني، وهذه الثلاث يشترك فيها البنين والبنات، وتزيد في البنات علامة رابعة؛ وهي ظهور دم الحيض، فأي هذه العلامات ظهر أولا فقد بلغ الابن أو البنت.

ولا حرج ولا خجل في تبيين وتوضيح هذه الأمور، فالغسل واجب على كل محتلم أصابته الجنابة بالاحتلام، فكيف يجب الغسل على من لا يعرف الجنابة؟ ويبين لهم سنن الفطرة من حلق عانة - ونتف إبط وغير ذلك وتوقيت إزالة هذه الأشياء.

كذلك يعرف الأبناء أحكام المذي[(١)] والودي[(١)] لأنها أيضا من الأشياء

---

(١) المذي : سائل أبيض شفاف ينزل من مداعبة النساء أو التفكير في الجماع.

التي تنقض الطهارة تماما، ولقد طرحت أسئلة كثيرة تفيد بأن بعض الشباب والشابات كانوا يصلون وهم على جنابة غير أنهم لم يكونوا يعلمون بأن هذه جنابة، وكذلك فتيات صلت وصامت وهنَّ حيَّض؛ لأنهن لم يعرفن الحيض وأحكامه، وتلك مسئولية الآباء والأمهات .

ويبين لهم أن المحتلم - وهو النائم الذي يرى أنه يجامع ـ إذا احتلم ولم ير الماء بعد يقظته فلا غسل عليه، فإذا رآه جافًا أو طريا وجب الغسل كما في حديث أم سليم قالت: يا رسول الله هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ قال : «**نعم ، إذا رأت الماء** » .

وكما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **إذا استيقظ أحدكم من نومه فرأى بللاً ولم ير أنه احتلم اغتسل ، وإذا رأى أنه قد احتلم ولم ير بللاً فلا غسل عليه** »[٢] .

فإذا أراد الولد أن يتزوج أو بلغت البنت سن الزواج وجاءها خاطب فإن حقها الشرعي أن تستشار فيه وألا يلغى حقها في القبول من عدمه فتُستأذن والثيب تستأمر ، كما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **لا تُنكح الأيِّم حتى تُستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن** ». قالوا : يا رسول الله ، وكيف إذنها؟ قال : « **أن تسكت** » . أما الثيب فيحتاج أبوها أو وليها إلى موافقتها الصريحة على الزواج ، وهذا معنى « تُستأمر » ، والبكر يطلب منها الإذن بالعقد ، ولا تكلف بالجواب الصريح بالرضا، بل يكفي السكوت لأنها تخوض التجربة لأول مرة ، وقد تستحي من التصريح ، وقد عبَّرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن ذلك فقالت : يا رسول الله ، إن البكر تستحي ، فقال : « **رضاها صِماتها** » أي : سكوتها . رواه البخاري .

---

(١) الودي : ماء رقيق أبيض يخرج من ذكر الرجل بعد البول إذا كان قد جامع قبل ذلك أو نظر . وكلاهما نجس يكفي لتطهيره غسل المكان وما أصاب الثوب إذا لم يكن قد حدث جماع أو غيره .

(٢) حسن . صحيح الجامع ح ٣٣٠ .

ولكن ينبغي التأكيد على أن يكون السكوت عن رضا ، لا عن رفض ، وولي الأمر قادر على فهم الحالين فهو أدرى ببناته ، وموافقة ولي الأمر أيضًا شرط أساسي ، فهو أحرص الناس على ابنته أو موكلته ، وهو الأعرف بالرجال عنها ، فموافقته شرط في النكاح من أساسه ، وعليه هو أن يتقي اللَّه فيما ولاه اللَّه إياه .

وتُمكن البنت من رؤية خاطبها كما يراها خاطبها وينظر إليها ، فلها الحق في رؤية من سيشاركها حياتها ، ويُفهم الجميع أحكام الخطبة بعد الموافقة على صاحب الخلق والدين وصاحبة الدين أيضًا، وبيان أنَّ الخطبة والرؤية للموافقة فقط من الطرفين ، لكنها لا تحل حرامًا ولا تجيز خلوة وخروجًا وصحبة واختلاطًا وتعارفًا ودراسة وتجربة مما يفعله المبتدعون .

- يستحسن دائمًا أن يكون العقد قبل البناء بفترة أقلها شهر ، هذا لمن يريد أن يجمع بين العقد والبناء ؛ لأن العقد قبل البناء يتيح للزوجين معرفة بعضهما البعض ، والاستئناس فيما بينهما ، كل هذا في بيت أهلها بدون خلوة ، أما البناء المفاجئ ففيه وحشة وكلا العروسين ينظر للآخر بترقب وحرج لعدم حصول الأنس قبل ذلك .

والكلام هذا كله لا ينطبق إلا على أهل الدين المحافظين على حرمات اللَّه ، أما المنفلتوت المفرطون فقد تجاوزوا هذا الكلام بمراحل . واللَّه المستعان .

كما يُفهم الزوج الذي سيبني بزوجته أن يكون رفيقًا بها لا يأتيها كالوحش أو كالفحل متعجلاً شهوته ، لأنها هي الأضعف بلا شك والأشد حرجًا والأكثر تضررًا والأقرب تأثُّرًا ، فجِماعُهُ لها يخلّف له رغبة وشوقًا ، ويخلِّف لها تعبًا وألمًا .

وليأخذ بوصية رسول اللَّه ﷺ للأبكار : « **يداعبها وتداعبه ، ويضاحكها**

وتضـاحكه » ، فكـل هذه المقدمات تسهل اللقاء الأول وتزيد الاستفادة منه بين العروسين .

كمـا يُبين لهما صفة الغسل الشرعي من الجنابة وكيف يكون التعامل أثناء الحيـض ، وهـدي النـبي ﷺ غني بالإرشادات الهادية إلى سعادة الدارين ، فعن عائشـة رضي اللّه عنها قالت : إن رجلاً سأل رسول اللّه ﷺ عن الرجل يجامع أهـله ثم يكسل ، هل عليهما الغسل ؟ وعائشة جالسة ، فقال رسول اللّه ﷺ : « **إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل** »[١] .

ويُبين لمن أراد الزواج من الجنسين حرمة الجماع أثناء الحيض أو النفاس وكذلك يحرم الوطء في الدبر بأي حال من الأحوال .

بهذا يكون الأبوان قد خرّجا الأولاد من المدرسة التربوية إلى بيت الزوجية، وأسسـا بيـتًا وأسـرة مسـلمة جديدة لم يبق إلا أن يقال للعروسين : « بارك اللّه فيكما وعليكما وجمع بينكما في خير » .

ـ نحـن نتعامل مع الأبناء في هذه الأمور الجنسية بأسلوب تربوي من منظور إسـلامي بعيـدًا عمـا تبـثه وسـائل الإعلام من أحاديث لا يراعى فيها الضوابط الشـرعية ومـراحل عمـر الطفـل، أو مـا يتناقـله الأبـنـاء من معلومات عن طريق زملا ئهـم في المدارس والجامعات وغيره وخاصة ما يذيعه رفاق السوء الذين لم يُعلموا أو يوجهوا.

فينـبغي أن يقـوم الآبـاء حينئذ بدور من يضع النقاط على الحروف، وذلك بتـلقين أبـنائهم وتـنظيم معـلوماتهم وتهذيـب سـلوكهم، كـل مرحـلة عـلى قدر اسـتيعابها. كمـا يوجَّهـون إلى ألا يسترسـلوا فـي السماع والاستماع لما يردده زملاؤهم من حوادث وأحداث جنسية وأفكار شهوانية حتى لا تفسد أخلاقهم أو

(١) مسلم ح ٣٥٠ .

تـنحرف توجهاتهم، وعلى الأبناء أن يبلغوا أهليهم بكل ما يجدونه غريبًا عليهم في سلوك زملائهم من أشياء لم يروها من قبل أو يسمعوا عنها من آبائهم حتى يستطيع الأبوان ضبط الأمور وتحصين أبنائهم وإفادتهم وتبصيرهم بما ينفعهم أو يضرهم .

والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين .

* * *

الفصل السادس
من وصايا لقمان
في تربية الولدان

تعريف بلقمان :

لقمان رجل آتاه اللّه الحكمة ، كما قال جل شأنه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ [لقمان : ١٢] منها العلم والديانة والإصابة في القول ، وحِكَمُهُ كثيرة مأثورة ، كان يُفتي قبل بعثة داود عليه السلام ، وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا ، وقال في ذلك : ألا اكتفي إذا كُفيت ؟ . وقيل له : أي الناس شر ؟ قال : الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئًا(١) . وقال مجاهد : كان لقمان الحكيم عبدًا حبشيًا غليظ الشفتين مشقق القدمين ، أتاه رجل وهو في مجلس ناس يحدثهم فقال له : ألست الذي كنت ترعى الغنم في مكان كذا وكذا ؟ قال : نعم ، قال : فما بلغ بك ما أرى ؟ قال : صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني .

وعن خالد الربعي قال : كان لقمان عبدًا حبشيًّا فقال له مولاه : اذبح لنا هذه الشاة فذبحها ، قال : أخرج أطيب مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب ، ثم مكث ما شاء اللّه ثم قال : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، قال : أخرج أخبث مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب ، فقال مولاه : أمرتك أن تُخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما ، وأمرتك أن تُخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما . فقال لقمان : إنه ليس أطيب منهما إذا طابا ، ولا أخبث منهما إذا خبثا . ابن كثير .

وقال القرطبي : قيل أنه ابن أخت أيوب أو ابن خالته ، رأى رجلاً ينظر إليه فقال : إن كنتَ تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق ، وإن كنتَ تراني أسود فقلبي أبيض .

* * *

(١) تفسير الجلالين ، سورة لقمان : ١٢ .

والآن مع وصايا لقمان

الوصية الأولى :

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) ﴾ [سورة لقمان : ١٣] .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها : يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه ، وأحبهم إليه ، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف . ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا ، ثم قال له محذرًا : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ أي هذا أعظم الظلم ، قال البخاري : عن عبد الله رضي الله عنه قال : لمّا نزلت : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٢] قلنا : يا رسول الله ، أينا لا يظلم نفسه ؟ قال : « ليس كما تقولون لم يلبسوا إيمانهم بظلم : بشرك ، أولَمَ تسمعوا قول لقمان لابنه : ﴿ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ »(١) .

فالشرك هنا بمعنى الظلم ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أي لم يخلطوا إيمانهم بشرك . ثم قرَن بوصيته إياه بعبادة الله وحده ؛ البر بالوالدين ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [سورة الإسراء : ٢٣]. وكثيرًا ما قرن الله تعالى بين ذلك في القرآن الكريم .

الوصية الثانية :

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) ﴾ [سورة لقمان : ١٦] .

قال ابن كثير : ولو كانت تلك الذَّرَّة (من العمل) محَصنَّة محجَّبة في داخل صخرة صمَّاء ، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السماوات والأرض ، فإن الله يأتي بها ؛ لأنه لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا

(١) البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ٣١١٠ .

في الأرض ، ولهذا قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ١٦] ، أي لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقَّت ولطفت ، « خبير » بدبيب النمل في الليل البهيم .

وقال القرطبي : رُوِيَ أن ابن لقمان سأل أباه عن الحبة التي تقع في سِفْل البحر أيعلمها اللَّه ؟ فراجعه لقمان بهذه الآية : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ ... ﴾ [لقمان : ١٦] .

الوصية الثالثة :

لا زال لقمان يوجه ولده فيقول : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة لقمان : ١٧].

قال ابن كثير : أقم الصلاة ، أي بحدودها وفروضها وأوقاتها ، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر بحسب طاقتك وجهدك ، واصبر على ما أصابك ، لأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى ، فأمره بالصبر . وقوله : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧] أي الصبر على أذى الناس من عزم الأمور .

وقيل : أمره بالصبر على شدائد الدنيا كالأمراض وغيرها وألا يخرج من الجزع إلى معصية اللَّه عز وجل وهذا قول حسن لأنه يعُم . قال القرطبي : والظاهر واللَّه أعلم أن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ ﴾ يشير إلى إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى والبلاء وكلها من عزم الأمور .

الوصية الرابعة :

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة لقمان : ١٨] .

الصعْر : الميل ، وأصله داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رءوسها حتى تفلت أعناقها من رءوسها . فشبَّه به الرجل المتكبر ، قال ابن كثير : لا تتكبر فتحتقر

عباد الله وتُعرض عنهم بوجهك إذا كلّموك ، وفي الحديث : « **كل صعّار ملعون** »[١] .

والصَّعَّار هو المتكبر لأنه يميل بخده ويُعرض عن الناس بوجهه[٢] . ومعنى الآية عند القرطبي : ولا تُمِل خدَّك للناس كبرًا عليهم وإعجابًا واحتقارًا لهم ، وهذا تأويل ابن عباس وجماعة ... فالمعنى أقبل عليهم مؤنسًا مستأنسًا ، وإذا حدَّثك أصغرهم فاصغ إليه حتى يكمل حديثه ، وكذلك كان النبي ﷺ يفعل . ﴿ **وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا** ﴾ : قال القرطبي : وهو النشاط والمشي فرحًا في غير شغل وفي غير حاجة ، وأهل هذا الخُلُق ملازمون للفخر والخُيلاء ، فالمرح مختال في مشيته ، والفخور هو الذي يعدد ما أُعطيَ ولا يشكر الله تعالى ، قاله مجاهد .

الوصية الخامسة :

﴿ **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ١٩** ﴾ [سورة لقمان : ١٩] .

قال القرطبي : لمَّا نهاه عن الخُلُق الذميم رسم له الخُلُق الكريم الذي ينبغي أن يستعمله فقال : ﴿ **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ** ﴾ أي توسَّطْ فيه ، والقصد : ما بين الإسراع والبطء ، وقد قال ﷺ : « **سرعة المشي تُذهب بهاء المؤمن** » . فأما ما رُوِيَ عنه عليه السلام أنه كان إذا مشى أسرع ؛ وقول عائشة في عمر رضي الله عنه : كان إذا مشى أسرع ، فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت ، والله أعلم ، وقد مدح الله سبحانه من هذه صفته حسبما تقدَّم بيانه في الفرقان. اهـ .

قلتُ : يقصد الله تعالى : ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا** ﴾ [الفرقان : ٦٣] .

---

(١) النهاية لابن الأثير ، باب صعر .

(٢) تفسير القرطبي ٧٠/١٧ .

﴿ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ قال القرطبي : أي انقص منه ، أي لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج إليه ؛ فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلُّف يؤذي ، والمراد كله التواضع ، وقد قال عمر ﷺ لمؤذن تكلَّف رفع الأذان بأكثر من طاقته : لقد خشيتُ أن ينشق مريطاؤك (ما بين السُّرة إلى العانة) والمؤذن هو أبو محذورة ، سمرة بن معير .

﴿ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ قال القرطبي : أي أقبحها وأوحشها ، وقال والحمار مَثَلٌ في الذَّمِّ البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ، وفي الآية دليل على تعريف قُبْح رفع الصوت في المخاطبة والملاحاة بقُبح أصوات الحمير ، لأنها عالية ، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « **وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوَّذوا بالله من الشيطان ؛ فإنها رأت شيطانًا** » . وقد رُوِيَ أنه ما صاح حمار ولا نبح كلب إلا أن يرى شيطانًا . وقال سفيان الثوري : صياح كل شيء تسبيح إلا نهيق الحمار . اهـ .

قال ابن كثير : وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذَمَّهُ غاية الذَّم لأن رسول الله ﷺ قال : « **ليس لنا مَثَلُ السَّوْء** »[1]. اهـ .

* * *

(١) البخاري، كتاب الهبة ٢٤٢٩ . والترمذي كتاب البيوع ١٢١٩ وغيره .

خاتمة

وبعد هذا العرض المتواضع والبضاعة المزجاة ؛ أوصي نفسي وكل مسلم أولاً بتقوى اللَّه سبحانه وتعالى ، فهي رأس كل فضيلة ، ثم أذكِّر نفسي وإخواني المربين بأن اللَّه جل وعلا بعث فينا محمدًا ﷺ مُعلِّمًا ومرشدًا ، ليعلمنا الكتاب والحكمة ، ويزكي ويطهر نفوسنا ، ويعلمنا ما لم نكن نعلم .

ولأنَّ اللَّه تعالى اختاره لهذه المهمة العظيمة الشريفة ؛ فقد جعل فيه كل مؤهلات التعليم والتربية ، والتقويم والتزكية . فلم يكن أحَدُ أحسنَ تعليمًا منه ﷺ بشهادة أوليائه وأعدائه ؛ الذين كان يدفعهم للدخول في دينه ؛ حسن خلقه وعظمة تعليمه .

وقد عرضنا في هذا الكتاب لأكثر من مائة وعشرين موقفًا تربويًّا تعليميًّا لنبينا ﷺ مع الأطفال في جميع سنوات عمرهم حتى يبلغوا ويصيروا رجالاً يتحملون المسئولية . والخير كل الخير في فِعْل ما أمر ، وترك ما نهى عنه وزجر . والبركة كل البركة في اتباع شرعه ، والتمسك بهَدْيه ، وترك البدع والخرافات ،والمستورد من النظريات . قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ۝ ﴾ [الحجرات : ١] .

والخلاصة :

أن التربية الإسلامية قد عنيت بالدراسات الدينية والخُلقية والروحية أولاً ، ثم عنيت بالدراسات الثقافية ثانيًا . وأهم فرق بين التربية الإسلامية والتربية الحديثة أن الأولى كانت مثالية هدفها الأسمى الجانب الروحي والتربية الخلقية الكاملة ، فلم يقصد المسلمون من العلم والتعلم جاهًا أو مركزًا أو وظيفة أو مالاً ، ولكنهم كانوا يدرسون العلم لذات العلم وإرضاءً للَّه ، فتركوا آثارًا علمية خالدة إلى اليوم . أما التربية الحديثة فقد تغلَّبت فيها الناحية المادية والدنيوية ، فكل فرد في المدرسة أو الجامعة أو المعهد يريد بعد الانتهاء من

الدراسة وظيفة أو عملاً أو مركزًا ، واشتد الصراع والإقبال على التعليم من أجل الوظيفة والمال ، فضعف البحث ، وقَلَّ الإنتاج العلمي ، وزالت قداسة العلم وعظمة العلماء .

ولا نبالغ إذا قلنا : إن العالم اليوم في حاجة إلى التربية الإسلامية ؛ تلك التربية المثالية الروحية الخلقية الدينية ، تلك التربية التي أنتجت وأثمرت ذلك الجيل الفريد الذي رباه سيد ولد آدم ، وأفضل البشر ؛ محمد ﷺ .

* * *

وفي النهاية

فـلا يخلو عمـل من قصور ، ولا جهد من تقصير وفتور إلا ما شاء اللَّه ، والباب مفتوح والصدر مشروح ، لمن رأى خطأ أو تصويبًا أو توجيهًا ونصحًا ، ورحم اللَّه من أهدى إليَّ عيبي ، وأكون له من الشاكرين .

ولقــد خَــتمتُ بِــذا الختــامِ رســالتي ... وعَـــلَى الإلـــهِ توكُـــلي وثـــنائي
إنْ كـــانَ توفيـــقٌ فمِـــنْ رَبِّ الـــوَرَى ... والعجـــزُ للشـــيطانِ والأهـــواء
ســـبحانك الـــلَّهم ثُـــمَّ بحمـــدكَ ... أســـتغفركْ وأتـــوبُ مـــن أخطـــائي

جمال عبد الرحمن
مصر - منيا القمح
ت ٣٦٦٣٦٧٤ / ٠٥٥
٣٦٦٧٩٧٣

مشاركة لقارئ

أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين ﷺ ؟

المؤلف - جمال عبد الرحمن إسماعيل

الكتاب أرى أنه صيحة لتذكير الناس بأنه لا يأس من منازلة الثقافات المستعلية علينا بأنها تملك العصا السحرية لإعداد الأجيال التي سوف تقود العالم المتحضر القادم ، منازلتها بإرثنا الثقافي الذي نباهي به العالم ، قدوتنا ﷺ النبي الأُمِّي ترك لنا ما إن تمسكنا به لن نضل أبدًا - أو كما قال - كتاب اللَّه وسنته ﷺ .

الكتاب جاء في وقت أصبح فيه أطفالنا هم الهدف في الحرب القادمة ، التي لن تطلق فيها رصاصة واحدة ؛ لأنهم سوف يرضون عنا حين نتبع ملتهم من دون أن نحس أو نشعر ... إذًا طريقة المصطفى S النبي الأمين هي طوق النجاة الوحيد ؛ لأنها وحي من خالق الناس جل جلاله ، وهو الأعلم بنفسياتهم وطبائعهم من علماء التربية اليهود .

في الكتاب فقرة بعنوان : (ويغير ﷺ عادات الجاهلية في الاحتفال بهم) هذا الاحتفال يذكرني بأعياد الميلاد للأطفال من أول سنة ، وتستمر لسنين طويلة إلا من هَدَى اللَّه سبحانه وتعالى ، فقد كان جارنا مديرًا لإحدى المدارس المتوسطة في ذلك الوقت يقيم سنويًّا الاحتفالات بأعياد الميلاد لأطفاله ، ولا أريد أن أطيل وأحكي ما يجري في هذه الاحتفالات ، لكني كنت أعتقدها عادة حسنة يقوم بعملها المتعلمون من الناس الذين يهتمون بتربية أبنائهم ، وكانت في نفوسنا حسرة وغَيْرة ؛ لأن آباءنا لا يقيمون لنا ولإخواننا الصغار مثل هذه الاحتفالات ، وما كنت في ذلك الوقت أفهم أن أبي ذلك الرجل البسيط الذي يحافظ على صلاته بشكل كان يحيرني ؛ كان محصِّنًا بدراسته في « الخلوة » ،

وهي مكان يُدرَّس فيه في المسجد ، ولم يكن متحضرًا ودروس في مدارس الأجنبي التي بناها ليخرج منها أتباعه . إذًا منهجنا الإسلامي في التربية هو الذي يبعدنا من عُقد الطفولة بأن يفهم أطفالنا بأنَّ « هابي بيبي توبو » happy baby to you أي : طفل سعيد لكم ، هي من عمل الكفار الذين يريدوننا أن نقيم احتفالاتنا بأطفالنا بلغتهم وطريقتهم ، حتى نكون بعيدين عن طريقة الرسول ﷺ في التربية ؛ لأنهم يعلمون أننا لو اتبعناها لسُدْنا العالم ، وكانت النُّصرة لنا في كل مجال .

حبذا لو أفاض مؤلف الكتاب في هذا الموضوع بطريقته الممتعة والتزامه الصارم بما جاء في الكتاب والسنة عند الكتابة عن أي موضوع في مجال التربية حتى أعاد لنا الثقة في مجال التربية على الطريقة المحمدية ، وما عُدنا نصدِّق أن علماء التربية المحدثين أتوا بجديد بعد هذا الذي وجدناه في هذا الكتاب .

والكتاب مجال واسع للتدبر والاهتمام ، وفيه الشيء الوفير من مبادئ ديننا في التربية ويكفينا سعادة بهذه الوجبة الدسمة الجاهزة . نفع اللَّه بها المسلمين ، وجزى المؤلف عنا خير الجزاء .

أمير بن عبد ربه السوداني

المراجع

- تفسير ابن كثير . دار الفكر للنشر .
- تفسير القرطبي . دار الشعب تحقيق أحمد عبد العليم البردوني .
- تفسير الطبري . دار الفكر للنشر .
- أحكام القرآن للشافعي . دار الكتب العلمية للنشر تحقيق عبد الغني عبد الخالق .
- الأحاديث المختارة لضياء الدين المقدسي . مكتبة النهضة .تحقيق عبد الملك دهيش .
- المستدرك على الصحيحين للحاكم . دار الكتب العلمية للنشر تحقيق مصطفى عبد القادر عطا .
- المنتقى لابن الجارود النيسابوري . دار مؤسسة الكتاب الثقافية تحقيق عبد الله عمر البارودي .
- محاسن التأويل للقاسمي .
- صحيح ابن حبان مؤسسة الرسالة للنشر تحقيق شعيب الأرناءوط .
- صحيح ابن خزيمة المكتب الإسلامي تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي .
- صحيح البخاري دار ابن كثير ،اليمامة تحقيق مصطفى ديب البغا .
- صحيح مسلم دار إحياء التراث العربي . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
- موطأ مالك دار إحياء التراث العربي . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
- سنن النسائي . مكتب المطبوعات الإسلامية . تحقيق عبد الفتاح أبو غدة .
- سنن أبي داود . دار الفكر .تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
- صحيح سنن أبي داود للألباني .
- سنن ابن ماجة . دار الفكر . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
- صحيح سنن ابن ماجه ، مكتبة المعارف .
- سنن البيهقي . مكتبة دار الباز . تحقيق محمد عبد القادر عطا.
- صحيح سنن الترمذي ، مكتبة المعارف .
- سنن الترمذي . دار إحياء التراث العربي تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون .
- سنن الدرامي . ط١ درا الكتاب العربي . تحقيق فواز أحمد ، خالد السبع .
- سنن الدارقطني . دار المعرفة للنشر تحقيق السيد هاشم يماني .
- مجمع الزوائد للهيثمي . دار الريان للتراث . دار الكتاب العربي .
- مصنف ابن أبي شيبة . مكتبة الرشد طبعة أولى . تحقيق كمال يوسف الحوت .
- مصنف عبد الرزاق للصنعاني . المكتب الإسلامي للنشر تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ط٢ .
- الأدب المفرد للبخاري . ط٣ دار البشائر الإسلامية تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
- صحيح الأدب المفرد للألباني ، مكتبة الدليل .
- مسند أبي يعلى . ط١ دار المأمون للتراث . تحقيق حسين سليم أسد .

- مسند أحمد بن حنبل . مؤسسة قرطبة ، دار الحديث تحقيق أحمد شاكر ، وحمزة الزين.
- مسند البزار . ط١ مؤسسة علوم القرآن . مكتبة العلوم والحكم تحقيق د. محفوظ الرحمن .
- معجم الطبراني ، الأوسط والصغير والكبير . دار الحرمين . تحقيق طارق عوض الله .
- شعب الإيمان للبيهقي . ط١ دار الكتب العلمية .تحقيق محمد السعيد بسيوني .
- زاد المعاد لابن القيم مؤسسة الرسالة للنشر تحقيق شعيب الأرنؤوط .
- المغني لابن قدامة المقدسي ط١ دار الفكر .
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني دار المعرفة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . تحقيق مصطفى العلوي .
- إحياء علوم الدين للغزالي - مقدمة ابن خلدون .
- التمهيد لابن عبد البر . وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية . تحقيق مصطفى العلوي .
- حاشية ابن القيم للزرعي . دار الكتب العلمية ط٢ .
- عون المعبود لشمس الحق العظيم ط٢ دار الكتب العلمية .
- تحفة الأحوذي للمباركفوري . دار الكتب العلمية للنشر .
- شرح النووي لصحيح مسلم . ط٢ دار إحياء التراث العربي .
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ط١ دار الكتب العلمية .
- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ط٢ مكتبة السنة المحمدية تحقيق محمد حامد الفقي .
- تحفة المودود لابن القيم ط٢ دار البشائر الإسلامية .
- فيض القدير للمناوي ط١ المكتبة التجارية الكبرى .
- سير أعلام النبلاء للذهبي . ط٩ مؤسسة الرسالة . شعيب الأرناءوط .
- الطبقات الكبرى لابن سعد . دار صادر للنشر .
- الإصابة ط١ دار الجيل للنشر . تحقيق على محمد البجاوي.
- تلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني . المدينة المنورة . السيد هاشم اليماني .
- السيرة النبوية لابن هشام ط١ المكتب الإسلامي . سعيد عبد الرحمن موسى .
- الترغيب والترهيب للمنذري ط١ دار الكتب العلمية تحقيق إبراهيم شمس الدين .
- منهج التربية الإسلامية للدكتورعبد الله باقادري.
- التربية الإسلامية لمحمد عطية الإبراشي.
- منهج التربية النبوية للطفل . لمحمد نور سويد.
- وأخرى منشورة على فهارس الكتاب .

* * *

الفهرس

الموضـــوع **الصفحة**

صدر للمؤلف :

الإيقـاظ

لتذكير الحُفاظ بالآيات المتشابهة الألفاظ

كتـاب يُعين حفـاظ القرآن الكريم علي تلاوته تسميعاً وإمامةً دون الوقوع في أخطاء بسبب الألفاظ المتشابهة ويضع علامات وإشارات وأبيات شعرية تمكن الحفاظ من تفادي الخطأ بسهولة ويسر.

«ولا تقربوا الفواحش»

كتـاب يتحدث عن أسباب الوقوع في الفواحش وجرائمها وقبحها وشدة التنكيل بفاعلها، وعلاقة فعل الفواحش بسوء الخاتمة، كما يتحدث عن توبة أهل الفواحش ثم يتناول العلاج الذي يمنع الوقوع في الفواحش، والعلاج لمن وقع فيها فعلا. ثم يختتم ببيان الأمراض التي يسببها فعل الفواحش.

عظماء الأطفال

في هذا الكتاب أردت أن أثبت للمربين أن فترة الصغر هي أعظم فترة للحفظ والتلقين، لدرجة أنني أتيت بأمثلة من الأطفال العظماء طلبوا العلم الشرعي وجلسوا لسماع الحديث وعندهم من العمر ٥ سنين بل ٤ سنين، فكم أهدر أبناؤنا من أوقاتهم وأعمارهم ؟!!!

الضرَّابون للنساء

يناقش الكتاب ضرب النساء ومشروعيته وأسبابه وكيفيته، ومضار القسوة على النساء، ويؤسس قبل هذا كله؛ حقوق الرجال على النساء وحقوق النساء على الرجال، لكي لا يقع بينهم ما يسبب ضرب المرأة.

وموقف رسولنا الكريم ﷺ من قضية الضرب من أساسها.

للعقلاء فقط

كتاب يتحدث عن التسليم لله العلي الكريم، وما هي حقوق ومقتضيات تسليمنا لله لكي نكون مسلمين حقاً.

هذا؛ مع الأمثلة الكثيرة من سير أعلام العقلاء والتي تبين كيف أسلموا أنفسهم لله.

أهل العزة
وأهل الذلة

وهو يتحدث عن العزة ومعناها ولمن تكون وأن الله أعز المسلمين بالإسلام وأذل المشركين بسبب شركهم، ونماذج من عزة الإسلام والمسلمين يوم كان الدين عزيزاً منيعاً.

الإرشـــاد

إلى خطر البدع على العباد

في هذا الكتاب حـديث طويل عن بداية ظهـور البـدع قـديماً، وصفات أهل البدع، وموقفنا منهم في التعـاملات والصداقات والصّلات، وماذا عن مناظرة أهل البدع؟ وكذلك توبة المبتـدع، وبيـان أن أهل البـدع أحب إلى إبليس من أهل الذنوب والكبائر.

مختصر «ولا تقربوا الفواحش»

فكيف كان عقاب؟

وهمـا مختـصـران يسيران للكتـاب الأصل يحققان رسـالة صغيرة سهلة التداول والتناول

ونسأل الله تعالى النفع والأجر والمثوبة.

وصف الحور العين

والحور العين هي البديل الرباني لمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى والشهوات، وفي هذا الكتاب ٤٠ صفة من الصفات المذهلة للحور العين من شعر رأسها إلى أخمص قدمها كما جاء بالكتاب والسنة، والكتاب يبين أمرا هاماً أيضاً وهو: ماذا للنساء الدنيا من النعيم واللذة كما أن الحور العين للرجال؟!

للعاقلات فقط

كتاب رائع به ١٠٠ وقفة تربوية للمرأة المسلمة مع رسولنا محمد ﷺ في جميع شئون المرأة العقدية والفقهية والخلقية والاجتماعية والزوجية مع إيراد أمثلة عظيمة من سير أعلام النساء ممن لهن من الفضائل والشمائل ما يسر السامعين.